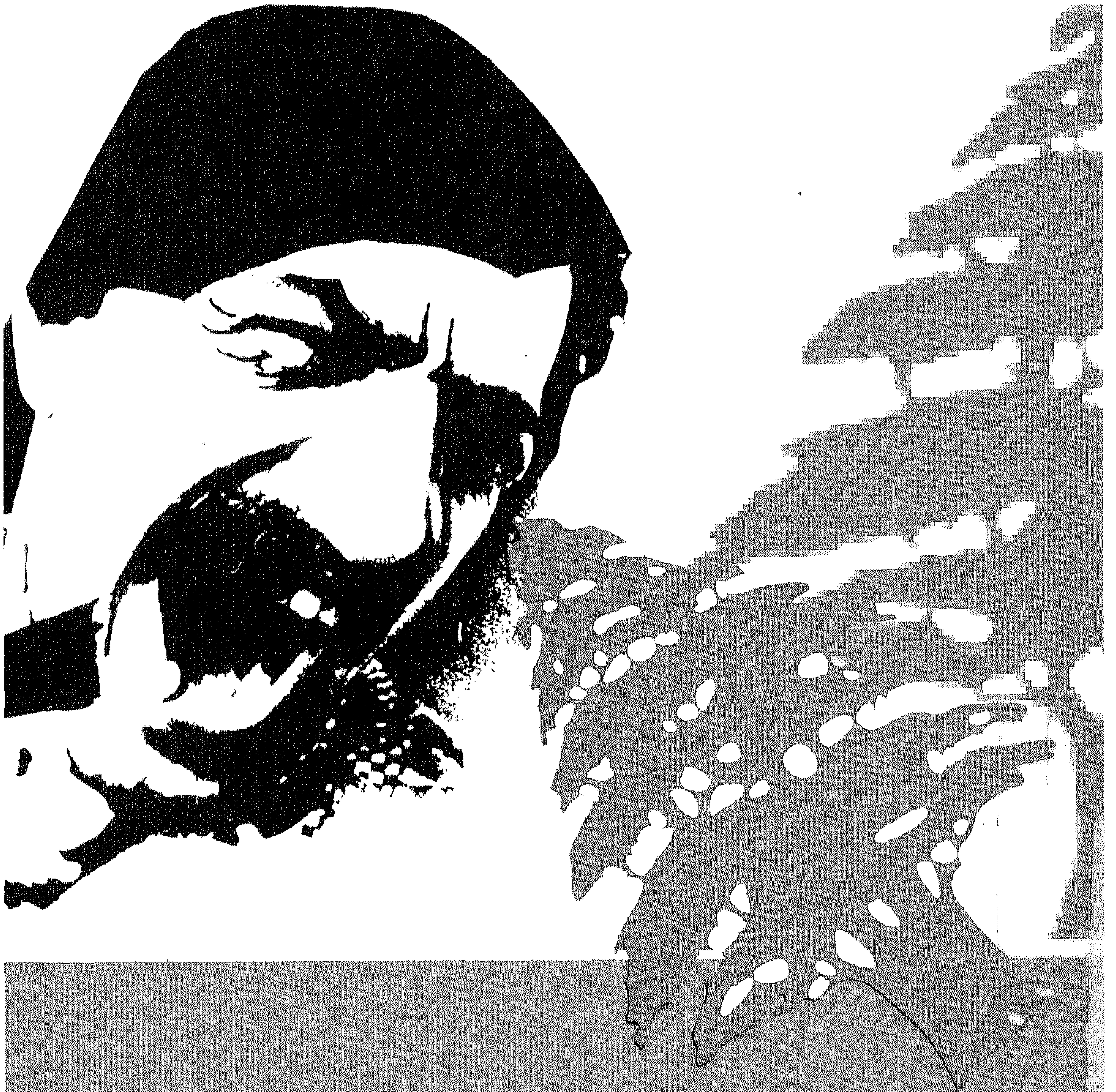
أنـــا تـــولـي آغـارشيف

القتلة على الرمال البيضاء

من كامب ديفيد حتى المأساة اللبنانية



ترجمة :

الدكتور ماجد علاء الدين

شحادة العبد المجيد

القتلة على الرمال البيضاء

أناتولي آغارشيف

القتلة على الرمال البيضاء

من كامب ديفيد حتى المأساة اللبنانية

ترجمة

الدكتور ماجد علاء الدين   شحادة العبد المجيد



منشورات دار علاء الدين

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية عام ٢٠٠٠ عدد النسخ ١٠٠٠ نسخة

تنفيذ دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة

مقـــدمة

عرف العالم منذ القدم وحتى الوقت الحاضر الكثـير من الحـركات القبلية والشعوبية والفاشية والعنصريـة ، ولكن ما نلاحظـه في الآونـة الأخيرة يختلف اختلافا كبيرا عما سبقه ، اذ أن القـرن العشرين قد شهد أكبر المذابح الانسانية على الاطلاق، فكانت الحرب العالمية الاولى والحرب العالمية الثانية اللتان قتل فيهما عدد كبير من البشر ، وكان ذلـك ، بسبب النشاط التهديمي الذي تمارسه قوى الامبريالية العالمية بالتعاون مع الفاشية والصهيونية والرجعية ٠

في هذا الكتاب يبين المؤلف أناتولي أغارشيف النشاط الاجرامي الذي تقوم به الحركة الصهيونية العالمية منذ تأسيسها وحتى الوقـت الحاضر ، ويتوقف بشكل مفصل عند السنوات الاخيرة من تاريخنا المعاصر ، فيتحدث عن الجرائم البشعة التي ارتكبتها دولة الكيان الصهيوني بحق أبناء الشعب العربي الفلسطيني ، وبحق الشعب العـربي اللبناني ، ويفضـح المذابح الجماعية التي قامت بها الطغمة الصهيونية وفي قمتها مذابح صبرا وشاتيلا ٠

ويخصص مؤلف هذا الكتاب قسطاً هاما منه لفضح السياسة الخيانية الاستسلامية التي نهجها السادات بالتعامل مع دولة الكيان الصهيوني تحت المظلة الامريكية ٠ هذا النظام الذي أقدم على عقد الصفقات الانفرادية مع عدو الشعب العربي ، وبهذا مهد السادات الطـريق أمام جيش العدوان الصهيوني للقيام بالعديد من الجرائم الجـديدة ضد الشـعب العربي الفلسطيني ، وضد الشعب اللبناني وصلت الى أبشع صورها في صيف عام ١٩٨٢ ٠

هذا ويتناول المؤلف عدة مواضيع هامة يبين من خلالها الطموحات الامبريالية للادارة الامريكية في لبنان والشرق الاوسط والادنى عامة ، ويبين أبعاد المؤامرة التي تحيكها الاوساط الامبريالية والصهيونية والرجعية للنيل من سيادة النظم الوطنية والتقدمية في حركة التحرر الوطني العربية ٠

هذا ويؤكد أناتولي أغارشيف على أن رجال الحرب الاسرائيليين لا يهددون الشعب الفلسطيني فقط ، بل ينوون اقامة امبراطورية عظمى لهم، والتي رسموا حدودها على الشكل التالي : الصين من الشرق ، والاتحاد السوفييتي من الشمال ، والجزائر والمغرب العربي من الغرب ، ومن الجنوب كينيا وجمهورية جنوب أفريقيا ، وينفذ الصهاينة بذلك المخطط السياسي الذي خطط له الامريكان ـ حماة الصهاينة ٠

يدعم المؤلف طروحاته بالكثير من الاستشهادات والمقولات والوثائق التاريخية ، ويستخدم الكثير من المراجع العلمية ، والمؤلفات السياسية والاقتصادية والادبية الهامة ٠

د٠ ماجد علاء الدين

القتلة على « الرمال البيضاء »

في الصباح الباكر وعلى شاطىء البحر في المنطقة المعروفة من قبل السكان باسم «الرملة البيضاء» ، اجتازت فرق من الكوماندوس الاسرائيلي خلسة منطقة ساحلية واسعة حيث استقلوا بعدها السيارات التي كانت بانتظارهم عند الطرق التي كانوا يسلكونها عادة ، بعد ذلك تم انزال الجنود البالغ عددهم ثلاثين شخصا مموهين أنفسهم ببزات عسكرية كالتي يرتديها الفدائيون الفلسطينيون ، وبعد دقائق قليلة انطلقت السيارات التي تم استئجارها من قبل الشركة المحلية المسماة « أفيس » في شوارع بيروت المضاءة بمصابيح النيون بسرعة جنونية قبل أن تصحو المدينة الهادئة . ثم توجهت هذه الفرق الارهابية الى أماكن تواجد القادة الفلسطينيين . حيث قامت احدى المجموعات بمهاجمة مقر القيادة العامة للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين ، فقصفته وألحقت به اضرارا فادحة . بينما توجهت المجموعة الثانية الى شارع « فردان » واستطاعت قتل ثلاث من الشخصيات الفلسطينية القيادية لحركة المقاومة وهم : محمد يوسف النجار — كمال عدوان — كمال ناصر ، واستطاع الارهابيون خلال ساعتين ونصف من الزمن قتل أربعة عشر شخصا كان من بينهم زوجة المناضل الفلسطيني « محمد يوسف النجار » .

في اليوم التالي نشرت جميع الصحف في العالم تفاصيل تلك القرصنة الارهابية حيث أجمع الرأي العام على تحديد هوية مرتكبي هذه الجريمة .

اعترفت « اسرائيل » فيما بعد بأن العملية كانت من تدبير وتنظيم

الوحدات الاسرائيلية الخاصة ، لكنها بررت فعلتها هذه بوقاحتها المعهودة أن هذه العملية ليست عدوانية أو ارهابية ، بل انها عملية مضادة للارهاب . كان هذا في العاشر من شـهر نيسـان عام ١٩٧٣ . واهتزت دول العـالم سخطا وغيظا من هذه العمليـة لأن اسرائيل اخترقت بذلك سيادة حكومـة لبنان التي كانت تقف دائما موقف الحياد تجاه الصراع العربي الاسرائيلي . وكانت محايدة في جميع الحـروب العربية الاسرائيلية ، وجـاء التصرف الاسرائيلي المذكور مفاجئا بالنسبة لدول كثيرة خاصة وان لبنان لم يكن في تعداد البلدان التي تحكمها أنظمة تقدمية معادية للمواقف الامبريالية ، زد على ذلك أن لبنان ينهج النظام الاقتصـادي الرأسمالي المرتبط مع الغرب وخاصة فرنسا والولايات المتحدة الامريكية .

وفي نطاق تحليل التدخل الاسرائيلي العدواني في شؤون لبنان ، فقد خلصت العديد من الجهات اللبنانية الصحفية الى نتائج مفادها ، ان العملية الارهابية ضد حركة المقاومة الفلسطينية لم تكن هدف اسرائيل الوحيد في لبنان . ولفت رجال الصحافة انتباه الرأي العام اللبنـاني الى ان اسرائيل تحضر لاحتلال الجنوب اللبناني . كما بينت الصحف الوطنيـة والتقـدمية ادعاء «اسرائيل» الكاذب بأن عملية ترحيل وابعاد الفلسطينيين من الاراضي اللبنانية سوف تؤمن لها السلام .

وحـاولت اسرائيل بالفعل دفع الحكومـة اللبنانية للاصـطدام مع الفلسطينيين ، وتؤكد ذلك كافة التصريحات التي تبجحت بها الشخصيات العسكرية والسياسية الاسرائيلية .

بعد القيام بعملية بيروت الارهابية مباشرة ، خرج رئيس هيئة أركان القوات الاسرائيلية « دافيد ايلي عازار » ليصرح في المؤتمر الطـارىء في « تل ابيب » كاشفا عن الهدف من تلك العمليـة ، بأنه يتلخص في اجبـار الحكومة اللبنانية على ضرب وتدمير القواعـد الفلسطينية على أراضيها ، وبعد ذلك صرح « آبا ايبان » وزير خارجية اسرائيل آنذاك قائلا : « اننا نريد أن يفعل لبنان ما فعله الملك حسين » .

في عام ١٩٧٠ وفي شهري آب وأيلول منه وقـــع اقتتال ــ وكمـــا هو معروف ــ بين قوات حركة المقاومة الفلسطينية والجيش الاردني ولعبت اسرائيل دورا كبيرا في تحريض الطرفين أحدهما ضد الآخر • وتمت تسوية هذا الخلاف في مؤتمر القمة العربي الذي انعقد في القاهرة • واثر ذلك اضطر العديد من فصائل المقاومة الفلسطينية المسلحة الى الخـــروج من الاردن ، والانتقال الى منطقة جنوب لبنـــان • لقـــد كانت الحسابات الاسرائيلية مبنية على أساس التنكيل بقوات حركة المقاومة الفلسطينية والقضاء عليها • في الوقت نفسه ومنذ ذلك الحـــين بدأت اسرائيل بالاعتمـــاد على الدعـــم الامريكي بتأزيم الوضع السياسي اللبناني الداخلي وأخذت بالضغط عسكريا على لبنان •

ولم تلق في يوم من الايام محاولات القوى اليمينية الهادفة الى عزل لبنان عن طريق النضال العربي ضد المعتدين الاسرائيليين أي نجاح •

لم ترغب اسرائيل في مراعاة وضع لبنان الخاص ولا حتى وضع اليمين اللبناني حتى قبل تواجد فصائل منظمة التحرير الفلسطينية ، فبدأت بالقيام بالاعمال العدوانية ضد هذا البلد •

وفي ليلة الثامن والعشرين من شهر كانون الاول عام ١٩٦٨ شهد مطار بيروت الدولي عملية « انزال اسرائيلية » واعتداء غاشـــم حيث تم نتيجة هذه العملية تدمير ثلاث عشرة طائرة تابعة لشركات طيران عربية مختلفة ، وليس بين هذه الطائرات أية طائرة عسكرية •

أما الاعتداء التالي على جنوب لبنان فكان في الحادي عشر من شهر آب عام ١٩٦٩ • ففي ربيع عام ١٩٦٩ وقعت في لبنان اصـــطدامات دموية بين الفلسطينيين وقوات الجيش اللبناني ، واستغلتها الولايات المتحدة الامريكية واسرائيل خير استغلال ، حيث صدر بعد ذلك عن الولايات المتحدة الامريكية تصريح موجه لتعميق الخلاف بين الطرفين الفلسطيني واللبنـــاني ، وحاول

الامريكيون ايجاد مبرر لتدخلهم فيشؤون لبنان الداخلية، فادعى المسؤولون هناك بأن مصالحهم في لبنان تفوق مصالح أية دولة أخرى في العالم ، بعدها توقفت الاصطدامات اللبنانية ــ الفلسطينية • أما في شهر تشرين الثاني عام ١٩٦٩ فقد وقعت « اتفاقية القاهرة » لتطبيع الموقف وقد سمح بموجب هذه الاتفاقية التي وقع عليها الزعماء العرب في مؤتمرهم للفدائيين الفلسطينيين بالتواجد في الجنوب اللبناني •

جاء شهر آذار من عام ١٩٧٠ فاشتعلت اصطدامات مسلحة في بيروت ، وفي الوقت نفسه تعرضت المدن اللبنانية والمخيمات الفلسطينية الى قصف اسرائيلي من الجو والبحر ولم تتوقف بعد ذلك الاعتداءات الاسرائيلية ضد لبنان في الستينات والسبعينات •

في شهر أيار عام ١٩٧٣ أي بعد الهجوم الاسرائيلي على مطار بيروت الدولي وقعت في أجزاء متفرقة من لبنان اصطدامات بين قوات الجيش اللبناني والفصائل الفدائية الفلسطينية نتيجة استفزازات خارجية ، وتم افشال محاولة الايقاع بين اللبنانيين والفلسطينيين نتيجة موجة النهوض القومي المعادي للامبرياليةالامريكية في العالم العربي • وخرج أهالي بيروت قاطبة في العاشر من شهر نيسان عام ١٩٧٣ لوداع الضحايا الذين سقطوا في أعقاب العدوان الاسرائيلي ، وقال الناس في حينه : ان العدو لم يأت من البحر فقط بل ومن داخل السفارة الامريكية في بيروت • وأخذ أهالي بيروت يحرقون السيارات التي تحمل شارات أمريكية ، وكانت السفارة الامريكية محاطة بالمتاريس والاكياس المملوءة بالرمل ، وتم تشديد الحراسة على السفارة الامريكية من قبل الجنود اللبنانيين • وبهدف تخفيف سخط اللبنانيين على الحكومة الامريكية اضطرت رئيسة وزراء اسرئيل « غولدا مائير » للاعتراف علانية فياجتماع الكنيست الاسرائيلي بأن العملية الارهابية ضد الاراضي اللبنانية قامت بها اسرائيل ، وأن المخابرات السرية الاسرائيلية « والموساد » هي التي خططت للعملية ، وقامت القوات الجوية والبحرية الاسرائيلية بتنفيذها •

لقد كانت ملكية السيارات التي استخدمت في العملية الاسرائيلية ترجع الى وكالة الاستخبارات العسكرية الاسرائيلية « الموساد » حيث وصل الجنود الى بيروت بوثائق مزورة، وتم ارسالهم للاقامة في قسم «اطلنتيك»، وعجزت هذه التبريرات عن اقناع أي من الفلسطينيين أو اللبنانيين •

وصرح رئيس منظمة التحرير الفلسطينية « ياسر عرفات » بأنه لدى الفلسطينيين معلومات أكيدة باشتراك السفير الأمريكي السابق في بيروت « أرمين ميئير » في التخطيط للعملية الاسرائيلية ، وأصبح هذا السفير فيما بعد مستشارا خاصا للرئيس الامريكي في قضايا العمل « ضد الارهاب العالمي» وأخذت الصحف اللبنانية بعد ذلك بنشر الوثائق التي تفضح النشاط المعادي للبنان والذي قام به الدبلوماسيون الامريكيون •

وبلغ الحس العربي المعادي للامبريالية الامريكية ذروته في فترة حرب تشرين عام ١٩٧٣ عندما وقفت أمريكا بكل ثقلها الى جانب اسرائيل • وتجلى عداء لبنان لسياسة واشنطن العدوانية خاصة في صفوف الشباب والطلبة •

التنكر للوطن الام

غطى الدخان الازرق المسموم شوارع بيروت ، انه قصف تجريبي لمفعول القنابل الغازية. وكانت البنادق تلعب دور المحرض للعنف . وتناثرت في شوارع بيروت واجهات المحلات التجارية المحطمة ، وأصبحت قرقعة الزجاج المحطم تسمع تحت الاقدام . وتهاوت أعمدة الهاتف على الارض وتعلقت الخطوط الهاتفية بشكل يثير الشجون . وحرق المتظاهرون اطارات السيارات .

لقد تعود لبنان في السنوات الاخيرة على المفاجآت ، ولكن الغليان الطلابي عام ١٩٧٤ هيج كل المجتمع اللبناني ، وتزامنت هذه المظاهرات مع حركة الاضراب الشامل في لبنان . وأصدر اتحاد الطلاب في الجامعة الامريكية ببيروت بيانا جاء فيه :

« ... أيها الاهل الاعزاء ، نحن نقود النضال ليس من أجل الفوضى، فمطالبنا معقولة ولها أسسها ومبرراتها. نحن ننطلق من قناعاتنا بأن الجامعة يجب ان تخدم مصالح الشعوب في منطقة الشرق الاوسط ... »

وعبر الطلاب في هذا البيان عن دورهم الاساسي ، وخوفهم على مصير الشباب العرب الدارسين في أضخم جامعة أمريكية خارج الولايات المتحدة الامريكية .

لقد راقبت ادارة الجامعة بقلق وحذر الصعود والانتشار للنفسية الثورية بين صفوف الطلبة ، والذين كانوا يمثلون انعكاسا لنهوض حركة التحرر الوطنية في البلدان العربية . ولم تمر سنة واحدة دون أن يقوم طلبة

بيروت بمظاهرات واعتصامات ضد سياسة الولايات المتحـــدة الامريكية في الشرق الاوسط • لقد نادى الطلبة بوقف الدعم الامريكي لاسرائيل والتي تحتل أراضي عربية وتعتدي بشكل مستمر على لبنـــــان • وعبر الطلبـــة اللبنانيون عن تضامنهم مع شعب فيتنام وشعوب الهند الصينية •

« وكان الشعب العربي في ذلك الوقت يخوض نضالا عادلا من أجل تحرير الاراضي المحتلة ، وكانت وجهات النظر العالمية تعترف له بعدالة هذا النضال ، وكانت الولايات المتحدة الطرف الوحيد في العالم الذي يقدم الدعم والمساندة لاسرائيل والصهيونية العالمية •

ان السياسة الامريكية الداعمـــة لاسرائيل تساعد هذه الاخـــيرة على الاستمرار في سياستها التوسعية في المنطقة • فالاسلحة الامريكية تستخدم لتدمير مدننا وقرانا بهدف ترويع واخافة شعبنا » •

هذا الكلام هو جزء من الرسالة المفتوحة التي وجهها في ذلك الوقت ، وتحديدا خلال حرب تشرين، ثمانون من الاساتذة العرب فيالجامعة الامريكية في بيروت • والى جانب هذه الرســـالة قام الطلاب في الجامعـــة الامريكية بمظاهرات جدية أزعجت وأقلقت السفارة الامريكيـــة في بيروت والتي تقع أصلا جانب الجامعة الامريكية • وكتبت صحيفة « أوت لوك » الطلابية منذ زمن ليس ببعيد بأن سياج السفارة الامريكية ببيروت كان محـــاطا بأجهزة تصوير تلفزيونية تنقل مباشرة كل ما يحدث داخل الجامعة •

وأصبحت هذه الحقيقة معروفـــة من قبل اتحاد الطلبـــة في الجامعـــة الامريكية وأرسل هذا الاتحاد وفدا خاصا ومستعجلا برئاسة شخص اسمه فريد لمتابعة قرارات مجلس اتحاد الطلبة والذي كان من المقرر انهاؤه خلال ثلاثة أسابيع • وكلفت تلك اللجنة بالتأكيد على أن الاجراءات الادارية كانت هي شرارة للافكار المتحررة ، ولن تطفـــأ من قبل قيادة الجامعـــة ، ولذلك لجأت الى أساليب العقوبات الاقتصادية •

فارتفعت اجور التعليم عام ١٩٦٣ من (٣٠ ـــ ٤٠٪) ، وكانت ادارة

الجامعة تهدف من هذا الاجراء الى اغلاق أبواب الدخول في الجامعة في وجه الطلاب المنحدرين من عائلات ديمقراطية كادحــة • وكانت تلك الاسعار مصممة بشكل فقط ابناء الطبقة البورجوازية اللبنانية • لقد أرادت الجامعة تشكيل مايسمونه «بصفوة المجتمع» أي طبقة معينة ترتبط مصالحها بالمصالح الامريكية في هذه المنطقة •

فعندما يرى الانسان الحائط الحجري القديم حول الجامعة الامريكية في بيروت يشعر وكأنه في عالم آخر •

ولا يذكرنا المنظر الخارجي لتلك الجامعة نهائيا بالوضع المأســاوي الذي يعيشه الناس في الشرق الاوسط ، حيث تبدو الاعشــاب والشجيرات الصغيرة فيمدخل الجامعة وروضتها مقصوصة بشكل أنيق ومنتظم • زد على ذلك ان خريج الجامعة الامريكية يعتبر « عظمــه ابيض » وسط الخريجين الشــباب •

ويلقى خريجو الجامعة المذكورة دعواتللعمل فور تخرجهم من كبريات الشركات الخاصة ويسهل عليهم الدخول الى المناصب الاداريــة والحكومية المختلفة • وتتم دعوتهم عــادة وبعد فترة قصــيرة من العمل الى اكمــال دراستهم للحصول على شهادة الدكتوراه في الولايات المتحدة الامريكية •

وفهم طلاب الجامعة الامريكية ومنذ زمن طويل بأن أمريكا تضعهم في مناخ اصطناعي مليء بالمكروبات ، بهــدف عزلهم عن مجتمعهم ، وكتبــت صحيفة « آوت لوك » الطلابية في مقال رئيسي لها :

« نحن لسنا مجرد طلبة . نحن قبل كل شيء عرب نحب وطننا ، ونحن أعضاء في هذا المجتمع ، ونحن جيل المستقبل الذي يجــب أن يلعــب دورا اجتماعيا وسياسيا كبيرا » •

وتشكل هذه الافكار خطرا كبيرا ضد محاولات الادارة في الجامعــة لعزل الطلاب عن النضال السياسي •

وأعلنت ادارة الجامعة الامريكية في بيروت عام ١٩٧٣ وفي شهر تشرين

الثاني عن زيادة قدرها ١٠٪ عما أعلنت عنه سابقا لقاء الدراسة في الجامعة المذكورة• وبعث الطلاب برسالة الى عميد الجامعة صوميلو كيدكفودو طلبوا فيها الغاء الزيادة الاخيرة وتطبيق شعار ديمقراطية الجامعة •

ودعا الطلاب لأن تكون القاعدة الوطنيـــة هي أســـاس التدريس في الجامعة • ودعا الطلبة أن يتواجد ممثلوهم في لجان القبول ولجـــان الجامعة الاخرى •

لكن هذه المطالب قوبلت بالاهمال من قبل ادارة الجامعة ، فقام رئيس اتحاد الطلبة في تلك الجامعـــة (محمد مطر) باجـــراء مباحثات مع عميـــد الجامعة • فأجابه عميد الجامعة : « عليكم بالتفكير بالدراسة لا بالاضرابات، وسترفض الولايات المتحدة الامريكية امداد الطلاب الذين ربطوا أنفسهم بالسياسة من كل الوسائل اللازمة لمتابعة دراستهم » •

وكان هذا بحق تهديدا مباشرا من عميد الجامعة باغلاقها •

وظهر في اليوم التالي على مداخل الجامعة الاعلان التالي : «رفضت ادارة الجامعة مطالبنا ، وعلى الجميع التوجه الى الاجتماع » •

فذهب جميع الطلاب الى الاجتمـــاع بدلا من قاعـــات الدرس • وتم الاجتماع في بهو الجامعة أمام المبنى المركزي للادارة • حيث كانت المقررات تقرأ على الطلاب الذين قابلوها بهتافات التأييد العالية •

وعندما احتل الطلاب البناء الاداري في الجامعة الامريكيـــة ببيروت ، وضعوا على مداخل الجامعة مركزا للمراقبة •

وظهر على الجدران الكتابـــات التالية : « نريد أن نقرأ لكارل ماركس وانجلز ولينين » ، « نحن نعرف انكم تتلقون الاوامر من ادارة المخابرات المركزية الامريكية » • « نريـــد علمـــا لا يخدم الامبريالية » • وطرح الصحفيون على الطلبـــة المشاركين في مراكز الحراســـة السؤال التـــالي :

« كيف تفسرون تعليقكم لتلك اللافتات ؟ » •

ـ أجـاب الطلبـة : كما تفسرون لنا التاريـخ وعـلم الاجتمـاع والانتروبولوجيا وعلم النفس • نحن نراقب كيف تحاول الامبريالية ربطنا بسياستها ، نحن نحاول تصحيح وجهة نظركم الخاطئة •

ان شعار « ديمقراطية التعليم » الذي نطالب به يحـتم على الادارة وضع برنامج دراسي يخـدم وطننا وليس ادارة المخـابرات المركزيـة الامريكية » •

وقرر اتحاد الطلبة اللبناني في الجامعـة الامريكية ببيروت الخروج في مظاهرة طلابية عامة أمام وزارةالتربية• ودعا اتحاد الطلبةالى حمل عرائض تحمل مطالب محددة بخصوص ديمقراطية التعليم • وأخذ الطلبة بالتوافد على الجامعة الامريكية في بيروت من جميع أطراف المدينة •

وقال رئيس اتحاد الطلبة في تلك الجامعة لمؤلف الكتاب :

« ستكون مسيرتنا سلمية للغايـة ، لقد لفتنا نظر السـلطات الى هذا الامر ، وأخذنا الموافقة على تنظيم تلك المسيرة » •

وعندمـا خرج الطلاب الى شـارع المزرعة الفسيح ، أخذت صفوف المتظاهرين بالدخول الى مبنى وزارة التربيـة • ورأى الجميع هناك صفين من الجنود مع كامل اسلحتهم يسيجون الشارع ، فتوقفت الصفوف الاولى من المظاهرة • ولكن الصفوف الاخيرة لم تعرف سبب توقف بداية المسيرة • وصارت تدفع الصفوف التي قبلها لكي تتابع مسيرتها •

وبدأت صفوف الطلبة تموج وتطلق الهتافات العالية ، وصارت تلك الصفوف تتقدم ببطء نحو الجنود • ووصلت الاوامر الى الجنود ، وتطايرت القنابل المسيلة للدموع فوق رؤوس الطلبة ، وتوقفت جموع الطلاب التي أخذت تدريجيا بالتراجع ، وقذف الطلاب الشرطة بالحجارة ، واستمر القتال الدامي بين الطلاب وجمـوع الشرطة حوالي سـاعة كاملـة • ثم أخـذت الشرطة باستخدام الاسلحة الرشاشة واطلاق النار في الهواء كتحذير جدي• وانقسم الطلاب الى مجموعات دفاعية توزعت في جميع الاتجاهات • ولكن

الشرطة أمسكت بهم وألقتهم في سيارات الشرطة الجاهزة لهذه الغاية . وأعلن اتحاد الطلبة في الجامعة الامريكية ببيروت في مساء ذلك اليوم عن اشتراك حوالي عشرة آلاف طالب في تلك المظاهرات . وأعلن الطلبة عن عزمهم على الاستمرار في النضال الى أن تستجيب السلطات المعنية لكامل مطالبهم العادلة .

وأعلنت العديد من الاحزاب السياسية التقدمية ، والمنظمات الديمقراطية ، وخاصة اتحاد الشباب الديمقراطي اللبناني عن دعمه وتأييده لنضال الطلبة . وقال الامين العام لاتحاد الطلاب الديمقراطي في لبنان :

« هدفنا هو ديمقراطية التعليم ، ونحن نريد لكل لبنان أن يستطيع الحصول على التعليم » .

ولا توجد في لبنان مدارس عادية كافية لجميع الطلاب . ولا توجد في الجامعات اللبنانية فروع لكليات الطب أو الهندسة .

كما وتدرس الجامعات الوطنية اللبنانية والجامعة الامريكية معظم موادها كالفلسفة والرياضيات باللغات الاجنبية وخاصة باللغتين الفرنسية والانكليزية . ولهذا السبب استطاع شعار ديمقراطية التعليم أن يجمع ويوحد كل الطلاب الشباب .

ونرفع في نفس الوقت شعار « ديمقراطية العمل » ، ذلك لأن العمال اللبنانيين الشباب يعانون من عدم وجود أي ضمان اجتماعي ، ويضطر سنويا حوالي عشرين ألف لبناني شاب الى الهجرة خارج البلاد لأنهم لا يستطيعون ايجاد عمل في وطنهم الام .

ويعاني المزارعون اللبنانيون من ظروف عمل قاسية ، ولا تجمعهم أية نقابة »

وتابع رئيس اتحاد الطلبة يقول : نحن نريد توحيد قوى العمال والفلاحين والطلاب والمثقفين على قاعدة النضال المشترك ، نحن نناضل من

أجل الديمقراطية والمساواة الاجتماعية ضد الامبريالية والصهيونية العالمية والعدوان الاسرائيلي ومن أجل حل عادل لمشـــكلة الشرق الاوسط وتحقيق الحقوق العادلة للشعب العربي الفلسطيني ومن أجل السلام والتقدم .

نحن نعرف بشكل جيد ان الاتحـــاد السوفييتي والبلدان الاشتراكية الاخرى هم أصدقاؤنا وحلفاؤنا في هذا النضال » .

وقررت قيادة الجامعة الامريكية في بيروت الغاء العام الدراسي ١٩٧٤، وهذا يعني منع الطلاب الذين درسوا فصلين دراسيين كاملين من التقـــدم الى الامتحانات .

في أتون النزاع

كانت قعقعة الجنازير تسمع في كل مكان ، وأخذت تجهيزات الاوغاد العسكرية وخاصة الدبابات الاسرائيلية مواقعها ، تمهيدا لدخول بيروت الغربية وغير معروف اذا كانت هذه المواقع مختارة بالصدفة أم بشكل متعمد وتوقفت الدبابات الاسرائيلية في المنطقة التي شهدت الاحداث الاولى التي أدت الى شق الصف اللبناني منذ سبع سنوات • ان تلك الاحداث مهدت الطريق أمام الاسرائيليين لاحتلال قسم من الاراضي اللبنانية •

وتمركزت الدبابات الاسرائيلية عام ١٩٨٢ بمنطقة عين الرمانة . وتم اختيار هذا المكان من قبل القيادة العسكرية العليا لها •

وقامت قوات حزب « الكتائب » اليمينية في نفس اليوم ، أي في الثالث عشر من نيسان عام ١٩٧٥ بالهجوم على الباص الذي كان يقل عددا من المشاركين في الحفل المخصص لتكريم ذوي الابطال في حركة المقاومة الفلسطينية • وتم في تلك العملية قتل ثمانية وعشرين شخصا بصورة وحشية في ساحة عين الرمانة مباشرة • وكان من بين القتلى العديد من اللبنانيين والفلسطينيين من الاطفال والنساء والشيوخ •

ان وحشية تدبير المجزرة ورباطة جأش المجرمين في تنفيذهم لجريمتهم المرعبة هز العالم كله • وبدأت الاشتباكات في اليوم التالي بين صفوف التجمعات اليمنية واليسارية في لبنان • وأشارت هذه الاحداث الى أن لبنان يقف على حافة أحداث درامية مروعة• وكان الانطباع الاولي يوحي بأن تلك الاشتباكات هي بين المسلمين والمسيحيين، أو بين اللبنانيين والفلسطينيين•

ولكن كان لتلك الاصطدامات خلفيات أعمق وأخطر من ظاهرها ، ذلك لأن الاشتباكات بين المسلمين والمسيحيين ، وبين اللبنانيين والفلسطينيين وقعت في الماضي أكثر من مرة •

وتحولت هذه الاشتباكات في تلك الايام الى نزيف دموي خطير ، لقد كان هذا النزيف بالفعل هو بداية للحرب الاهلية •

وتركزت في لبنان الصغير كل تناقضات الشرق الاوسط ، الطبقية والسياسية والدينية والعشائرية • وكانت السيادة اللبنانية تقع على الدوام تحت تهديد مباشر • لقد عرف اللبنانيسون ومنذ زمن بعيد ان الصهاينة يحاولون التقدم نحو الجنوب اللبناني لاحتلاله حتى ضفاف نهر الليطاني ومدن صور وصيدا • وأصبح الآن معروفا جيدا ان اسرائيل هي التي خططت وجهزت للحرب الاهلية في لبنان وقبل وقوعها بفترة طويلة • وكان هناك في لبنان خمسة عشر مخيما للاجئين الفلسطينيين قبل بداية الحرب الاهلية • وكانت سبع من تلك المخيمات تقع بالقرب من مدينة بيروت • زد على ذلك كون القيادة العامة لحركة المقاومة الفلسطينية تقع في مدينة بيروت نفسها وكذلك قيادة منظمة التحرير الفلسطينية وكتبت الصحافة الاسرائيلية قبل وقوع الخلافات المسلحة بيومين ما يلي :

« لن تقوم اسرائيل بأية عملية للقضاء على الفلسطينيين ، ذلك لأن العرب في المستقبل القريب سيذبحون بعضهم بعضا » •

وكانت النداءات المكتوبة على جدران البيوت في مدينة بيروت : نتمنى للبنان الوفاق والهدوء والازدهار بدلا من الشظايا والرصاص •

فقبل فترة ليست ببعيدة كان لبنان جنة على الارض بالنسبة لكل من زاره ومعه المحافظ الممتلئة لكي يقضي هناك فترات الراحة والاستجمام • ان الاشتباكات الدموية التي شهدها لبنان عام ١٩٧٥ أشارت الى أن لبنان كان يعيش على برميل بارود ، وعلى الرغم من أنه كان وعلى مر العصور سوقا لأصحاب الاستثمارات الحرة ومركزا سياسيا هاما •

ان الشوارع البيروتية المضاءة بمصابيح النيون ، ومحلات السينما ، ودور المسارح والسواحل الجميلة والمنتزهات الصحية في أعالي الجبال تشهد كلها على أن لبنان خلق لترفيه وأسعاد السياح • وليس كل السياح الذين زاروا بيروت يعرفون أن العاصمة اللبنانية محاطة بسياج «من الفقر» والاحياء الوسخة الفقيرة ، حيث تعيش الاسر الفلسطينية واللبنانية في أكواخ مهلهلة ، ويبلغ عدد الفقراء القاطنين في تلك الاحياء حوالي خمس السكان أي ما يقارب ستمائة ألف انسان• ويستقر أكثر هؤلاء السكان هناك اما خوفا من الغارات الاسرائيلية على الجنوب اللبناني أو هربا من ظلم الاقطاع الى أنوار بيروت البراقة •

ولم يكن بامكانهم ايجاد عمل مريح ، فأخذوا يوافقون على القيام بأعمال صعبة وبأجر رخيص جدا •

ان نسبة الموت بين هؤلاء البشر تفوق بمرتين ونصف نسبتها في أوساط السكان الاغنياء •

ان سوء أوضاع الطبقة العاملة أدى الى زيادة التناقضات الاجتماعية فاضطر حوالي (١٢٠) ألف مواطن لبناني الى الهجرة بين عام (١٩٧٠ — ١٩٧٣) فقط • وارتفعت أسعار المواد التموينية الضرورية في عام ١٩٧٥ من (٢٠ — ٢٥) ٪ بالمقارنة مع عام ١٩٧٤ •
وتفاقمت آنذاك وبشكل خطير مشاكل التعليم والصحة في لبنان •

لم تأخذ الاشتباكات الدموية في لبنان في صيف عام ١٩٧٥ طابعا دينيا أو قوميا فقط ، بل وطابعا اجتماعيا وطبقيا• هذا ما أعلنت عنه الصحف البورجوازية آنذاك •

لقد شكلت الطائفة المارونية والمنتمية الى الكنيسة الرومانية الكاثوليكية حزب « الكتائب » للدفاع عن مصالح هذه الفئة البورجوازية من المجتمع اللبناني • ان الفصائل المسلحة لهذا الحزب كانت وما زالت أعتى قوة من القوى الرجعية في لبنان •

وقامت الاحياء الفقيرة كردة فعل باقتناء السلاح كاحتياط لأي خطر محتمل ».

ان تدمير المحلات التجارية الفخمة ، والصالونات الراقية ، والمطاعم الكبيرة لم تجلب الاذى للرجعية ، كما أشارت الى ذلك العديد من الصحف اللبنانية ، ولكنه المخرج الطبيعي والوحيد لسخط وحسد وظلم السكان الذين يعانون من الفقر والفاقه والتي عاشت في ظروف الفقر والحرمان . وفي كل مرة يعلن فيها عن وقف اطلاق النار في لبنان ، يبدأ الاقتصاديون بحساب الخسائر التي لحقت بالاقتصاد اللبناني خلال شهور الاشتباكات الدموية .

لقد كانت الارقام التي أعلن عنها رجال الاقتصاد خير دليل على فداحة الخسائر التي لحقت بالاقتصاد اللبناني .

ولذلك بدأ رجال الاعمال بالبحث عن مخرج مناسب للازمات الاقتصادية التي عصفت بلبنان .

وشعرت الرجعية اللبنانية المسيحية لأول مرة بقوة « حزام الفقر » وأجبر شعور الخوف العام جميع اللبنانيين على التحدث عن ضرورة « الاصلاح » بهدف اصلاح الامور والحصول على أكبر قدر ممكن من الربح فقد توقفت العديد من المصانع والمعامل ، وتوقف تدفق السياح الى لبنان ، وشهد الاقتصاد اللبناني انحدارا خطيرا ، وتقلصت النشاطات التجارية والمالية في لبنان . واستمرت الشخصيات السياسية اللبنانية في البحث عن مخرج للرجوع بلبنان الى حياته السلمية الهادئة ، ولكن عجز الجميع عن ايقاف شلال الدم ولفترة طويلة ... » .

لقد أصبح لبنان المركز التجاري والمالي الرئيسي في الشرق الاوسط بسبب موقع بيروت الهام على تقاطع الطرق العالمية ، ووجود الخبراء في البنوك ذات الشهرة العالمية ، والاقتصاديين ورجال التجارة .

ان معرفة السوق تؤدي الى اعادة بيع البضاعة بشكل ميسر حتى ولو لم يشاهد التاجر والمشتري بعضهما بعضا .

وسمح هذا الامر للبورجوازية اللبنانيـــة بجمع الثروة الهائلة • ففي الوقت الذي هبط فيه سعر الدولار والجنيـــه الاسترليني شعرت الليـــرة اللبنانية بنفسها قوية وواثقة •

وفي الحقيقة فان دور لبنان كمركز مالي وتجـــاري قد قل كثيرا قبيل الاشتباكات المسلحة بوقت طويل •

فبعد حـــرب تشرين عام ١٩٧٣ أصبحـــت الدول العربية المصـــدرة والمستخرجة للنفط تتصرف بأمورها المالية بنفسها •

وفقدت بيروت بذلك دورها كوسيط مالي وتجاري •

ان التضخم الذي شمل في ذلك الوقت العديد من بلدان العالم وارتفاع تكاليف الحياة بحوالي ثلاث مرات • أدى الى هجرة الناس من القرية الى المدينة • اشتدت في هذه الفترة بالذات وطـــأة «حزام الفقر» حول الاحياء الغنية في بيروت •

وشعر رجال الاعمال اللبنانيون بأن وطنهم يعـــاني من انهاك خطير ، وأنه بدأ يفقد وزنه •

ولمس خليل سالم المدير العام لوزارة المالية اللبنانية حقيقة الخطـــر الذي يهدد الاقتصاد اللبناني وذلك عندما عرف ان : بنك « فيرست ناشونال ستي بانك » سينقل مركزه من بيروت الى البحـــرين ، واتصل السيد خليل سالم بالمدير العام للبنك المذكور هاتفيا محـــاولا اقناعه بالعدول عن قرار النقل • ولكن عجزت تلك الاقناعات والحجج عن تغيير القرار الذي اتخذه المدير العام لبنك « فيرست ناشونال ستي بانك » وكانت أصوات البنادق في شوارع بيروت أقوى من كل الحجج والبراهين •

« أجل ، لم تعد بيروت المكان الآمن الذي يمكن فيه تنفيذ العمليـــات المالية والتجارية الضخمة » •

هذا ما قاله المدير العام للبنك المذكور للصحفيين ومراسلي وكـــالات الانباء حين مغادرته مطار بيروت الدولي •

وانسحب العديد من البنوك في أعقاب هذا القرار • وانسحبت أشياء أخرى غير البنوك ••• من بيروت •

وطرحت البورجوازية اللبنانية المسألة التالية :

هل بالامكان اجبار ممثلي البنوك التي أغلقت أبوابها في بيروت على العودة على العمل مرة ثانية في العاصمة اللبنانية ؟

وساعدت الصحافة اللبنانية البورجوازية اللبنانية في هذا الطرح حين كتبت تعليقات لها تفيد بأن البنوك التي غيرت مراكز عملها ستلاقي الخسارة والافلاس حتما، وأن المدراء العامين لتلك البنوك لن يجدوا في منطقة الشرق الاوسط مكانا مريحا أكثر من بيروت • وانتقلت العديد من البنوك الى ايران لأنه مكان مناسب أيضا ، وأخذ الآخرون بالبحث عن أماكن لهم في الاسكندرية والقاهرة •

وتساءل الجميع في لبنان ، وأبدوا الشكوك الكبيرة في أن لبنان سيستعيد في يوم من الايام دوره الفريد الذي احتله لفترة طويلة في النظام المالي والتجاري للعالم الرأسمالي •

لقد حاولت القوى الرجعية في لبنان والتي خلقت الاقتتال أصلا والمرتبطة مع الرأسمالية العالمية بكل قواها الابقاء على أصحاب التجارة الحرة والعمل على زيادة أرباحهم • وحاولت البورجوازية اللبنانية الكبيرة وقبل فترة قصيرة الحفاظ على هيبتها وفخامتها •

وندم الكثيرون من هؤلاء بعد ذلك على هذا التصرف • ويوجد الآن البعض من رجال الاعمال اللبنانيين والذين يرغبون في تحطيم الجدار الحجري الذي يحيط بالاحياء الفقيرة • وهذا بحد ذاته هو تغيير واضح في نفسية رجال الاعمال اللبنانيين •

واذا كانت السلطة اللبنانية هي التي بنت هذا الجدار ، وتعامت عن المشوهين في الاكواخ الحقيرة • فلماذا تنبهوا لهم من جديد ؟

لأنهم أصبحوا في مواجهة الهول والرعب الذي فرضه « حزام الفقر » حول أحياء بيروت الغنية •

لقد أخذ التجار اللبنانيون يتذكرون كمية القنـــابل التي سقطت على محلاتهم التجارية في شهور أيار ، تشرين الثاني ، وكانون الاول عام ١٩٧٥ وبدأوا يتذكرون الخسائر الفادحة التي لحقت بممتلكاتهم في تلك الايام •

لقد شعر الرجعيون في لبنان ومنذ زمن بعيد بازدياد حدة التناقضات الاجتماعية في هذا البلد ، وهزت الاضرابات في الآونة الاخيرة كل لبنان • لقد تظاهر الشغيلة اللبنانيون ضد الغلاء الفاحش ، وشارك هؤلاء الشغيلة اخوتهم الفلسطينيين الذين اعتصموا فيمخيماتهم المحيطة بالعاصمة اللبنانية بيروت •

وفهم المواطنون في جنـــوب لبنان والذين يعانون كل يوم من القصف الاسرائيليالبري والجوي بأن مصيرهم ومصير اخوتهمالفلسطينيين واحد ، فاضطروا للدفاع ســـوية عن قراهم وأسرهم وممتلكاتهم • وعلى الرغم من ان هذه المهمـــة ، أي مهمة الدفاع عن الوطن يجـــب أن تقع على كاهـل الجيش اللبناني ، ولكنه لم يتحرك أبدا • وعلى العكس فقد عانى الاهالي ولأيام طويلة منمداهمات وقمع الجيش اللبناني لهم • وأدت هذه التصرفات الى ضياع هيبة الحكومة اللبنانية في الجنوب اللبناني •

لقد أعطى الجنوبيون كل عاطفتهم وحبهم للفلسطينيين •

واتفق الجنوبيون مع فصائل الثورة الفلسطينية المتواجدة هناك على تنظيم وتشكيل طلائع مسلحة خاصة بهم لحماية أسرهم وقراهـــم وبالتالي لحماية حدود لبنان الجنوبية من الهجمات الاسرائيلية •

لقد أصبح فقراء لبنان والفلسطينيين القوة التقدميـــة الرئيسية على الساحة اللبنانية وقام الصيادون اللبنانيون في مدينة صيدا في كانون الثاني عام ١٩٧٥ باضراب شامل موجه ضد الشركة التي تستغل عملهم •

وقام الفلسطينيون على الفور بمناصرة الكادحين اللبنانيين في مواقفهم •

ومن الجدير بالذكر أن ملكية هذه الشركة تعود لكميل شمعون ومن المعروف عنه انه أكثر الشخصيات المارونية رجعية ••

وزجت الحكومة بالجنود المسلحين لمواجهة هذه الاعتصامات ، ذلك لأن الجيش اللبناني مخصص أصلا لحمايـــة مصالح الشخصيات المالكـــة وفضل الجيش اللبناني أثناء الغزو الاسرائيلي لجنوب لبنان عدم التدخـــل في هذا الصراع •

ولكن الجيش اللبناني قام وبأوامر مباشرة من ضباطه الكبار بمهاجمة المسيرة السلمية العزلاء من الســـلاح • فقتل العديد من المواطنين ، وغطت المتاريس شوارع المدينة ، « وتم دفن عضو مجلس النواب اللبناني والذي قتل في صيدا وهو ملفوف بعلم فلسطين• وتم في لبنان الاعلان عن الاضراب العام •

وقام رئيس حزب الكتاب بيير الجميل بتنظيم مسيرة في بيروت لتأييد الجيش في كل تصرفاته • وظهر بعد ذلك على جدران الابنية العبارة التالية : « الجميل ــ اسحق رابين ــ ادارة المخابرات المركزية الامريكية » •

ووجدت المنظمات والاحزاب التقدميـــة التي تساند حركـــة المقاومـــة الفلسطينية في سكان الجنوب اللبناني القاعـــدة الصلبة التي يستندون اليها في ممارسة نشاطاتهم •

وانتشرت بسرعة مذهلة هذه القاعـــدة لتشمل بيروت وطرابلس ومدنا لبنانية اخرى •

وعجز المواطنون الهاربون من القصف الاسرائيلي الى بيروت والمدن اللبنانية الاخرى عن ايجاد فرص عمل مناسبة •

لقد أجبرهم منطق الوجـــود الى الرحـــيل والاستقرار في المخـــيمات الفلسطينية • وشعر الجميع أنهم قد فقدوا وطنهم •

لقد أثارت مخازن بيروت الفخمة ، ونو عالحياة التي تعيشها الطبقة اللبنانية البورجوازية في نفوس هؤلاء المحرومين الحسد والغيرة • وهكذا أصبحت كل الظروف مهيأة لبدء الصراع بين هاتين الطبقتين ، وبدأت الطبقة البورجوازية اللبنانية المرتبطة مع الدوائر الامبريالية تستعد لمواجهة الفقراء وقمعهم • فحاولت لهذا السبب قمع الحليف الاستراتيجي لفقراء لبنان ألا وهو حركة المقاومة الفلسطينية بواسطة قوات الجيش • وحصلت أضخم تلك المحاولات في أعوام ١٩٦٩ ، ١٩٧٣ • وعجزت تلك المحاولات عن تحقيق الاهداف التي جاءت منأجلها • وبدأ ساعد حركةالمقاومة الفلسطينية يشتد ويقوى • وتحسنت علاقة المقاومة الفلسطينية مع سكان لبنان . وتعامل هؤلاء السكان مع النضال الفلسطيني بحرارة وصدق وعاطفة قوية •

ان مناقشة أحداث الثالث عشر من نيسان عام ١٩٧٥ منذ بدايتها ، أي منذ أن هاجم الكتائبيون الباص الذي كان يقل المدنيين ، ومنذ أن قتلوا ثمانية وعشرين شخصا من الابرياء العزل • ومن المفيد هنا أن ننوه الى أن الفلسطينيين لم يرتكبوا أي خطيئة يستحقون عليها هذا العقاب ، ولهذا السبب فاننا سنتعرض لمراحل الصراع ودرجة تطوره • فقد توهم العديد من الناس في شهر نيسان بأن الاشتباكات المسلحة في بيروت ليست سوى انعكاس للعلاقات الفلسطينية ـ اللبنانية • وأشار العديد من المهتمين بالمسألة اللبنانية الى أن الصراع اللبناني كان يجب أن يتم ويتطور حتى ولو لم يوجد العنصر الفلسطيني وأشار العديد من الكتاب اللبنانيين الى ان غياب الفصائل الفلسطينية المسلحة في لبنان قد يؤدي دور العامل الحافز والمنشط لاشعال نار الحرب الاهلية ، واشتداد الخلافات الموضوعية والحياتية • وأخذت الحرب في شهر أيار شكلا دينيا ، ولكن هذا الشكل لم يكن سوى مظهر خارجي لحقيقة الصراع •

وبدأ المسلحون في الاحياء المارونية يوقفون السيارات ويفتشون عن جوازات السفر والبطاقات الشخصية ، فاذا صادفهم اسم محمد أو أحمد حتى ولو لم يكن مذنبا ، ينزلونه من السيارة ويوقفونه على الحائط ويطلقون

النار عليه • وأخذ المسلمون في أحيائهم بمعـاملة كل من : بطرس وجورج المعاملة نفسها التي يلقاها أحمد ومحمد في الاحياء المسيحية • وهذا يعني أن الصراع ذهب الى مدى بعيد جدا ، وكان اللبنانيون يخافون على الدوام الصراعات الدينية والاجتماعية • وتوقف القتال فجأة •

ان الصراعات ذات المظهر الديني تعكس بوضوح الطابع الاجتماعي • وذهبت جذور الخلاف الى مدى بعيد أي الى قلب المجتمع اللبناني • وتحرك « حزام الفقر » المحيط ببيروت ، وصار « شعور الرعب » يؤثر على أعمال الرجعية اللبنانية • ورأى هؤلاء ان المخرج من الوضع يكمن في اقامة حكم ديكتاتوري •

فتشكلت في لبنان حكومة عسكرية ، وظهرت هذه الحكومة لكي « تعيد النظام » ، ولكن الهدف الحـقيقي من تشـكيل تلك الحكومة هو اخـراج الكتائبيين من المأزق الذي وقعوا به •

وأملت تلك الحكومة عدم مبالاة القادة اللبنانيين التقدميين وقـادة حركة المقاومة الفلسطينية ، ولكن هذه الحسابات كانت خاطئة وغير دقيقة • فوقفت العديد من الشخصيات القيادية المسلمة والمسيحية على حد سـواء ضد الحكم العسكري • وظهرت في بيروت من جديد المتاريس • وتم الاعلان عن الاضراب الشامل والذي استمر ٤٨ ساعة • فانهارت محاولة تشـكيل ديكتاتورية عسكرية ، وظهر حزب « الكتائب » معزولا تماما •

ولكي يستطيع الكاثوليك حكم لبنان حـيث يشكل المسلمون نصـف السكان حاولوا امتلاك وشراء جماعة من المسلمين المؤيدين لهم •

وفشل بيير الجميل القائد العام لحزب « الكتـائب » اللبنـاني في أن يجمع حوله أي مسلم ، ولم يرض أحد من المسلمين هناك مجرد محادثته أو مناقشته • وحاول الكتائبيون اعـادة المسلمين الذين خرجـوا من الساحة السياسية في لبنـان منـذ زمن بعيد الى مقـاليد السلطة • وفشـلت هذه المحاولات أيضا •

ولم يخاطر هؤلاء الزعماء بالعمل مع الارهابيين الكتائبيين في الوقت الذي أصبحت جماهير الشعب اللبناني ضدهم .

لقد دلت الاحداث على أن السلطات المارونية حاولت تحويل تجمعها الى شبكة سياسية . وسقطت هذه التجربة منذ أيام المحنة الاولى ، عندما فشلت السلطة الكتائبية في اجبار المارونيين جميعا على تأييد حزب « الكتائب » . وتبين بسرعة فائقة ان هذه المحاولات لم تجد نفعا وكان بين المارونيين العديد من الشخصيات التي عارضت سياسة حزب « الكتائب » الطائفية الفاشية . وتظاهر العديد من المارونيين أمام مبنى البرلمان وشطبوا من جوازات سفرهم كلمة الانتماء الديني .

وتم أثناء انتخابات حزب « الكتائب » بين أفراد مجلس البطريركية المارونية ، القاء كلمات تندد بالبورجوازية اليمنية. وتبين في صفوف المعارضة المارونية الفئات التالية : القوى الليبرالية اليمنية وكانت تمثلهم « الكتلة الوطنية » بزعامة ريمون ادة . وحزب « الدستور » بزعامة خليل الخوري ، الحزب الديمقراطي بقيادة اميل بيطار ، الحركة المسيحية النشطة ، والعديد من الحركات الاخرى . وهبت النيرات في نهاية شهر تشرين الثاني عام ١٩٧٥ بفندق « الهوليدي أن » في بيروت وفي فندق « فينيسيا » . وتعالى الدخان الاسود في سماء بيروت الزرقاء ، وازدحم القناصون وهم يرتدون على رؤوسهم الجطات النسائية السوداء ولها شقوق عند أعينهم . وصوبوا بنادقهم الى أي هدف في شوارع بيروت ولم تسلم من رميهم حتى النساء التي تقف على الدور من أجل الحصول على الحليب . ومنذ نهاية شهر تشرين الثاني عام ١٩٧٥ ، أخذت الصحافة اللبنانية تكتب عن نار الحرب الاهلية التي أخذت بالاشتعال .

وصرح كل من اليمينيين واليساريين على السواء بأن لبنان سيتغير بصورة مختلفة عما كان عليه .

وورد اقتراح اعادة تشكيل لبنان الجـديد في كتاب الاستقالة الذي قدمه رئيس الوزراء اللبناني في أعقاب الاحداث الدامية في الثالث عشر من نيسان •

وبعد سقوط الحكم العسكري في لبنان أخذت القوى التقدمية اللبنانية تطالب باجراء الاصلاحات الديمقراطيـة ، والقضاء على سيطرة الزعامات الدينية الحاكمة • وبكلمات أخرى فان مطالب القوى اليسـارية تنحصر في اقامة حكومة لبنانية علمانية ، أي أنهم يعارضون النظام الطائفي الـذي قامت عليه الحكومة اللبنانية •

وانتقد المعارضون بشكل علني وعلى صفحات الجرائد اللبنانية النظام الطائفي وأشاروا الى سلبياته العديدة، ذلك لأن اختيار الاشخاص للمناصب الحكومية لايتم من خلال كفاءاتهم الشخصية بل من خلال انتماءاتهم القريبة أو البعيدة من بعض الطوائف • مما يضعف بالتالي الجهاز الحكومي ، لأن ذلك الموظف وبالتأكيد لن يخدم الا مصـالح فئته أو عشيرته . وسينظر الى الفئات الاخرى بوجه بيروقراطي متغطرس •

وهل يوجد أسوأ من هذا النظام الذي وجد خصيصا كي يطبق المثـل القائل : « القانون مثل عريشة مركبة •••• » •

ان نظام الحكم اللبناني يرتكز على ثلاثـة مرتكزات أسـاسية هي :
ـ دستور عام ١٩٢٦ والذي صدر تحت اشراف فرنسي •

ـ « الميثاق الوطني » الصادر عام ١٩٤٣ ، وهو اتفاق مهـذب بين ممثلي الطوائف الدينية والاجتماعية اللبنانية المختلفة •

ـ مازالت تطبق في لبنـان الكثير من القوانين اللبنانيـة العثمانيـة (التركية) الصادرة عام ١٩٠٨ •

والمهم في هذا النظام هو « الميثاق الوطني » الذي تحدث عن حقوق ثماني عشرة طائفة لبنانية معترف بها في هذا الميثاق •

وتم توزيع المناصب الحكومية والبرلمانية وأجهزة الدولة عليهم بشكل مكتوب في هذا الميثاق وحسب الاحصاءات السكانية الجارية في لبنان قبيل الحرب العالمية الثانية • وحسب تلك الاحصاءات تبين ان الطائفة المارونية تشكل الاكثرية الساحقة في لبنان، وبناء عليه فانها حصلت على أكبر المناصب وأكثرها حساسية • وتحولت لهذا السبب الى أكثر الطوائف اللبنانية يسرا وغنى •

والمسيحيون اللبنانيون من الطائفة المارونية هم أتباع الكاهن السوري الزاهد (مارون) والذي عاش في القرن الخامس • وبعد وفاته خضع أتباعه لاضطهاد من قبل الطوائف الدينية المسيحية الاخرى • واضطر المارونيون للهجرة الى المدينة والانعزال عن العالم في الدير بين الاقفال • وهذا ما جعلهم في منأى عن الفتح الاسلامي الكاسح في القرن السابع • ان الحياة المغلقة التي عاشها هؤلاء في العصور الوسطى تركت آثارا واضحة على تاريخ هذه الطائفة اللاحق •

وتشعر هذه الفئة من الشعب اللبناني حتى الآن انها غريبة عن العالم الاسلامي ، والى درجة انهم يصرحون انهم ليسوا عربا •

ووفقا لتوزيع المناصب الحكومية بشكل طائفي فانها تعود الى كثرة الطائفة أو العشيرة • ولهذا السبب فان منصب رئيس الجمهورية وحسب القانون اللبناني الحالي هو من نصيب الطائفة المارونية ، وترجع لهم مناصب قيادة الجيش والمخابرات العامة • وهكذا تتمركز السلطة السياسية في أيدي الطائفة المارونية •

ويرجع منصب رئيس مجلس الوزراء حسب هذا القانون الى الاسلام السنة ، أما رئيس مجلس النواب فيجب أن يكون منتخبا من بين أفراد الطائفة الشيعية •

وبالاضافة الى النظام الطائفي في لبنان فان رواسب الاقطاعية : وما قبل الاقطاع ما زالت تحكم في لبنان • وما زال الشيوخ ورؤساء العشائر

حتى الآن يتمتعون بنفوذ وسلطة واسعة • وعلى مستوى الحياة السياسية فيمثل هؤلاء الشيوخ الاحزاب والمنظمات المختلفة • وتعتمد هذه الاحزاب أو المنظمات على القبائل أو الطوائف التي ينتمي اليها ذلك الشيخ أو النائب وينتقل عند ذلك لقب المشيخة الى الاجيال اللاحقة بالوراثة •

فقد حصل الرئيس اللبناني الحالي أمين الجميــل على منصب رئاسة الجمهورية بعد وفاة أخيه الرئيس بشير الجميل والذي انتخــب بعد وفاة والده بيير الجميل الذي يمثل شيخ الطائفة المارونية فأصبح أولاده من بعده شيوخا لتلك الطائفة •

هذه الوراثة تنتقل أيضا الى زعامة حــزب « الكتائب » الذي يمثل السلطة الرئيسية في المجتمع اللبناني •

لقد قام للعديد من شيوخ لبنان واقطاعه بتشكيل فصائل مسلحة خاصة بهم ، جيوش وحراس تفوق قوتها أحيانا قوة الجيش اللبناني نفسه • ويقع على سبيل المثال ما يسمى « بالشرطة المارونية » تحت أمرة عائلة الجميل •

وتتمسك معظم الطــوائف اللبنانية حتى الآن وبشكل دقيق بالنظــام الطائفي لتوزيع السلطات والمناصب على الرغم من أن نسب تعداد الطوائف الدينية والعشائرية تغيرت مع مرور الزمن •

والحل الوســط الذي تم الاتفــاق عليه عــام ١٩٤٣ بين الزعمــاء التقليديين للطوائف المسيحية والاسلامية ما زال فعالا في لبنان • وطرأ على هذا الاتفاق بعض التغييــر عــام ١٩٥٨ : أي عندما اســتطاع المســلمون الاقطاعيون والبورجوازية المحلية الحصول على فاعلية واســعة في قيادة لبنان ، علما بأن المسلمين ومنذ زمن بعيد فاقوا المسيحيين من حيث العدد • وهذا ما أدى الى اشتباكات عنيفة بين الطوائف •

وطغت المشكلة المسيحية ـ الاسلامية مع مرور الزمن أكثر فأكثر على السطح • والطائفة المارونية مرتبطــة مع دول أوربا الغربية لذلــك فهي تتلقى الدعم والتأييد من الدول الاستعمارية العظمى •

واعتبرت فرنسا الطائفة المارونية سندا لها في الوسط العربي ؛ ويعرف جميع المارونيين عادة اللغة الفرنسية عن ظهر قلب •

وليس مستغربا هنا وصول المبعوث الفرنسي (كوب ديميورفيل) كوسيط لحل خلافات ربيع عام ١٩٧٥ •

وقد أدى انخفاض دور الطائفة المارونية في الحكومة اللبنانية الى اضعاف الموقف الفرنسي في العالم العربي •

وراهنت الولايات المتحدة الامريكية أيضا على هذه الطائفة وبشكل دائم • وان كانت الطائفة المارونية مرتبطة بالدوائر والحكومات الامبريالية، فلا يجوز لنا تعميم هذا الوضع على كل مسيحيي لبنان •

لقد عانى العديد من مسيحيي لبنان الكثير وخاصة أيام الصراعات الطائفية من التقسيمات العشائرية في لبنان ، لأن الصراع اللبناني أخذ طابعا دينيا ، فغالبا ما وقع المسيحيون من أتباع كنيسة الروم الارثوذكس بين رحى الحرب • لقد نبذ المارونيون الأرثوذكس لأنهم يتعاطفون مع قضية الشعب العربي الفلسطيني • ولكن المسلمين لم يستطيعوا دائما تمييز الارثوذوكس عن المارونيين •

وقد وجد « الاسعاف السريع » اللبناني بين صفوف القتلى والجرحى من جراء الصراعات الطائفية العديد من الاسماء التي تنتمي الى الطائفة اللبنانية الارثوذكسية •

واذا كانت الطائفة الشيعية في لبنان هي أكثر الطوائف بؤسا وحرمانا. فالطائفة الارثوذكسية هي أكثر الطوائف ضعفا وقلة حيلة ، فهم غرباء عن المارونيين الكاثوليك كما هم غرباء عن المسلمين تماما •

ولا تفهم طائفة الارثوذكس حيثيات المعتقد المسيحي ، وتفتخر هذه المجموعة الصغيرة من سكان لبنان بأصلها القديم أي بعراقتها وقدمها • ويزعم أتباع المذهب الارثوذكسي في لبنان أكثر الناس حقيقة لبنانية

أصيلة • ويوجد في هذا الزعم شيء من الصحة : ذلك لأن طائفتهم وجدت على الاراضي اللبنانية منذ القرون الاولى لظهور المسيحية ، أي في الوقت الذي لم تظهر فيه المارونية أو الاسلامية بعد • وأكثر الطوائف في لبنان بؤسا بعد اللاجئين الفلسطينيين هي الطائفة الشيعية ، وهي الطائفة الثالثة في دستور لبنان •

ويعاني الشيعة في الجنوب اللبناني من الارهاب الاسرائيلي منذ تسع سنوات متتالية • ونجزم القول انه حيث يتواجد الشيعة ، يتواجد الاقطاع والاستغلال الذي يمارس ضدهم •

ولهذا يعتبر الشيعة في لبنان الثوار التقليديين • وانغرست الاحزاب التقدمية في الاوساط التي يعيشون فيها جذورا عميقة • ولكن السنة هم الاكثرية الاسلامية في لبنان • فاذا كان غالبية ضباط الجيش اللبناني هم من الطائفة المارونية ، فغالبية الجنود هم من المسلمين السنة • وكان ممثلو هذه الطائفة على الدوام ملاكا لمدينة بيروت • والسنة في لبنان يملكون صلاحيات أقل بكثير من صلاحيات الطائفة المارونية •

كما انهم يعتبرون من القوى المحافظة • وقد تعلق مصير الجيش اللبناني على الدوام بانتماء الجنود الذين يتشكل منهم • وفي اللحظة المناسبة كان السنة يعلنون على الدوام تأييدهم لحركة المقاومة الفلسطينية والقوى اليسارية اللبنانية ، وهذا ما جعل الجيش اللبناني خارج الصراع وأدى بالتالي الى عزل الرجعية المارونية • الا أن القادة المسلمين كانوا محافظين الى درجة مبالغ فيها ، مما جعلهم عاجزين عن لعب دور فعال في الظروف الجديدة •

لقد أعلنت اللجنة المارونية المخصصة لدراسة المشكلة اللبنانية في نهاية شهر تشرين الثاني عام ١٩٧٥ عن اقتراح يقضي بتغيير الميثاق اللبناني اعتمادا على الاحداث الاخيرة •

واقترحوا تحييد لبنان على الطريقة السويسرية أو السويدية ٠ والاعلان عن كون لبنان عاجزا عن تقديم أية خدمة للدول العربية ٠٠٠ فعارضت هذه الخطة القوى اليسارية في لبنان ومعها غالبية الشعب اللبناني، ذلك لأن الانتماء اللبناني للامة العربية أمر غير مشكوك فيه بتاتا ٠ ومن السهل جدا اثبات ذلك وخلصة بنظرة بسيطة الى الحالة الاقتصادية في لبنان ٠

فالاستثمارات الحكومية العربية في لبنان تبلغ حوالي (٤٠٠) مليون ليرة لبنانية في السنة ٠ وترجع ملكية ٩٠٪ من البنوك اللبنانية الى الدول العربية المصدرة للنفط ٠ وحسب احصائيات جريدة « النهار » البيروتية فقد بلغ ايراد المواطنين اللبنانيين العاملين في الدول المصدرة للنفط حوالي (٥٠٠) مليون ليرة لبنانية في العام ٠ ان مثل هذه الارقام تدفع اللبنانيين الى الاعتراف بأن مايسمى بتقدم لبنان والذي تتغطرس به البورجوازية اللبنانية لا يرتبط بأوربا الغربية ، بقدر ما يرتبط بالعالم العربي ٠

ولا تستطيع البورجوازية المارونية المعتمدة على دول أوربا الغربية الاحتفاظ بدورها المتميز من خلال تلك الارقام والوقائع الى الابد ٠ وكان اجراء بعض التغيير في الاوساط البورجوازية المارونية والسنية والارمنية والارثوذكسية والشيعية والدرزية أمرا محتما ٠ ولكن القوى الرجعية التي تمثل مصالح البورجوازية المارونية حاولت وبشتى الوسائل والسبل الاحتفاظ بامتيازات خاصة لتلك الطائفة ٠

لقد أفصح حزب « الكتائب » في احدى وثائقه وبشكل علني عن ضرورة اجراء تعديلات اصلاحية ٠

وصرح قادة الحزب المذكور أيضا بأن هذه التعديلات يجب أن تدخل حيز التنفيذ بعد مرور جيل بأكمله ٠

وقال جورج شارير بهذا الخصوص ما يلي :

« لكي يفقد الميثاق الوطني اللبناني مضمونه ، على المسيحيين أن

يصبحوا بالتدريج عربا ، وأن يشعر المسلمون أن لبنان وطنهم » • وقد فهم العديد من الشخصيات البرجوازية اللبنانية دون أدنى شك ان مصير لبنان وتاريخه لا يرتبط فقط بدول أوربا الغربية ، بل ويرتبط أيضا بالعالم العربي • وقالوا ان لبنان لا يستطيع أن يقف موقف المتفرج تجاه الصراع العربي الاسرائيلي في الشرق الاوسط • واعترفوا ان على لبنان أن يقف في مكانه الطبيعي أي الى جانب الدول العربية في صراعها ضد اسرائيل• وفهموا ان اسرائيل هي السبب الرئيسي والاول في نزيف الدم الذي يشهده لبنان • ولم يقف المسلمون وحدهم هذا الموقف، بل وقفت شخصيات مارونية مهمة الى جانب هذه الطروحات • ودخل المسيحيون في الجبهة التقدمية وهم ينتمون الى طبقة العمال والبورجوازية الصغيرة والمتوسطة •

ففي مكتب الحزب الشيوعي اللبناني تناقش مؤلف الكتاب مع السيد خليل دبس عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي اللبناني حيث قال :

« لقد ظنت البورجوازية انها وبمساعدة الاعتداءات المسلحة ستستطيع شق صفوف الجبهة التقدمية اللبنانية وحركة المقاومة الفلسطينية. فتبين لهم في نهاية المطاف ان مشاكل البطالة والفقر لا يمكن أن تحل بالقوة العسكرية • لقد أبدى الشعب اللبناني مقاومة جدية للمشاريع التخريبية وأفشل هذا الشعب المحاولات الهادفة الى اقامة حكم رجعي ديكتاتوري ، واستطاع تدمير المحاولات العربية الرجعية الرامية الى قذف الشعب اللبناني الى أحضان المعتدين الاسرائيليين وحلفائهم الامبرياليين الامريكيين » •

وجاء ذات مرة الى مؤلف الكتاب في مكان اقامته في الفندق أحد الشخصيات السياسية اللبنانية المسؤولة عن وقف اطلاق النار ، وهو منهك من التعب وقال له : « نحن طوال الليل والنهار نسافر الى الاطراف المتقاتلة لنرجوها وقف اطلاق النار • وعندما يتم وقف اطلاق النار لا نعرف لأي سبب يبدأ القصف من جديد ، ان تجدد الاشتباكات يضرب جميع محاولاتنا

عرض الحائط . ولهذا السبب غالبا ما كنا نتصادم مع اللبنانيين في أثناء الحوار ، وكان الجميع على قناعة أن هنـاك قوة خفية في لبنان تنحصر مصلحتها في احراق البلد واشعال النار فيه » •

وصاح الصحفي شريف الحافي المدير المسؤول في الاذاعـة الحكومية اللبنانية بأعلى صوته مخاطبا رئيس الوزراء رشيد كرامي : أين وقف اطلاق النار الذي تحدثتم عنه ؟ الناس يريدون أن يعرفوا أين هو ؟ وافترضت العديد من الصحف اللبنانية وجود عملاء للمخـابرات الاسرائيلية في لبنان تسعى الى اشعال نار الفتنة الطائفية • ومن المعروف ان اسرائيل استخدمت أكثر من مرة المخربين للقيام بأعمـال ارهابية ضد زعمـاء حركة المقاومـة الفلسطينية •

وقد سمت الصحف اللبنانية شـخصيات اخرى وبلدانا متعددة معنية باستمرار القتال في لبنان لمصلحتها الخاصة •

كما أخذت اسرائيل بالبحث عن أية وسيلة تسمح لها بالتدخل في شؤون لبنان الداخلية ، واختارت اسرائيل اليهـود اللبنانيين في حي (فادي أبو الجمال) ببيروت كذريعة لتدخلها في شؤون لبنان الداخلية • وجاء على لسان المسؤولين الاسرائيليين ان سكان حي « فادي ابو الجمال » اليهود يعانون من الجوع والسرقة

وعلى الفور انتقد رشيد كرامي رئيس وزراء لبنان التصريح الاسرائيلي بشدة وعنف حيث قال : « في كل مرة يسود فيها الهدوء ربوع لبنان تسعى اسرائيل الى اشـعال النار من جديد ، ان اسرائيل تحـضر لعدوان كبير ضدنا » • وتابع رئيس الوزراء اللبناني يقول : ان التصريح الاسرائيلي عار من الصحة تماما • ودعـا اللبنانيين الى الحـذر واليقظـة لصد العـدوان الاسرائيلي المرتقب وبأية وسيلة ممكنة •

وبعد ثوان قليلة من تصريح رشيد كرامي ، توجـه مندوب الاذاعـة

اللبنانية الى الحي اليهودي في بيروت حيث سألهم عن أحوالهم وعن صحة الادعاءات الاسرائيلية • ونفى جميع من تم سؤالهم أن يكونوا قد تعرضوا للسرقة ، أو قد عانوا من الجوع أو أية مشـــكلة أخرى • واعتـــرف هؤلاء بأنهم تلقوا مساعدات غذائية كثيرة رغم حالة الحرب التي تشهدها الساحة اللبنانية •

وقال سكان الحي اليهـــودي في بـــيروت ان العـــديد من الفصـــائل الفلسطينية المسلحة تم فرزها خصيصا لحمايـــة هذا الحي على الرغـــم من الوضع المضطرب الذي كانت تعيشه منظمـــة التحرير الفلسطينية ، والتي قدمت فوق ذلك مساعدات مادية لسكان الحي اليهودي في بيروت •

وأكد المراقبون للاحداثاللبنانية وجود « عدو سري » للبنان في لبنان• ولا يحاول هذا العدو اشعال نار الفتنة فقط كلما أخـــذت بالانطفاء ، وانما يحاول تأجيج نار الخلافات الطائفيـــة ، وجعلها تتسع لتشمل بقاعا أخرى في لبنان •

ومثل هذا الامر مربح بالنسبة لاسرائيل فقط •

ونشرت جريدة « المساء » البيروتية في عددها الصادر في شهر كانون الاول عام ١٩٧٥ نص الرسائل التي تبادلهـــا رئيس الوزراء الاســـرائيلي المتوفى بن غوريون مع الزعمـــاء الاسرائيليين الآخـــرين • وعكست هـــذه الرسائل رغبتهم في تقسيم لبنان •

لقد بعث ياسرعرفات رئيس اللجنةالتنفيذية لحركة المقاومة الفلسطينية ببرقية بمناسبة مقتل الشـــيخ الدرزي والي اللواء ، والذي قتـــل من قبل ارهابيين مجهولين جاء فيها :

« القتلة هم الاشخاص الذين ينتمونلجماعة الانشقاق والتفككالعربي وهم نفسهم الذين يسعون لشق الصف العربي ودفعـــــه لضرب الثـــورة الفلسطينية ، وهم الاشخاص الذين يهمهم أن تكون الامبريالية الامريكية والبورجوازية السيدة في هذه المنطقة » •

لقد عبرت واشنطن عن رغبتها في استمرار الخلافات اللبنانية الداخلية في جميع مراحل هذا الخلاف ، ففكرت في المرحلة الاولى لتوقيع اتفاقية سيناء الثانية بين اسرائيل ومصر في شهر ايلول عام ١٩٧٥ بتوجيه ضربة قاصمة لحركة المقاومة الفلسطينية في لبنان ، والتي تعتبر العدو الرئيسي لتلك الاتفاقيات .

وأخذ الصراع اللبناني في هذه المرحلة بالذات طابعا حادا للغاية . وأصبح واضحا للجميع في شهر تشرين الثاني عام ١٩٧٥ وصول الاسلحة من الولايات المتحدة الامريكية للقوى اليمينية في لبنان .

وبلغ سعر هذه الصفقة عشرة ملايين دولار ، وبيعت لتاجر الاسلحة الامريكي (سوميوليم كامينغيوم) والذي يملك أكبر شركة حرة لتجارة الاسلحة في العالم والمسماة « انترناشونال آرمامنت كربوريشن » .

ومن المعلوم ان مركز هذه الشركة يقع في مدينة ارلينغتون بالولايات المتحدة الامريكية . وتبيع هذه الشركة أسلحتها بموافقة المخابرات المركزية الامريكية .

وتبيع هذه الشركة معداتها للقوى الرجعية في العالم وخاصة للمنظمة اللبنانية المتطرفة والمسماة « جبهة حراس الارز » ، حيث أمدتهم تلك الشركة ببنادق طراز (م — ١٦) ورشاشات ثقيلة وألغام مختلفة وكما هي حال اسرائيل بالضبط عندما أخذ الوضع اللبناني بالانضغاط . لقد تعقد الوضع اللبناني بسبب الارتفاع المستمر لأعداد المنظمات المسلحة المشتركة في الصراع . واتخذت العديد من تلك المنظمات موقفا يمينيا متطرفا . وعلى سبيل المثال حزب « الكتائب » و « منظمة حراس الارز » والمنظمات السرية الرجعية الاخرى .

ويمكننا فهم أهداف هذه المنظمات من الشعارات التي تطرحها والتي كتبها أزلامهم على جدران بيوت بيروت « لا — لحركة المقاومة الفلسطينية ، لا — للعرب ، لا — للشيوعية » .

لقد امتلك كل من أصحاب الاراضي الواسعة ، ورؤساء العشائر والشخصيات السياسية جيوشهم وميليشياتهم الخاصة بهم ، وأثر هذا الوضع بشكل واضح على مجريات الاحداث اللبنانية . فاشعال النار في لبنان لا يخدم الا الدوائر الامبريالية الامريكية . وقامت الرجعية اللبنانية نيابة عن الولايات المتحدة بهذه المهمة بهدف اضعاف العرب مبتدئين بذلك في اضعاف لبنان وتقسيمه . وبالطبع فان البورجوازية اللبنانية قد عانت من الوضع كثيرا . وليس سرا أن نقول ان الاشتباكات التي وقعت عام ١٩٧٥ كانت لخدمة الرجعية المحلية وخاصة البورجوازية المارونية الكبيرة . التي أملت في الحفاظ على سلطتها في لبنان ، وفي الحفاظ على امتيازاتها ، وأرباحها الهائلة .

ان الضحايا الذين سقطوا في هذا النضال لا يشكلون سوى شيء بسيط أمام تهديد « حزام الفقر » الذي أخذ يضيق الحصار على خاصرة العاصمة اللبنانية .

وصرح الشيوعيون أكثر من مرة ان المخرج الوحيد من المأزق اللبناني يكمن في ازالة خطر المجموعات الدينية والقومية المختلفة .

وعلى سبيل المثال يجب اقناع المارونيين بأن المسلمين والفلسطينيين لا يسعون الى اجبارهم على اعتناق الدين الاسلامي ، أو انتزاع املاكهم منهم . وبالمقابل فان المسلمين يجب أن يعرفوا ان المسيحيين لا يريدون تضييق الخناق عليهم أو الانتقاص من كونهم الغالبية العظمى في لبنان .

ويجب على الطرفين اعطاء اللاجئين الفلسطينيين الذين تم ترحيلهم عن ديارهم بعض الضمانات في الوجود . وأعلنت الكتل اللبنانية المختلفة : والاحزاب السياسية وخاصة التقدمية منها عن رغبتها في تحديد الوجود الفلسطيني على الساحة اللبنانية حسب اتفاقية القاهرة الموقعة بين الحكومة اللبنانية وقيادة منظمة التحرير الفلسطينية .

ووافق الفلسطينيون على هذا الطرح . وكل ما كان يريده الفلسطينيون

هو التأكد من أن الرجعية اللبنانية لن تطرد الفلسطينيين كليا من لبنان . ولم توافق الرجعية اللبنانية على تقليص الوجود الفلسطيني على الساحة اللبنانية لانها كانت ترغب أصلا في توسيع رقعة الخلاف . وفي أحد أعياد الميلاد ، وعندما انطلقت الشهب النارية في السماء ابتهاجا بهذا العيد ، قام العديد من أهالي بيروت وبشكل غريزي بالارتماء على الارض واغلاق النوافذ .

فلقد تغير طبع المدينة خلال الحرب الاهلية ، وأصبحت بيروت مغلقة ولا تثق بأي شيء . فغالبا ما حدث بعد تلك الاحتفالات أحداث دموية مأساوية . وفي منتصف شهر كانون الاول من عام ١٩٧٥ وافق المجلس الاعلى على وقف اطلاق النار . لكن القوى الرجعية هاجمت القرى الاسلامية وكانت هذه مجرد عملية اعتداء لا غير ، حيث تم قتل البشر وتدمير المساجد .

لقد كانت هذه العملية من تدبير القوى الليبرالية ــ القومية التابعة لحزب كميل شمعون . وأراد بها انتهاك الشعور الديني في لبنان وبهذه الصورة فان الحل السياسي للخلاف اللبناني غير ممكن نهائيا ، واستمرت الاشتباكات المسلحة بصورة حتمية .

لقد حسبت الرجعية اللبنانية بأن مثل هذه الشروط ستجبر الجيش اللبناني على الدخول في الصراع .

وان اقامة نظام عسكري ديكتاتوري سيستطيع في مثل هذه الحالة أن يكون الخيار الوحيد للحفاظ على لبنان . ولكن الجيش صمت من جديد والتزم الحياد . عند ذلك ألبسوه كل تناقضات المجتمع اللبناني .

ويصبح واضحا عمق وخبث الافكار الصهيونية ــ الامريكية عندما تشتعل نار الحرب الاهلية في لبنان . ذلك لأنه يتعمق بذلك الخلاف والشقاق بين اخوة السلاح العرب ، وازدادت بذلك الرجعية العربية قوة . وكتب الصحفي والمؤلف المصري المعروف محمد حسنين هيكل في السادس عشر من آذار عام ١٩٧٦ بجريدة بلغراد المسماة « اخبار المساء » بأنه « لن يوجد

تضـامن عربي بعـد اليوم • ولنأخـذ عـلى سـبيل المثال الخـلافات المصرية ـ السورية بعد أن كانت هاتين الدولتين حليفتين قوميتين في الحرب التي خاضاها ضد اسرائيل عام ١٩٧٣ والتي هزت العـالم بأسره • وخرج النفط العربي كذلك من اللعبـة السياسية ، وصـارت علاقاتنا بالاتحـاد السوفييتي سيئة جدا وتتدهور باستمرار ••• » •

وتابع هيكل حديثه يقول : « لقد دخلت الولايات المتحـدة الامريكية اللعبة لتحقيق أهدافها المعلنة ، وهي طرد الاتحاد السوفييتي من المنطقـة العربية ، وعزل مصر عن عالمها العربي » •

وجاءت الاخبار من بيروت لتفضح الدور الاسرائيلي في لبنان والذي يتلخص في اشعال نار الحر بالاهلية ، وتقديم اسرائيل للقوى اليمينيـة المسيحية السلاح والذخيرة •

لقد حاصرت اسرائيل أكثر من مرة السواحل اللبنانية، ومنعت البواخر التي تحمل المساعدات للقوى الوطنية اللبنانية والفلسطينية من الوصول الى الشاطىء • وبدأت اسرائيل في الجنوب اللبناني تتعـاون مع القوى اليمنية المسيحية الرجعية ، فأخذت وبالتنسيق مع تلك القوى بشن الغارات المتتالية على مواقع القوى الوطنية اللبنانية والفلسطينية •

وصار الحلف الامبريالي الصهيوني العربي الرجعي يؤثر بفعالية في المنطقة العربية ، وبغطاء مباشر من دبلوماسية « الخـطوة خـطوة » التي اعتمدها وزير الخارجية الامريكي كيسنجر •

لقد أصبحت الحرب الاهلية اللبنانية من أصعب الفترات الزمنية التي عاشتها المنطقة حتى نهاية عام ١٩٧٦ ، لأنها قسمت بيروت الى منطقتين غربية وشرقية • ووجـدت بين هذين القسمين « الحـدود » والخـطوط الخضراء و « الارض المعتدلة » والبيوت المدمرة بشكل كامل •

ونمت الحشائش على طريق بيروت دمشـق الدولي حتى أصبحت في

طول الانسان ، وصـــار هذا الطريق يقسم المدينـــة الى قسمين مسيحي واسلامي •

وتوضعت في الابنية المهدمـــة على جانبي الطـــريق المذكور الفصـــائل والجماعات المسلحة والتي تنتمي الى طوائف متعددة • أما في الابنية ذات الطوابق المرتفعة فقد توضعت الجماعات المختصـــة بالقنص • وفي الجانب الآخر كانت تتواجد الصـــواريخ وبطـــاريات المدفعيـــة التي تعود للطرف الآخر •

وكان يتم في بعض لحظات الهدوء الاتصال بين طرفي المدينة ذلك لأن الجو المشحون برائحة البارود أدى الى موتها للحظات من الزمن •

ثم تعود أصوات البنادق والرشاشات وانفجارات الصواريخ لتسمع في كل مكان • وتم في شهر كانون الثاني عام ١٩٧٦ التوقيـــع على اتفاقية لوقف اطلاق النار ، وتم التوصل الى هذه الاتفاقية بمساعدة من سورية الا انها تعرضت للخرق مرات عديدة •

ونصت اتفاقية وقف اطلاق النار المذكورة على أن يقوم الفلسطينيون بالحفاظ على النظام والامن في بيروت الغربية • وأيدت السلطة اللبنانية هذه الاتفاقية ، كما وأيدها الرئيس اللبناني سليمان فرنجية • ودعا فرنجية الى انهاء الحرب الاهلية بشكل جذري •

وتم في مدينة الرياض بالسعودية في الفـــترة الواقعـــة بين السادس عشر والثامن عشر من شهر تشرين الثاني عام ١٩٧٦ اجتماع قمة بين العربية السعودية ، ومصر ، وســـورية ، والكويت ، ولبنان ، ومنظمـــة التحـــرير الفلسطينية ، وتم في ذلك الاجتماع مناقشة الامور المتعلقة بانهاء الازمـــة اللبنانية •

وطالب الزعماء المجتمعون جميع الاطراف المتنازعـــة بوقف اطـــلاق النار فورا ، ووضع قوات الردع العربية في لبنان تحت امرة الرئيس اللبناني

مباشرة • وأعربت عن موافقتها على بنود اتفاقية القاهرة الموقعة عام ١٩٦٩ وقرارات مؤتمرات القمة العربية ، وأن تكون منظمةالتحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب العربي الفلسطيني •

ثم دخل الجيش السوري الى لبنـــان في بداية شهر تموز عـــــام ١٩٧٦ ، أي في الوقت الذي بلغت به الحرب الاهلية طابعا حادا جدا • وفي شهر ايلول عام ١٩٧٦ بدأت القوات الاسرائيلية وبدعوة من عملائها في لبنان بالتسلل الى الاراضي اللبنانية ، وارهاب سكان الجنوب اللبناني • وفرضت اسرائيل في شهر تشرين الثاني من العام نفسه حصارا على جميع الموانىء اللبنانية، ما عدامرفأ جونية والذي تسيطر عليه القوات المسيحية اللبنانية•

ومنع الاسطول الاسرائيلي البواخـــر المحمــــلة بالاغذية والادوية من الوصول الى الشواطىء اللبنانية • وتعتبر الاحياء اللبنانية الفقيرة هي أكثر الاحياء تضررا من الحرب الاهليـــة ، مثل تل الزعتر ، صبرا ، شاتيلا، وقامت القوات المسيحية اليمينية بقصف مخيمات تل الزعتر لسبعة أيـــام متتالية مستخدمة في ذلك المدفعية الثقيلة عيار (٧٥ و ١٥٥) ملم • لقد قاوم أهالي تل الزعتر هذه الاعتداءات ببطولة خارقة ، الا ان القوات اليمينيـــة قامت بمنع أي شيء من الدخول الى المخيم •

فعانى المحاصرون من نقص في الذخيرة والمؤن والمواد الطبية والماء • وقتل أثناء هذا الحصار أكثر من ثلاثة آلاف انسان ، ثم تمت ازالة مخيم تل الزعتر من على وجه الارض •

واضطر أهالي بيروت الشرقية بعد أن دمرت الاحياء الشعبية هناك الى الهروب واللجوء الى بيروت الغربية •

وبنوا أكواخهم على الساحل الغربي لبيروت ، حيث كانت هنـــاك تلمع أضواء الدعاية لكازينوهات بيروت الراقية ، والمطاعم الفخمة •

لقد أصبح هذا الحي الجديد ملكا للوطنيين اللبنانيين والفلسطينيين • وتوضعت قيادة هؤلاء في البنوك ، والمسارح ، ودور السينما ، والمقاهي •

وكانت الحياة في تلك الفترة تسير بشكل غريب جـدا ، ففي بعض الاحيان تبدو الحياة عادية ، ويمكن مشاهدة السيارات وهي تنزلق على الشوارع بأعداد هائلة ، وفجأة تخيم الغيوم على سماء بيروت ★ فيتراكض الناس الى بيوتهم ، وتنطلق السيارات بسرعات جنونية • ويظهر فجأة على المجاور الرجال وهم يحملون البنادق والقنابل • وتختفي بالتدريج الحياة من على شوارع بيروت ، وتبدو المدينة وكأنها تعيش في فراغ مطلق ، ولا يسمع فيها أي شيء سوى أصوات صفارات الانذار ، وأصوات القنابل والصواريخ •

والناس الذين يريدون أن يعرفوا أسباب تلك الاصطدامات يجلسون في بيوتهم ، ويشغلون أجهـزة الراديو والتلفزيون عندهـم • فقد كانت الاذاعة والتلفزيون تبثان كل ساعة « نشرة اخبارية » •

لقد عبرت الكاتبـة السورية الشابة قمر كيـلاني بشكل دقيـق عن دراماتيكية تلك الايـام التي عاشتها بيروت وذلـك في كتابها الذي أسمته « بستان الكرز » • ان محتويات هذا الكتاب تذكرنا بمسرحية تشيخوف ، ويوجد بالتأكيد شيء مشترك بينهما • حيث يرمز اسم الكتابين الى نهاية العصر ، اذ أن الفنـاء هـو حتميـة الحيـاة المسـالمة الرغيـدة وتدور أحـداث كتاب قمر كيـلاني « بسـتان الكـرز » في لبنـان ، حيث سونيا هي طالبة في الجامعـة الامريكية ببيروت ، وتلتحـق سونيا بصفوف الثورة الفلسطينية • علما أن سونيا هي ابنـة لعائلة غنية جدا ، وهي لهذا السبب لا تملك قوة الاقناع •

وفي أثناء عملها في صفوف منظمـة التحرير الفلسطينية وقعت في حب الشاب الفلسطيني سمير •

★ تخيم الغيوم على سماء بيروت ـــ التعبير هنا مجازي ، والمقصود منه هو ظهور البوادر الاولى لوقوع الاشتباكات المسلحة العنيفة ـــ المترجم .

وأجبرت ظروف الحرب الاهليـــة الجميع بأن ياخذوا أمكنتهم • أما سونيا المولودة من أب مسلم وأم مسيحية فقد شـــعرت وقبل كل شيء بمواطنيتها اللبنانية ؛ ورفضت سونيا الحرب الاهليـــة وجميع الشعارات الدينية المطروحة على الساحة اللبنانية • أما سمير فكان يحب لبنان بشكل غريب • ولم يرغب في الاقتتال مع الاخوة اللبنانيين • وهذا ما دعا سونيا الى احترام هذا الشعور في نفس سمير • ويقع بيت سونيا في الجبل المشرف على بيروت ، وتحيط بهذا البيت على الدوام الاشجار الخضراء الجميلة •

وأدت الحرب الاهلية الى تشرد الاطفـــال وائل وكميل من بيوتهم • وينقطع اتصال ذويهم بهم منذ هذه اللحظة • وكانت شقيقة سونيا واسمها ناديا طالبة في الجامعة الامريكية أيضا • وقع أخوهم رياض في أيدي عصابة نهب واجرام مسلحة •

واستطاعت هذه العصـــابة تسميم جسمه بالمخــدرات ، وبدأت تلك العصابة تفاوض والده لبيعه له• وبعد أن اشترى الاب ابنه فقده مرة ثانية. ذلك لأنه ظهرت بين الاب وابنه حالة من عدم الثقة • وعاد رياض بنفسه الى مركز العصابة المسلحة وفي هذه الاحوال تهجر الام بيتها وزوجها ؛ ذلك لأنها فقدت ابنها رياض . ولأنها كانت تعتقد ان سونيا قد ماتت منذ زمن . لقد رجعت أم رياض الى اسرتها التي تعيش في احدى الاحياء المسيحية . واعتكفت بالدير •

ورجع وائل بعد فترة الى بيروت للبحـــث عن حبيبته التي كانـــت قد نسيته ؛ فقرر الهجرة من لبنان دون رجعـــة • وهكذا ضـــاعت هذه الأسرة التي كانت تعيش بمودة وتفاهم • لم تكن هـــذه الاسرة هي الوحيدة التي عانت من الحرب الاهلية في لبنان ؛ بل توجد هناك العـــديد من الأسر التي قاست وعانت ما هو أمر من هذا بكثير •

والفلسطينيون الذين كانوا يدافعون في الماضي عن أنفسهم فقط ؛ ولم يرغبوا في يوم من الايام بالتدخل في نزيف الدم اللبناني ؛ وجـــدوا انفسهم

مضطرين للدخول الى قلب المعمعة ، والدفاع عن أنفسهم وعن غيرهم • واستمر ت الاحوال في لبنان على هذه الشاكلة عدة سنوات • وبدأت تكاليف الحياة ترتفع باستمرار ، ذلك لأن نار الحرب الاهلية قد أحرقت كل ما هو ثمين في لبنان •

وبنيت العديد من المحال التجارية ، ورممت الابنية المتصدعة في أثناء الاشتباكات •

ولمع نجم تجار الارض • وارتفعت أجور الشقق السكنية في الوقت الذي كان يولد فيه آلاف البشر الذين يفترشون الارض ويلتحفون السماء• انها قاعدة الحياة •

وعلى الرغم من تلك الظروف المعقدة ، فقد استطاعت الحكومات العربية التي شاركت في « قوات الردع العربية » لحفظ الامن في لبنان من اطفاء نار الحرب الاهلية •

وظهر لبنان نتيجة للحرب الاهلية مقسما الى منطقتين : الاولى اسلامية والثانية مسيحية• كما ويتزعم القسم اللبناني المسيحي الذي يتألف من بيروت الشرقية ومناطق لبنانية أخرى ما يسمى « بالجبهة اللبنانية » والتي شكلتها القوات المسيحية اليمينية والتي يعتبر حزب « الكتائب » عمودها الفقري •

وكان لتلك الفئة من اللبنانيين مطاراتهم الجوية والبرية وموانئهم الخاصة بهم • واستطاعت بذلك القوات المسيحية اليمينية من الاتصال بالعالم الخارجي عبر تلك المطارات • وصرح قادة القوى المسيحية اللبنانية اليمينية انهم يرغبون في اقامة حكومتين مستقلتين اداريا ، الاولى مسيحية والثانية اسلامية على أرض لبنان • وجاء في اقتراح هؤلاء القادة أن على تلك الطائفتين المذكورتين تشكيل جيوش وحكومات خاصة بهم •

كما وعارضت القيادة المسيحية اليمينية في لبنان وجود فصائل الثورة

الفلسطينية والجيش السوري المتواجـــد ضمن قوات الردع العربيـــة على أراضيها •

وبدأت وجهات نظر القادة اليمينيين في لبنان تتغير بالتدريج اتجـــاه العالم العربي ، فقبل بداية الصراع اللبنـــاني ، أعلن القادة المسيحيون ان « للأمة » اللبنانية وضعا خاصا جدا • وأخذوا يثبتون انتماء اللبنانيين الى الفينيقيين القدماء وليس للامة العربية، وتحدثوا عن ضرورة توثيق العلاقات اللبنانية مع دول أوربا الغربية •

وبعد بداية الصراع اللبنـــاني تغيرت وجهة نظـــرهم هذه ، وصاروا يتحدثون عن انتماء لبنان للامة العربية • وصرح بيير الجميل بأن عزل لبنان عن عالمه العربي سيجلب له الكوارث والمصائب •

وتجب الاشارة الى أن تغيير وجهة النظر اليمينية هذه ترتبط ، وبدون أدنى شك ، بالنشاطات التي شهدتها الرجعية العربية في السبعينات •

واذا كان القادة اليمينيون في لبنـــان قد فزعوا في الماضي من القوى الراديكالية العربية ، وحاول هـــؤلاء عزل لبنان عن تلك القـــوى ، فان تلك القيادات تحاول الآن توثيق علاقاتها مع الرجعية العربية والانفتاح عليها •

وشهد الوسط الرجعي اليميني اللبناني خللا وتفككا كبيرا في صفوفـــه وكانت هناك العديد من المجموعات المعارضـــة ، ومن أهم تلك المجموعـــات القوة المسيحية اليمينية المتطرفة والمسماة بالحزب الليبرالي القومي بزعامة كميل شمعون •

أما القوى القومية الوطنية التقدمية الاشتراكية فتشكلت من الاحزاب التالية : الحزب الشيوعي اللبناني ، الحزب القومي السوري ، حزب البعث العربي الاشتراكي ، منظمة العمل الشيوعية ، حركة المستقلين الناصريين . ومجموعة أخرى من الاحزاب الصغيرة •

وفي شهر آب عام ١٩٧٦ تم تشكيل المجلس السياسي المركزي ، والذي

أصبح رئيسه فيما بعد كمال جنبلاط وهو أحد مشاهير الشخصيات السياسية اللبنانية ، وتم تعيين رئيس منظمة العمل الشيوعية محسن ابراهيم كسكرتير للمجلس السياسي العام •

وتبنت فيما بعد حركة « أمل » الشيعية المتمركزة في الجنوب اللبناني مواقف المجلس السياسي المذكور ، ووقف الموقف نفسه حزب البعث العربي الاشتراكي (سورية) ؛ وحركة الناصريين اليمينيين •

وشكلت هذه المجموعات في نهاية عا م١٩٧٥ الاتحاد المسمى « بالجبهة الوطنية » والتي أيدت التواجد السوري في لبنان • وفي شهر تموز عام ١٩٨٠ قامت القوات الاسرائيلية وخلال اسبوعين ، دون انقطاع بحرب حقيقية ضد القوات الوطنية والقومية اللبنانية وحركة المقاومة الفلسطينية في الجنوب اللبناني • وفي هذه الفترة اشتد الصراع بين القوى المسيحية اليمينية والاسلامية في لبنان •

فقامت قوات « حزب الكتائب » بهجوم على « نمور » الحزب القومي الليبرالي التابع لكميل شمعون ؛ وقضت « الكتائب » عليهم تماما • لكن لم يستطع هذا الهجوم تبديل موازين القوى في لبنان ؛ وذلك لأنه كان مجرد خصومة بين الحزبين المسيحيين الكبيرين في لبنان • ولأنه جاء بسبب اختلاف وجهات نظر قادة الحزبين المذكورين حول مشكلة التشكيل الحكومي اللبناني ؛ بل لأسباب أخرى •

لقد كانت وجهات نظر سليمان فرنجية وأتباعه بناءة للغاية ؛ ذلك لأنه وقف ضد « الاستقلال الاداري » • واقترح تشكيل جبهة شعبية واسعة في لبنان بوسعها توحيد كل القوى اللبنانية التي تقف ضد مشاريع التقسيم •

وأقترح ان تقوم هذه الجبهة بتوحيد لبنان ، والنضال ضد مشاريع التقسيم ، وضد الفاشية ، من أجل تحقيق ديمقراطية الطبقات الاجتماعية اللبنانية •

ووقف سليمان فرنجية كذلك ضد هيمنة حزب « الكتائب » على الطائفة

المسيحية في لبنان • فلاقت مقترحاته استجابة واسعة بين مختلف صفوف الطوائف في لبنان •

ولاقى موقفه المعادي لاسرائيل كل التأييد من الجانب السوري الذي يسعى للحفاظ على وحدة وسيادة الاراضي اللبنانية •

وتقرب سليمان فرنجية أكثر فأكثر من جبهة القوى الوطنية القومية • وتقربت بالمقابل العديد من الشخصيات المسيحية اليه وعلى سبيل المثال رئيس الكتلة الوطنية ريمون ادة ، رئيس الكتلة الدستورية خليل الخوري . ورئيس وزراء لبنان الاسبق رشيد كرامي والذي يملك نفوذا وهيبة كبيرتين في الاوساط الاسلامية اللبنانية •

فتوحدت هذه الشخصيات في « الجبهة اللبنانية » التي وقفت جانب القوى القومية الوطنية •

كما وانضم فيما بعدالعديد من المسيحيين اللبنانيين الى صفوف القوى التقدمية ، ويؤلف المسيحيون غالبية أعضاء الحزب السوري القومي الذي يطالب باجراء انتخابات عامة على قاعدة ديمقراطية بعيدة عن العنف والاكراه ، وطالب بالغاء مشاريع « الادارة الذاتية » أو « التشكيل الفيدرالي » الذي طرحته «الجبهة اللبنانية» • ولعبت سورية في لبنان دورا متميزا • فقد كانت تربط البلدين عبر التاريخ علاقات وثيقة • وكانت سورية على الدوام صاحبة القرارات المبدئية في الحفاظ على سيادة ووحدة لبنان •

ولم يتبدل الموقف السوري هذا عبر جميع مراحل الصراع اللبناني • فقد فهمت سورية منذ البداية بأن تقوية نفوذ القوى الرجعية في لبنان يعني بشكل مباشر تقوية النفوذ الامريكي في هذه المنطقة • ويؤدي هذا بالتالي الى تقوية اسرائيل •

وفهمت سورية كذلك الخطر الموضوعي الذي قد يسببه التدخل

الاسرائيلي في شؤون لبنان ، اذا ما تصاعدت الاحوال عما هي عليه . وهذا ما حدث فعلا فيما بعد .

وفهمت سورية أيضا بأن تدخل اسرائيل في لبنـــان سيجعلها في سهل البقاع ، أي قريبة جدا من الاراضي السورية ، مما قد يهــدد بالتالي أمنها وسلامتها في أية لحظة .

فحاولت الحكومة السورية لهذا السبب وبكل ثقلها في أعوام ١٩٧٥ — ١٩٧٦ تسوية النزاع اللبناني الداخلي عن طريق الوســاطة بين الاطــراف المتقاتلة . وعندما لم تعط تلك الوساطة النتائج المرجوة لها اضطرت الحكومة السورية في شهر حزيران عام ١٩٧٦ الى التدخل عسكريا في لبنان كمحاولة أخيرة لتوحيد القوى اللبنانية المتقاتلة . ودخل القسم الاعظــم من هــذه القوات في عداد قوات الردع العربية لحفظ النظام في لبنان والذي تشكل بقرار صادر عن مؤتمر القمة العربي .

ووقفت الحكومة السورية دومــا على الحياد في الصراع اللبناني . وقدمت الدعم والمساندة للقــوات الوطنيــة اللبنانية ضــد الاعتــداءات الاسرئيلية والامريكية .

وساندت سوريا القوات الوطنية اللبنانية في حربها ضــد الاعتداءات الاسرائيلية على الجنوب اللبناني والتي تمت في شهر آذار عام ١٩٧٨ .

وقدمت كذلك كل الدعم والتأييد لمنظمــة التحرير الفلســطينية لكونها العدو الرئيسي لاتفاقات الخيانة الموقعة بين السادات واسرائيل .

لبنان هدف استراتيجي للمعتدين

« لم يكن مناحيم بيغن رئيس الوزراء الاسرائيلي الوحيد الذي حلم باحتلال لبنان » ، هذا ما كتبته جريدة « معاريف » الاسرائيلية . *

ان كل من يقرأ تاريخ بن غوريون يعـرف ان عقيدته التي عجـز عن تنفيذها ، ينفذها الآن بالنيابة عنه مناحيم بيغن . ان احتلال لبنـان حلم اسرائيلي قديم ولا علاقة لوجود منظمة التحـرير الفلسطينية على الاراضي اللبنانية به .

لقد دعا بن غوريون عام ١٩٤٨ الى الاطاحة بالدستور اللبناني والى تشكيل حكومة مارونية فيه، ودعا الى أن تكون حدود هذه الدولة مع اسرائيل هي نهر الليطاني .

ونادى بفكرة احتلال لبنان وتقسيمه موشي شاريت في أعوام (١٩٤٩ ـ ١٩٥٦) ، ومن المعلوم أن موشي شاريت كان يشغل وقتها منصب وزير الخارجية الاسرائيلي .

ونشرت جريدة « معاريف » الاسرائيلية عن الجـنرال موشي دايان عام ١٩٥٥ قوله : « على اسرائيل أن تجد ضابطا لبنانيا برتبـة رائد على الاقل واغراءه أو شـراءه لكي يوافـق على أن يعلن نفسه كقائد للطائفـة المارونية اللبنانية » . وعندما تقوم اسرائيل باحتلال لبنان ستقيم فيه نظاما مسيحياً يرضى لنفسه التعامل مع اسرائيل.وتمنى دايان اقامة هذه الحكومة بأقصى سرعة ممكنة ، بل وتمنى اقامتها غدا ... » *

---

* جريدة « معاريف » الصادرة في ٩ حزيران عام ١٩٨٢ .

لم تكن هذه الخـــطط مجرد أحـــلام قابعـــة في رؤوس الشـــخصيات الحكومية الاسرائيلية ، بل كانت موضـــع مناقشة جديـــة ودقيقة في قيادة الجيش الاسرائيلي • وأصبحت هذه المخـــططات جزء من السياســـة التي تمارسها اسرائيل الى ان انتقلت الحكومـــة الاسرائيلية فيما بعد من قاعات المناقشة الى أرض الواقع لتنفيذ تلك المخططات •

وشنت الدعاية الصهيونية في حينه هجوما حادا وشرسا ضد نشر مقال في الصحف يتحدث عن «خطة الحرب الوقائية» التي تنوي اسرائيل تطبيقها ضد العرب •

لقد كانت اسرائيل تنوي تنفيذ هذه الخطة بعد العـــدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ والذي اشـــتركت فيه الى جانب اســـرائيل كل من فرنسا وبريطانيا •

وكتب الصحفي الهندي المعروف كاراندجيا مقالا عن الخطة المذكورة وسلمه فيما بعد للرئيس جمال عبد الناصر • وذكر الصحفي الهنـــدي انه حصل على تلك المعلومات من ضابط انكليزي كان يعمل في حلف بغداد •

وساهم النظام العراقي الرجعي في العراق بقيـــادة نوري السعيد في جعل العراق تقف في الصف المعـــادي لمصر وللعرب ولجميـــع الحركـــات التحررية •

وتم في قيادة حلف بغداد تحضير العديد من المخـــططات التآمريـــة الاقليمية وتحضير الاعتداءات على الامة العربية •

كما وشارك حلف بغداد في التحضير للعدوان الثلاثي على مصر •

والجدير بالذكر ان العديد من الضباط الانكليز كانوا يخدمون في حلف بغداد • لقد كانت الحكومة البريطانية تحلم بتشكيل حلف عسكري قوي في الشرق الاوسط بحيث يضم اسرائيل والدول العربيـــة الرجعية ، وتقـــوم

الولايات المتحدة الامريكية في وقتنا الراهن بتنفيذ حلمها أيضـا في اقامـة الاحلاف الموالية لها في المنطقة . ومن المعلوم أن الضباط الانكليز في حلف بغداد كانوا يملكون معلومات دقيقة عن جميع المخططات والمشاريع التي تنوي اسرائيل تنفيذها .

وغالبا ما كان يكلف هؤلاء الضباط بتنسيق تلك العمليات مع اسرائيل ودار يومها الحديث عن امكانية دخول اسرائيل الى حلف بغداد . ان حلف كامب ديفيد بين مصر وسرائيل والولايات المتحدة الامريكية يشبه الى حد بعيد حلف بغداد ، أي أن المشروع الاسرائيلي « عن الحرب الخاطفة » تم تمريره بشكل أو بآخر .

ان عملية طباعة الوثائق السرية الهامة جدا تحاط عادة بزرع الشكوك حول كونها النسخ الاصلية . لقد حاولت الدعاية وبكل امكاناتها عند طباعة وثيقة « الحرب الوقائية » تكذيب هذه الخطة ، ومضت الدعاية الصهيونية الى مدى بعيد في ذلك .

ولكي يصبح مفهوم « الحرب الوقائيـة » واضحا ، علينا القاء نظرة سريعة على المخططات التي وضعتها الصهيونية العالميـة بخصوص منطقة الشرق الاوسط وعلى مر التاريخ .

لقد اشتد ساعد الرأسمالية العالميـة في نهاية القـرن التاسع عشر ، واشتد كذلك ساعد الامبريالية العالمية . فأصبحت الرأسمالية والامبريالية مستعدتين لتقديم العون والمساعدة للصهيونية العالمية فيجميع أنحاء العالم .

وترددت الأقـاويل عن عزم الامبرياليـة والرأسمالية انشاء « وطن لليهود » في أوغندا أو قبرص أو أمريكا أو حتى في الصين .

وتعهدت الصهيونية العالمية بأن تكون حليفـا قويا في المنطقة التـي سترسلها الامبريالية اليها .

وبالفعل فقد أوكلت للصهيونية مهمة صعبة جدا ، ألا وهي اقامة رأس

جسر للامبريالية العالمية في تقاطع القارات الثلاث حيث توجد هناك المصالح الرأسمالية ، أي حيث « يوجد » النفط •

لقد أشار فلاديمير ايليتش لينين الى انه في عصر الامبريالية العالمية : « ••• بدأ تقسيم العالم الى مؤسسات دوليـة ، وانتهى بالفعل تقسيم الارض الى مناطق عديدة من قبل الدولة الامبريالية العظمى » * •

وكتب قائـد الطبقـة العاملـة انه في نهـاية القرن التاسـع عشر : « ستشمل السياسة الاستعمارية للبلـدان الرأسمالية كل الاراضي « حتى المجهولة منها » •

ومن ثم « فالعالم ولأول مرة أصبح مقسما بالحـدود التي تفصل بين ملاكي الاراضي المختلفين وليس حسب القوانين السائدة سابقا » **

وأشـار لينين الى أن أرض الامبراطورية العثمانيـة بما فيها أرض فلسطين والارض العربيـة قد خصصتها الامبريالية العالميـة للتقسيم في المستقبل » *** •

وطرح في ذلك الوقت السؤال التالي : لمن ستصبح ملكية الارض التي تسيطر عليها الامبراطورية العثمانية « المريضة » بعد وفاتها ؟

لقد احتضنت حكومة لندن الحركة الصهيونية بهـدف الاستيلاء على هذه الاراضي •

وهكذا فان بروز المشكلة الفلسطينية ونشوء الحركة الصهيونية يرتبط

---

* ف • ا • لينين ، الامبرياليـة اعلـى مراحـل الراسـمالية ، المؤلفات الكاملة الطبعة الخامسة ، المجلد رقم ٢٧ ، صفحة ٣٨٧ •

** ف • ا • لينين ، الامبرياليـة أعلى مراحلى الراسمالية ، الطبعة الخامسة مجلد رقم ٢٧ ، صفحة ٣٧٤ •

* ف • ا • لينين ، الامبرياليـة اعلى مراحلى الراسمالية ، الطبعة الخامسة ، مجلد رقم ٢٧ صفحة ٤١٨ •

بانتقال الرأسمالية العالمية الى أعلى درجات تطورها أي الى الامبريالية • ولم يكن من قبيل الصدفة أن يتطابق نشوء هاتين الظاهرتين ألا وهما تشريد الشعب الفلسطيني من أرضه ونشوء الحركة الصهيونية العالمية •

لقد سبق وأن طرحت فكرة اقامة « حكومة يهودية »من قبل الصحفي السويدي اليهودي تيودور هرتزل عام ١٨٩٦ • وطرح هذا الصحفي فكرة الاعتماد على الدول الامبريالية العظمى لتنفيذ هذا المشروع • وقد وافقت المنظمة الصهيونية العالمية على أن تلعـب دور الادارة الامبريالية المنفذة لجميع خططها ومشاريعها • وقبلت أن تقوم بدور المستعمر لفلسطين وذلك منذ البداية الاولى لتأسيسها ، أي في المؤتمر الصهيوني الاول الذي انعقد بمدينة بال بسويسرا عام ١٨٩٧ •

وفي عام ١٩١٧ جاء على لسان اللورد بلفـور مفهوم الوطن القومي لليهود وذلك على شكل وعد قدمه بلفور لليهود في ذلك الوقت • *

وبناء على هذا الوعد ، اتفق الجانبان على تبادل الخدمات فيما بينهما وتعهدت بريطانيا أن تكون فلسطين مهيأة عسكريا واقتصـاديا وسياسيا للاحتلال اليهودي الجديد • وذلك لاعادة بناء الدولة العبريـة الزائفـة • وقدمت كل التسهيلات الضرورية للمهاجرين اليهود وذلك لاستيطان فلسطين من قبلهم •

لقد دار الحديث في بدايـة الامر حول اقامـة وطن قومي لليهود في فلسطين حيث تعيش هناك الغالبية العربية الساحقة (هذا ما نص عليه وعد بلفور حرفيا) •

ووضعت القيادة الصهيونية مع مـرور الزمن المهمات الجديدة لها : وخاصة على صعيد الاستيلاء على الاراضي واستيطانها •

وقامت المنظمات الصهيونية المسلحة بنشـاطات دموية ارهابية ضد

---

* وعد بلفور مسمى على اسم اللورد بلفور وزير خارجية بريطانيا العظمى في ذلك الزمان .

السكان العرب في فلسطين ، وأصبح في ظل تلك الظروف التعايش المشترك بين العرب واليهود في فلسطين أمرا مستحيلا٠

وأخذت النشاطات الارهابية اليهودية ضد العرب تتصاعد بشكل خطير تحت غطاء كامل من الجانب البريطاني المحتل لفلسطين ٠

وبدأ اليهود يفكرون بتشكيل حكومة خاصة بهم فيفلسطين ٠ وأشارت كل الدلائل على أن اليهود لا يرغبون بالعيش بسلام مع جيرانهم العرب ٠

وخرق اليهود بوقاحة القرار الصادر عن الجمعية العمومية لهيئة الامم المتحدة عام ١٩٤٨ والقاضي بتشكيل حكومتين ديمقراطيتين على الاراضي الفلسطينية ، الاولى عربية والثانية يهودية ٠

واحتل اليهود في ذلك العام جميع الاراضي المخصصة لاقامة الدولة الفلسطينية واعلنوا حينها عن اقامة دولة اسرائيل ٠

وهكذا أصبح قرار الجمعية العمومية في هيئة الامم المتحدة والذي صوت الاتحاد السوفييتي لصالحه لاغيا لعدم تنفيذه ٠

واستمر الصهاينة في اسرائيل بعد ذلك بتدبير الحروب العدوانية المتتالية ضد العرب واغتصاب أراضيهم بطرق اتسمت بالعنف والارهاب والقسوة ٠

لقد نصت وثيقة « الحرب الوقائية » الاسرائيلية على ضرورة متابعة الارهاب والحروب ضد العرب ، فتلك الحروب لم تكن تلقائية أو بسبب من الدول العربية ، انها مثبتة في الوثائق الاسرائيلية الرسمية ٠

وكانت الحروب الاسرائيلية ضد العرب مدبرة بشكل مسبق وذلك في اطار الاستراتيجية الصهيونية الداعية الى القضاء على جميع الحكومات العربية واقامة اسرائيل العظمى على أنقاض تلك الدول ٠

لقد استمرت الصهيونية في تدبير الاعتداءات ضد الدول العربية

وساعدها على ذلك الحكومات الامبريالية وخاصة الحكومة الامريكية تساندها وتدعمها في جميع اعتداءاتها •

يحمل الجزء الاول من خطة « الحرب الوقائية » الاسرائيلية اسم « الموقف السياسي الوهمي أثناء الحرب » • والذي ينص على انه في حالة نشوب حرب بين اسرائيل والدول العربية ، ستعتمد تل أبيب على مساندة ودعم حكومات أوربا الغربية لها ، لأنها بذلك تحمي بصورة أو باخرى مصالحها الخاصة في منطقة الشرق الاوسط •

ويعرف المخططون الصهاينة بأن منظمة الامم المتحدة ومعها البلدان الاشتراكية وبلدان الحلف الشرقي ستحاول وقف اطلاق النار ولجم المعتدي الاسرائيلي اذا ما أصبح العرب في وضع عسكري سيء •

وجاء في تلك الوثيقة بأن على اسرائيل القيام بحروبها بشكل خاطف وسريع بهدف احراز نصر عسكري سريع • ودعت تلك الوثيقة الى تجنيد كل امكانيات اليهود في مختلف أنحاء العالم ، وشل أي نشاط لحكومات الحلف الشرقي ومنظمة الامم المتحدة •

وتقضي الخطة الصهيونية بتفحص الظروف السياسية وانتقاء الظرف المناسب لشن الحروب ، ومن الضروري هنا الحصول على موافقة ودعم الامبريالية لهذا العدوان أو ضمان حيادها على الاقل •

ان هذه الموافقة تساعد في تمرير المخططات الامبريالية الداعية الى انشاء حلف عسكري في منطقة الشرق الاوسط •

ان مضمون وجوهر « الحرب الوقائية » يعكس الاحلام السياسية لقادة الحكومات الامبريالية في الخمسينات •

لقد دبرت حكومات انكلترا وفرنسا واسرائيل العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ بهدف جر مصر الى الحليف الامبريالي •

ان المساندة التي قدمتها الحكومة الامريكية لاسرائيل أثناء عدوانها

على لبنان تدل على ان التفكير العدواني الامبريالي والمؤامرات ضد شعوب الحكومات المستقلة حديثا متأصلة منذ القدم •

والشرط الثاني الذي تنتظره اسرائيل لشن حروبها ضد العرب هو « وجود خلافات عربية داخلية حادة » •

وللمعلومات نقول ان اختيار اسرائيل لتوقيت حربها ضد لبنان عام ١٩٨٢ كان مناسبا جدا بالنسبة لاسرائيل •

لم يكن الوضع في العالم العربي آنذاك سيئا وحسب بل سيء جدا . نتيجة لتوقيع أنور السادات على معاهدات كامب ديفيد •

وقامت الولايات المتحدة الامريكية في أثناء العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ بحماية المعتدين ، وقامت في الوقت نفسه بمداعبة مشاعر وعواطف العرب • علما ان واضعي الخطط الاسرائيلية الاستراتيجية يعرفون جيدا أهداف السياسة الامريكية الخارجية الرسمية • وتحدثت خطة « الحرب الوقائية » الاسرائيلية عن أن اسرائيل يجب أن تأخذ بعين الاعتبار الطموحات الامريكية في اقامة قواعد عسكرية لها في منطقة الشرق الاوسط •

وتهدف أمريكا من اقامة تلك القواعد الى استخدامها ضد الاتحاد السوفييتي وحركات التحرر العربية • وكانت اسرائيل على الدوام مستعدة لتنفيذ المخططات الامبريالية بفاعلية قصوى •

ان مصالح الحكومات الامبريالية عامة والامريكية بشكل خاص تنحصر في سيطرتها على منابع النفط في منطقة الشرق الاوسط •

لقد رفضت واشنطن الاعتماد على الانظمة الرجعية العربية لأنها تعرف ان أجل تلك الانظمة قصير، نتيجة لتصاعد الحركات القومية التحررية في الشرق الاوسط • واكتفت الولايات المتحدة الامريكية بالاعتماد على اسرائيل والصهيونية العالمية لكونهما مستعدتين دائما لتنفيذ المخططات

الامريكية • وتتلخص آلية التأثير الامـريكي على اسرائيل بأن الاخيرة لا تستطيع الوجود أو الاستمرار دون المسـاعدات الماليـة والاقتصـادية والعسـكرية الامريكيـة لهـا • ان خطر اغـلاق القنـوات التي تمـر منهـا المسـاعدات الامريكيـة لاسرائيل تجبر الاخيرة دومـا على اطاعة الشروط والاوامر التي تضعها واشنطن أمامها • وفي حقيقة الامر فان هناك تأثيرا متبادلا بين أمريكا واسرائيل • فالدوائـر الصـهيونية تتمتع داخل الولايات المتحدة الامريكية بنفوذ واسع في جميع ميادين الحياة الامريكية الاجتماعية والسياسية وخاصة في مجال الانتخابات الرئاسية الامريكية •

وفي واقع الحال فان كلا هاتين الآليتين تقعـان في قبضة الامبريالية العالمية • ويصعب أحيانا التفريق بين المصالح الامبريالية والصهيونية وبين دعاة هذه المصالح • ولهذا السبب يخطىء كثيرا من يفكر من الزعماء العرب انه يستطيع أن يقطع الصلات المتينة بين اسرائيـل والولايات المتحـدة الامريكية ، وتغير موقف واشنطن لصالح العرب • وحتى النفط العربي في الشرق الاوسط عاجز عن ارغام الولايات المتحـدة الامريكيـة على تغيير مواقفها المنحازة الى جانب اسرائيل •

لا تريد الامبريالية الامريكية ــ وعلى الرغم من اهتمـاماتها النفطية الكبيرة ــ اقامة علاقـات مع الحكومـات العربية على أسس التكافـؤ أو الشراكة •

فالاحتكارات الامريكية لا يهمها النفط وحده بل تهمها الارباح الطائلة التي تجنيها من استخدام هذا النفط • والامبرياليـة الامريكية عاجزة عن استغلال النفط والاستمرار في سرقته الا اذا أبقت الحكومات العربية في حالة من التخلف الاجتماعي والاقتصادي • وتسـعى الولايات المتحـدة الامريكية لهذا السبب الى احتـلال منابع النفط العـربي بشكل مباشر • ستظل الحكومة الامريكية عدوة للعرب ما لم تتحول الحكومات العربية الى أدوات امبريالية تابعة لها •

كما وتأخذ الخطط الاستراتيجية الاسرائيلية بعين الاعتبار مصالح الدول الامبريالية الاخرى ، وذلك لكي تضمن اسرائيل أكثرية الاصوات لصالحها في هيئة الامم المتحدة • وستكون منظمة الامم المتحدة بذلك عاجزة عن ردع الاعتداءات الاسرائيلية ، لأنها تبادر بمباركة وتأييد أوربا الغربية بأسرها • وتستطيع هيئة الامم المتحدة في المقابل ايقاف الجيوش العربية بسهولة فيما اذا ألحقت تلك الجيوش هزيمة عسكرية باسرائيل •

المخططون الاسرائيليون يفهمون جيدا ان الاتحاد السوفييتي وبلدان المنظومة الاشتراكية هم الطرف الوحيد الذي سيقدم المساعدة للعرب ، ولهذا السبب حاول هؤلاء المخططون عزل العرب عن اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية وقطع الصلات التي تربط العرب بالاتحاد السوفييتي •

كما وتعتمد اسرائيل على القواعد العسكرية الانجليزية والفرنسية الموجودة في قبرص ومالطا القريبتين من المنطقة في حال حدوث أي نزاع مسلح بينها وبين العرب •

واعتمدت اسرائيل بشكل كبير على عامل الحرب المفاجئة ضد العرب • وتتلخص هذه الفكرة في أن الجيش الاسرائيلي يجب أن يحتل أوسع مساحة ممكنة من الاراضي العربية قبل أن يستطيع مجلس الامن الدولي ايقاف العدوان • تختار اسرائيل عادة لنفسها بقع الارض التي تناسبها من الناحيتين الاقتصادية والعسكرية ، ومن ثم تقفز الى الاراضي الاقل أهمية• وتعلم اسرائيل ان العرب لن يستطيعوا ابداء أية مقاومة جدية لهم ما لم تتوحد صفوفهم • ولن تستطيع أية دولة عربية أن تقاوم اسرائيل عسكريا وحدها • ولهذا السبب دأبت اسرائيل على شق الصف العربي والى تعميق الخلافات العربية والتناقضات بين الحكومات العربية • وفهمت اسرائيل جيدا ان الانظمة العربية الرجعية لا يمكن الاعتماد عليها لأنها لا تعتمد هي نفسها على جماهير شعبها بشكل كلي •

وتعرف اسرائيل أن جيوش الانظمـة الرجعية العربيـة غير مسلحة بشكل جيد أو على الاقل بشكل يتناسب مع طبيعة الحروب الحديثة • وتعلم اسرائيل وقيادتها العسكرية ان الحـكومات العربية لن تستسلم بسـهولة لمخططات اسرائيل • ولهذا السبب وضـعت اسرائيل نصب عينيها ضرورة احتلال احدى العواصم العربية القريبة من حدودها عمان ، دمشق، أو حتى بيروت •

وبناء على الخطة الاسرائيلية يجب أن لا تستمر مثل هذه الحروب آكثر من ثلاثة أشهر على الاكثر •

لقد بلغت مجموع النفقات الاسرائيلية العسكرية في اعوام ١٩٥٢ ـ ١٩٥٣ حوالي ٩٠٠ مليون دولار ، أي حـوالي ٧٥ مليون دولار في الشهر الواحد • وتبلغ النفقات الاسرائيلية العسكرية في ظروف الحرب عادة أكثر من مئة مليون دولار في الشهر الواحد ويخصص من هذا المبلغ حوالي (٧٠ ـ ٨٠) مليون دولار للنفقات العسكرية ، ولم تستطع الصادرات الزراعية الاسرائيلية في تلك السـنوات من تغطيـة سوى نصف نفقـات المواطنين الاسرائيليين •

وغالبا ما تضطر اسرائيل الى تصـدير منتوجاتها الزراعيـة لمبادلتها بالاسلحة والذخيرة لكونها تفتقد دائما الى السلاح الكافي واللازم لتحقيق أحلامها • والاحتياطي الاسرائيلي من السـلاح لا يكفي الا لشهر ونصف الشهر من القتال • لم تلب احتياطات الجيش الاسرائيلي من الاسلحة في الستينات حاجتها الضرورية للقتال • وعجز الاحتياط الاسرائيلي عن تغطية النفقات الاسرائيلية الضرورية ، واضطرت اسرائيل عند تحضيرها للعدوان على الامة العربية الاستعانة بالقروض الاجنبيـة بشكل عام والامريكيـة بشكل خاص • وبلغ رأس المال الاجنبي المنقـول الى اسرائيل في أعـوام (١٩٥٣ ـ ١٩٥٤) حوالي ٦٥ مليون دولار في الشهر • وكانت الحـكومة الاسرائيلية مديونة على الدوام •

وحصلت اسرائيل في بداية حربها على حوالي مئة مليون دولار في السنة كتعويض لها عن القتلى اليهود خارج اسرائيل .

وكانت مشاكل التمويل هي العقبة التي تصادف اسرائيل على الدوام في أثناء حروبها. لقد تمكن العرب من اعلان المقاطعة ضد اسرائيل ومنعت الدول العربية مرور السفن الى الموانىء الاسرائيلية .ورأت اسرائيل عند ذلك ضرورة احتلال مراكز التمويل العربية . وعلى سبيل المثال فقد وضعت اسرائيل خطة تقضي باحتلال مصفاة البترول في مدينة صيدا اللبنانية ، ذلك لأن البترول في مخازن المصفاة المذكورة سيكفي الجيش الاسرائيلي لعدة شهور .

وتحدثت الخطة الاسرائيلية عن ضرورة اتخاذ الاجراءات اللازمة لتجنيد السكان المدنيين في حالات الحرب والى تأمين اليد العاملة لادارة المصانع الاسرائيلية بالاضافة الى تأمين الحماية للسكان من الغارات الجوية . لقد درست القيادة الاسرائيلية بعناية فائقة أول عملية عسكرية كبيرة لها في الشرق الاوسط وذلك في عام ١٩٦٧ .

وقررت تلك القيادة وبناء على ما سبق توجيه الضربة القاسمة في البداية لمصر التي كانت في ذلك الوقت القوة العربية الكبيرة ورمزا لكل حركات التحرر في الشرق الاوسط .

واعتقدت اسرائيل ان اخراج مصر من المعركة سيسهل على اسرائيل حسمها مع أي قطر عربي آخر .

وبدأت اسرائيل عملياتها الحربية في سيناء ، واستطاعت اسرائيل أن ترفع الحصار البحري عن سفنها في البحرين الاحمر والابيض المتوسط . واعتمدت اسرائيل في حرب عام ١٩٦٧ على سلاح الجو بشكل رئيسي . وكان على اسرائيل اخراج المطارات الجوية في مصر وسورية خارج المعركة وبأقصى سرعة ممكنة ، بالاضافة الى تدمير الجسور على نهر الاردن وقناة السويس والليطاني والحاصباني وتدمير خطوط السكك الحديدية شمال

سيناء وتدمير مستودعات الذخيرة في تلك البلدان • وبصرف النظر عن كون خطة الحرب الاسرائيلية ضد العرب عام ١٩٦٧ وضعت في منتصف الخمسينات أي قبل بدء العدوان بعشر سنوات تقريبا الا ان تفاصيل هذه الخطة كانت متطورة جدا أي انها تناسب التاريخ الذي قامت به• ومن المهم الاشارة الى التتابع والمثابرة اللتين سلكتهما اسرائيل خلال هذه السنوات العشرة بهدف الوصول الى غايتها في احراز نصر عسكري كبير على الامة العربية •

ان وعي طبيعة تلك النشاطات تشير الى أن الشعار الذي تطرحه اسرائيل لاقامة اسرائيل الكبرى من الفرات الى النيل ليس مجرد كلمات فارغة ومنقوشة على جدار الكنيست ألاسرائيلي ، ولكنه شعار ملموس ومصنوع بشكل جيد ، كما وتسعى اسرائيل الى تنفيذ هذا الحلم بمساعدة من الصهيونية العالمية وحليفتها الامبريالية الامريكية •

هذا ويكمن جوهر «الحرب الوقائية» الذي اعتمدته اسرائيل كسياسة لها ، في تقسيم الدول العربية معتمدة بذلك على عملائها داخل الوطن العربي لاقامة أنظمة مزيفة فيه •

وبناء على ذلك اختارت لنفسها العميل الرائد سعد حداد في جنوب لبنان ، لاحتلال تلك المنطقة •

هذا وتجدر الاشارة الى أن الجنرال موشي دايان كان يحلم على الدوام بصداقة مثل هذا الضابط • لقد وضع سعد حداد نفسه تحت أمرة اسرائيل ، وخرج بذلك من الجيش اللبناني • وأعلن سعد حداد عن قيام « دولته » المارونية المستقلة على الارض في جنوب لبنان والتي تقع تحت الاحتلال الاسرائيلي المباشر• لقد جمع سعد حداد حوله مجموعة من الخونة الذين يتلقون السلاح والرواتب من اسرائيل • وبدأ هؤلاء المرتزقة بالقيام بأعمال تخريبية ضد لبنان• كما ويتلقى جنود وضباط سعد حداد تدريباتهم في المراكز العسكرية الاسرائيلية وعلى أيدي الخبراء الاسرائيليين •

لقد أعلن سعد حداد ومنذ اللحظة الاولى للغـــزو الاسرائيلي للبنان وذلك في شهر حزيران عام ١٩٨٢ جهرا انه حليف لاسرائيل وأنه سيشارك في العمليات الحربية ضد بلاده ٠

وصرح الرائد حداد بعد مرور أسبوع واحد على غزو لبنان «بكل فخر» وهو يجلس خلف مقود سيارة لاندروفر تابعـــة للجيش الاسرائيلي لمراسل صحيفة « فرانس برس » السـيد شارلي فايغمن بأنـــه يسيطر الآن على منطقة يبلغ عدد سكانها حوالي المليون نسمة ٠

هذا وسبق أن اقترحت اسرائيل على الدروز في لبنان : اقامة « دولة درزية » * على غرار « الدويلة المارونيـــة » في الجنـــوب اللبنـــاني ٠

لقد حاولت اسرائيل فيأثناء غزوها للبنان تمرير هذا المخطط التقسيمي٠ وكلفت اسرائيل لهذه الغاية عضو الكنيست السابق جابر مـــوادي والمنتمي الى الطائفة الدرزية في اسرائيل بالتوجـــه الى رئيس الوزراء الاسرائيلي مناحيم بيغن بطلب يرجو فيه « المساعدة على اقامة دولة درزية مستقلة في لبنان » ٠ كما ونشرت صحيفة « دافار » الاسرائيلية نص البرقيـــة التي وجهها جابر موادي الى مناحيم بيغن ٠

وباشرت المخابرات الاسرائيلية بجمع المعـــلومات عن رد الفعل الذي ولدته تلك البرقية في أوساط الطائفـــة الدرزية اللبنانية ٠ ان تلك البرقيـــة ليست الا مجرد طعم تم القاؤه للدروز في لبنان ٠

وحصلت اسرائيل على المعلومات التي ارادتها ولكنها كانت ذات طابع سلبي ٠ لقد وقفت الغالبية العظمى من الدروز في لبنان الى جانب رئيس الحزب الوطني التقدمي الاشتراكي وليد جنبلاط ٠ ودعا الدروز الى النضال من أجل توحيد لبنان ٠ واعتصم كذلك الدروز في مرتفعات الجولان السورية المحتلة احتجاجا على قرار ضم اسرائيل لتلك المنطقة ٠

---

* الدروز هم طائفة دينية اجتماعية تتوزع في لبنان وفلسطين وسوريا .

أما ما يخص جابر موادي فهو أحد أفراد الطائفة الدرزيـــة في اسرائيل ولكنه معروف بعمالته للصهيونية واسرائيل •

ورغم تلك المواقف الوطنية لم تتخل اسرائيل عن مخططاتها في اقامة « حكومة درزية » في لبنان على غرار « الحكومـــة المارونية » في الجنـــوب اللبناني• وعندما احتلت اسرائيل المناطق اللبنانية الجنوبية استطاعت شراء بعض الشخصيات السياسية اليمينية ، وكان من بين تلك الشخصيات بعض الدروز • لقد وقف هؤلاء الى جانب اسرائيل ولم تصنفهم شعوبهم الا في عداد الخونة والمتآمرين • هـــذا وتعتمـــد اسرائيل على تلك الشـــخصيات بالاضافة الى عملائها في داخل لبنان لهدف تحطيم ذلك البلد •

ان مثل هذه الشخصيات معروفة جيدا في لبنان ، لقد احتقرها الدروز الذين يقفون مع الحزب الوطني التقدمي الاشتراكي برئاسة وليد جنبلاط ضد الاحتلال الاسرائيلي لوطنهم •

وبهدف تمزيق الوطن العربي كانت اسرائيل وعلى الدوام تعزف على الوتر الطائفي الحساس •

ويجب أن نتذكر هنا الفتنة الدينية في مصر وذلك في صيف وربيع عام ١٩٨٠ • « لقد استغل أنور السادات هذه الفتنـــة لشن حملـــة اعتقالات واسعة ضد المعارضة المصرية » •

ونتذكر كذلك المحاولات الصهيونية لاشـــعال نار الحرب الطائفية في سوريا • ولكن اسرائيل لم تستطع استغلال هذه المحاولات الا في لبنـــان حيث قامت الحرب الاهلية أصلا تحت شعارات طائفية دينية •

كما ويتحدث المخطط الصهيوني عن نية اسرائيل في تقسيم لبنان الى دويلات درزية ، ومارونية ، وشـــيعية ، وعلوية • وترغب اسرائيل كـــذلك بتقسيم كل من سورية والعراق على هذه الاسس •

وتسعى اسرائيل كذلك الى تقسيم مصر الى دولتين الاولى عربيـــة والثانية قبطية •

وبناء على التقسيمات الشرق الاوسطية تلك والتي وضعتها الصهيونية العالمية يجب أن تصبح اسرائيل هي القوة المهيمنة على المنطقة بأكملها •

ويجب على اسرائيل حسب هذه الخطــة ابتلاع الاراضي العربيــة . وخاصة الضفة الغربية المحتلة لنهر الاردن ، قطاع غزة ، مرتفعات الجولان السورية ، جنوب لبنان ، وسيناء ، قناة السويس •

ان رجوع شبه جزيرة سيناء الى مصر بعد توقيعها على اتفاقيات كامب ديفيد ، لا يعني مطلقا انهاء مطامع اسرائيل في هذه المنطقة الحيوية من العالم العربي •

ان الانسحاب الاسرائيلي من لبنان هو بنظر الاسرائيليين ليس سوى تبديل في الدور لخططها الاستراتيجية حسب الاهمية •

وتهدف اسرائيل من هذه الخطوة الى اخراج مصر من صــف الدول العربية المقاتلة وكذلك الى شق وحدة الجبهة العربية أو التضامن العربي •

ولا يمكن احتلال الاراضي العربيــة دون ابادة واضــطهاد ســكانها الاصليين ، وأخذت الصهيونية لهذا السبب ومنذ الاعلان عن قيام اسرائيل بالتفتيش عن أحدث السبل لاستعباد وقهر السكان العرب بهدف طردهم من أراضيهم • وتسعى السلطات الصهيونية في الوقــت الراهن الى استعباد الشعب العربي عموما والفلسطيني خصوصا في جنوب لبنان والضفة الغربية المحتلة وقطاع غزة وهضبة الجولان • وقامت اسرائيل لهذه الغاية باضطهاد سكان تلك المناطق ، وشراء أراضيهم بالقــوة ، على الرغم من الاعتصامات التي قام بها السكان العرب ضد المشاريع الاسرائيلية الهادفــة الى اقامة المزيد من المستوطنات الزراعية ، وتغير المعــالم الحضارية والاثنوغرافية للمدن والقرى العربية •

لقد باشرت اسرائيل باستغلال الاراضي العربية ، وسرقة خيراتها، كما واستغلت اسرائيل الامكانيات الاقتصادية الهائلة في تلك الاراضي •

لقد دلت التحريات على ان المصروفات الاسرائيلية من النفـط تبلغ في الشهر الواحد من (١١٠ ـــ ١٣٠) ألف طن . وتغطي اسرائيل معظم هذه النفقات من البترول العربي •

ثم تبنت اسرائيل الخطة الجديدة القائلة « انتظر وراقب » • ولهـذا السبب فقد وردت في خطة « الحرب الوقائية » الاسرائيلية ضرورة مراعاة ترتيب المراحل ، أي ترتيب المواقف الاقتصادية والعسكرية الاستراتيجية وحسب النظرية الاقتصادية الاسرائيلية ، تقسم الحـرب الى ثلاث مراحل هي : تمويل القوات المسلحة . رفع الجاهزية الاقتصادية للاستفادة منها في أيام الحروب ويجب التوقع بأن الحروب مع العرب ستمتد الى أطول فترة ممكنة ولهذا يجب تكييف الاقتصاد للحياة السلمية •

ومن وجهة النظر الاستراتيجية ، تم اقتراح الاخذ بعين الاعتبار فترة التجهيز ، وفترة تنفيذ العمليات والحروب الدفاعيـة ، ومراحـل الهجوم على كل الجبهات الاربعة • ونظرا للأهمية الخاصة التي تحتلهـا مصر في العالم العربي كأكبر حكومة عربيـة ، وكرمز لحركات التحـرر في الشرق الاوسط في عهـد الرئيس جمال عبـد الناصر ، رأت اسرائيل في خـططها الاهمية القصوى لتنفيذ الضربة الاولى ضد مصر بهدف شل قدراتها ، ومن ثم اخراجها من المعركة •

اقترح الزعماء الاسرائيليون توجيه الضربة أولا الى القطاع المصري الجنوبي ، واحتلال شبه جزيرة سيناء وقطاع غزة الفلسطيني والواقع تحت الادارة المصرية • ورغبوا في أن تكون قناة السويس ضمن منطقة العمليات الحربية • وحسب هذه الخطـة فان منابع النفط المصريـة ستقع بأيـدي اسرائيل ، كما وستقع مصفاة النفط ومنابع النفط في مدينة السويس المصرية تحت السيطرة الاسرائيلية • كما وتعـطي هذه العملية اسرائيل امكانيـة الوصول الى الخليج العربي ، وضرب الاسطول البحري المصري في البحر الاحمر • ان مثل تلك العملية ستمكن اسرائيل من الحـاق الهزيمة بالجيش الاردني والايراني وبالتالي ستمكنها من احتلال الضفة الغربية لنهر الاردن•

أما على صعيد الجبهة الشرقية فقد رأت الخطة الاسرائيلية (وفي حال نجاح العملية على الجبهة الجنوبية) ضرورة احتلال الضفتين الشرقية والغربية لنهر الاردن وذلك (في المرحلتين الرابعة والخامسة من تنفيذ تلك الخطة) •

وتقضي المرحلة الخامسة من الخطة الاسرائيلية شن هجوم واسع على المنطقتين الشرقية والشمالية من الوطن العربي •

أما في المرحلة السادسة فيتوجب على اسرائيل ــ حسب خطتها ــ احتلال بيروت ودمشق واخراج كل من سوريا ولبنان من الحرب •

وتتحدث الخطة الاسرائيلية عن وجوب دعم الدروز في سورية والمارونيين في لبنان عند احتلالها لتلك الدولة •

وتقضي الخطة الاسرائيلية بضرورة بث حملة دعائية واسعة لتحريض الدروز في سوريا والمارونيين في لبنان على تشكيل دويلاتهم الطائفية الخاصة بهم ، ولتقوم تلك الدويلات بالتالي بدعم اسرائيل في أثناء قيامها بعملياتها الحربية لاحتلال تلك البلدان •

وعلى الصعيد اللبناني فقد تحدثت الخطة الاسرائيلية عن ضرورة احتلال جزء جديد من الاراضي اللبنانية المحاذية لنهر الليطاني لتشكيل « منطقة دفاعية » عليها • وتضمنت هذه الخطة مشروعا لاحتلال الاراضي اللبنانية حتى وادي البقاع بهدف قطع الطريق على سوريا •

ويتحتم على اسرائيل حسب خطتها المرسومة احتلال مرتفعات الجولان ومدينة القنيطرة والاجهاز من ثم على العاصمة دمشق •

وتتحدث الخطة الاسرائيلية عن ضرورة بدء العمليات الحربية ضد الدول العربية بتوجيه ضربة جوية قوية لتلك الدول • وخاصة ضد المطارات والقواعد الجوية السورية والمصرية • ومن ثم توجيه الضربة الى جيوش الحكومات العربية الموزعة بمحاذاة الحدود الاسرائيلية •

وتقوم اسرائيل سنويا بمناقشة هذه الخطـة بالتفصيل ، فتدققهـا وتعدلها .

وكما دل العدوان الاسرائيلي في حزيران عام ١٩٦٧ والاحداث التي تلت ذلك التاريخ على أن الاسس والمرتكزات الاساسية لهذه الخطـة بقيت راسخة وثابتة ، على الرغم من ان المحتل الاسرائيلي عجـز حتى الآن عن تحقيق مشروعه العدواني بشكل كامل .

المؤامرة

تقوم اسرائيل عادة وبشكل دوري بشن هجماتها العدوانية الكبيرة في الشرق الاوسط كما حدث أعوام (١٩٤٨ — ١٩٥٦ — ١٩٦٧ — ١٩٧٣) وهذا يدل على أن هذه الاعتداءات تأتي بشكل مدروس ، ومخطط بشكل جيد وأثبتت التجربة ان اسرائيل لم تغير سياستها الاستراتيجية القائمة على العدوان والاستفزاز والارهاب قيد أنملة .

لقد أخذ واضعو الخطط الصهيونية بعين الاعتبار هذا الخليط الضئيل من الدويلات في هذه المنطقة والتي تتنازع دوما فيما بينها ولن تستطيع الوقوف أمام اسرائيل وبالتالي تستطيع هذه الاخيرة توسيع رقعة حدودها حتى تشمل المنطقة الواقعة من الفرات الى النيل وفرض ارادتها على المنطقة برمتها .

كتبت الصحف الاسرائيلية بكل وقاحة : « العرب رحل بطبيعتهم ولا يثمنون قيمة الارض ، وانهم سيهربون بسرعة عندما يصطدمون بأية قوة تهاجمهم » .

حالف العدوان الاسرائيلي في الخامس عشر من حزيران عام ١٩٦٧ النجاح في توجيه ضربة وقائية ، واستطاعت اسرائيل فعلا تحطيم الجيوش العربية . وفي خضم الهرج والمرج والابتهاج ، لم ينتبه الاسرائيليون الى ان خروجهم من « الخندق » قد عراهم وفضحهم بشكل علني مما أدى بالتالي الى كشف نواياهم ومخططاتهم بصورة أوضح .

لقد تبين أنهم يظنون أن جيشهم لا «يقهر» ، وبأن دولتهم (اسرائيل)

مرشحة لكي تلعب دورا متميزا في العالم ، وانها ليست مجــرد دولة شرق أوسطية صغيرة ، كما تبين أن هنالك علاقات خاصة تربط كــلا من اسرائيل والولايات المتحدة الامريكية ، حتى وصلت خصوصية هذه العــلاقات الى درجة ان أمريكا سمحت لاسرائيل بتجنيد مواطنيها في الجيش الاسرائيلي. وتعتبر اسرائيل هؤلاء الجنود مواطنين بجنسية مزدوجة وفي غمرة الفرح لم يع المعتدون عجز عدوانهم عن تحــقيق أهدافه ، ولم يهرب العــرب في الصحراء كما توقعوا بل اجتمعــوا في عام ١٩٦٧ في الخرطــوم وقرروا توحيد قواهم لمواصلة النضال ، ووضح بطلان وزيف الحسابات الاسرائيلية: بحتمية ســقوط الانظمة العربية التقدمية وتدمــير الروابط بين الاتحــاد السوفييتي والشعوب العربية •

ولم يتبدل الموقف الاسرائيلي العدواني منذ عدوان الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ مع مرور الزمن • ففي عام ١٩٧٧ وفي السادس عشر من آذار من هذا العام ، وعلى الطريق المؤدي الى بيروت تم قتل زعيم القوى اللبنانية اليسارية « كمال جنبلاط » ، الذي قتله عدد من الاشخاص الذين كانــوا يستقلون سيارة سباق أمريكية طراز « بونتياك » وتحمــل الرقم ٧٢٧١٩ حيث طاردت « كمال جنبلاط » وفتحت النار عليه ، عندها رد سائق سيارة « جنبلاط » واثنان من مرافقيه على النار بالمثل وجنحت سيارة المعتدين عن الطريق حيث تركوها وفروا هاربين في حين بقي محرك السيارة يعمل حتى وصلت قوات الشرطة اللبنانية وقوات من الجيش السوري العاملة ضمن قوات الردع العربية الى مكان الحادث ، ولاحــظ هؤلاء بقعة من الدم في تلك السيارة وعلبة دخان الا ان المجرمين استطاعوا الفرار •

بهذا الصدد صرح قائد الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين « نايف حواتمة » في المؤتمر الثامن للمجلس الوطني الفلسطيني بأن القتلة معروفون بشكل جيد لأنهم كانوا قد أعلنوا أكثر من مرة عن عدائهم للثورة الفلسطينية وللشعب اللبناني وانهم يتزلفون الآن أمــام الرئيس الامريكي كما تزلفوا بالامس أمام السكرتير الامريكي الحكومي « كيسنجر » •

ليس من الصعب أن نعرف من كان المقصود بكلام « نايف حواتمة » قال فيه أيضا : « لقد مات الرئيس جمال عبد الناصر وهو يدافع عن الثورة الفلسطينية واليوم يموت أحد الابطال لأنه يساند هذه الثورة » •

ان أحداث لبنان التي أشعلتها اسرائيل في آذار عام ١٩٧٨ هي عبارة عن حرب غير معلنة أظهرت بوضوح ان اسرائيل تسير حسب الخط الاستراتيجي المرسوم لها، وتبرهن على ذلك المحاولات الاسرائيلية المكشوفة والرامية الى احداث البلبلة في سوريا عن طريق تحريض زعماء الطوائف الدينية المختلفة ضد بعضها البعض •

ان اسرائيل تعطي لنفسها الحق في التحكم بالدول العربية ونشاطات حكوماتها اما عن طريق الاتفاقيات ذات الطابع الانفرادي ، أو عن طريق العدوان المستمر كما هو الحال في لبنان • وتريد اسرائيل من العرب أن يخضعوا لشروطها معتمدة على وقوف الولايات المتحدة الامريكية وراءها بشكل دائم في كل ما تفعله • ويتحدث العرب عن الولايات المتحدة بقولهم : انها الضيف الذي أتى الى المائدة الفقيرة ، عندما أصبحت كل الامكنة مشغولة أي ان الولايات المتحدة لم تضع الشرق الاوسط في مقدمة اهتماماتها الا بعد الحرب العالمية الثانية •

ان احداث السنوات الاخيرة أظهرت ان الولايات المتحدة ليست الضيف الذي يطأطىء رأسه عندما يخطىء ، لأن تشكيل قوات التدخل السريع الامريكية ووضعها في منطقة الخليج العربي ، وتشكيل القواعد العسكرية في الشرق الاوسط يشير الى أن الولايات المتحدة تسمح باعطاء « الحق » لنفسها عن طريق القوة بنصيب من الخيرات الطبيعية العربية وتراهن من جديد على اسرائيل وقواتها في المنطقة • مع كل هذا فقد ازدادت وقاحة اسرائيل المستمدة من « النجاحات العسكرية الاسرائيلية » والتي تمت بمساندة الولايات المتحدة الامريكية المباشرة ، وخيانة الرجعية العربية التي ساهمت بها أمريكا مساهمة فعالة من خلال تمرير الولايات المتحدة

للخطط العدوانية الاسرائيلية ، وتتجلى هذه الخيانــة بوضوح في موافقة السادات على تشكيل تحالف مع الولايات المتحدة واسرائيل وذلك من خلف ظهر الشعب العربي ، متنكرا بذلك لمبدأ الحل الشامل والعادل للصراع العربي الاسرائيلي •

من المعروف انــه في الاول من أيلول عام ١٩٧٧ تم توقيع الاتفــاق السوفييتي ــ الامريكي المشترك حول التســوية الســلمية للخلاف العربي الاسرائيلي • ولكن واشنطن لم تفكر بتنفيذ هذا الاتفــاق بل أقدمت على توقيع هذا الاتفاق لخداع الرأي العــالمي لأنها تنصــلت فيما بعد من كل بنوده ، فبينما كان الحديث يدور عن الانفراج الدولي كانت الولايات المتحدة تصعد من توتر العلاقات مع الاتحاد السوفييتي •

وصار في ذلك الوقت مبدأ التعامل المسمى « بالتجارة القاسية » مع الاتحاد السوفييتي هو الســائد في الدوائــر الامريكية الحاكمة • بعدها شكلت واشنطن « لجنة ثلاثية » وكلفتهــا « بتحليل العــلاقات بين الشرق والغرب » •

ان هذه الاجراءات تعني بالنسبة للشرق الاوسط ، محاولة الولايات المتحدة الامريكية التنصــل من الاتفاقيــة الموقعة بينهــا وبين الاتحــاد السوفييتي لتسوية الصراع الشرق أوسطي عن طريق مؤتمر جنيف الدولي وعلى أساس قرارات مجلس الامن الدولي والجمعيــة العمومية وبوساطة كاملة من قبل منظمة الامم المتحدة •

وقبيل توقيع الاعلان السوفييتي ــ الامريكي المشــترك كانت تحاك في واشنطن صفقات الســادات مع المبعــوثين الامريكيين ، وأصبح طريق الصفقات المصرية الاسرائيلية الانعزالية قدرا محتوما •

لقد فضلت الولايات المتحدة الامريكيــة وضع الاتحــاد السوفييتي نسبيا في الصورة حول استعدادها كما في الماضي لعملية التنسيق، وتم تكليف السادات لهذا السبب بطلب « النجدة » من الدول العظمى •

بعد توقيع الاعلان السوفييتي الامريكي المشترك أعرب السادات عن استعداده للسفر الى القدس ، والاجتمـاع مع رئيس الوزراء الاسرائيلي مناحيم بيغن ...

ان شخصا مثل السادات ، لا يستطيع أن يصبـح رئيسا لدولـة مثل مصر ، الا في ظروف خاصة ومشابهة للظروف التي عاشتها مصر بعد عدوان عام ١٩٦٧ .

وللمصادفة البحتة فقد كان السادات يشغل منصب النائب الوحيـد لرئيس جمهورية مصر بعد وفاة الرئيس جمال عبد الناصر .

علما بأنه شخصيا ومعه حسين الشـافعي لم يكونا ضمن مجموعـة الضباط الاحرار التي قادت ثورة عام ١٩٥٢ بمصر . وخـاف أتباع جمال عبد الناصر حدوث صراع على منصب رئيس الجمهورية .

وأشار هؤلاء القادة الى أن الصراع على السـلطة في هذه الظروف سيجلب الكوارث لمصر ، لذلك قررت اللجنة المركزيـة للاتحاد الاشتراكي الموافقة على ترشيح السـادات لمنصب رئيس الجمهوريـة . لقد عجزت شخصية السادات عن اكتساب أية عاطفة أو احترام في مصر . ولم يحسب أحد للسادات أي حساب في المسائل الجدية ، لأنـه ظل فترة عشرين سنة مختفيا تحت ظل الرئيس جمال عبد الناصر . وعندما سـمع السادات عن ترقيته ، الى رتبة عقيد (اذ ــ سير) بالانكليزية والتي لم يعرف هو نفسه كيف تمت هذه الترقية، وقف صامتا ثم ابتسم لقد عامل عبدالناصر السادات بتسامح وسخرية واستهزاء . وليس غريبا ان وضـع السادات هذا مكنه ولفترة طويلة أن يلعب دورا خفيا .

وجاء الخطاب الاول للسادات في مجلس الشعب المصري (البرلمان) بعد تنصيبه كرئيس لمصر ، حيث بدا صوته ضعيفا ومتقطعا ، لأن السادات كان يفهم جيدا انه تسلم السلطة من انسان عظيم هو جمال عبد الناصر .

وعاهد السادات مجلس الشعب والشعب المصري عموما على أن يتابع الطريق الذي سلكه سلفه العظيم ٠

وبعد نصف عام من تسلمه الحكم قام السادات بانقلاب حكومي ٠ حيث اعتقل مؤيدي عبد الناصر والذين كانوا يحتلون مراكز مرموقة في الجهاز الحكومي ٠ وأصبح صوت السادات بعدها يلعلع بصورة مختلفة عما ظهر عليه السادات في خطابه الاول ٠

وصار أنور السادات يرشد الناس، ويطلب منهم ويهددهم ويتوعدهم٠ وتحدث في حينه عن اعادة النظر في معايير الديمقراطية داخل مصر ٠ واستغل السادات هذه الدعوة كسلاح لدعم نفوذه الشخصي في السلطة ٠ وبالتدريج أخذ السادات يأمر باخراج السجناء الذين اعتقلهم عبد الناصر والذين كانوا من الرجعيين ٠ وكان من بين هؤلاء المعتقلين الصحفي المصري المعروف مصطفى أمين والذي تم اعتقاله في أثناء بثه المعلومات السرية لوكالة الاستخبارات المركزية الامريكية ٠

وعندما خرج هؤلاء من السجون قاموا بشن حملة مسعورة ضد أتباع عبد الناصر على صفحات الصحف المصرية ٠

لم يكتف السادات بذلك ٠ ففي نطاق محاولاته لدعم نفوذه الشخصي في السلطة ، رأى ضرورة احراز نصر عسكري ضئيل ومحدود ضد اسرائيل٠

لقد تحدث السادات في مذكراته عن ضرورة الحرب « المحدودة » ضد اسرائيل على أرض سيناء ، بهدف تحرير جزء منها ، لأن ذلك سيفتح الطريق حسب زعمه أمام حل المشكلة برمتها ٠

ولم يكن احراز النصر الحاسم واردا في خطط السادات ، بل أراد من تلك الحرب امتلاك عنصر ما لتبرير تصرفاته أمام الشعب المصري ٠

لقد أراد السادات من تلك الحرب أن تكون مجرد حركة ايمائية تدفع الولايات المتحدة الامريكية للتعاون معه ، ولكي لا تغدر به الولايات المتحدة

وتتركه وحيدا في حالة فشله بتلك الحرب • وخلص السادات الى هذه النتيجة في صيف عام ١٩٧٢ عندما أمر بطرد المستشارين السوفييت . والذين سبق ودعاهم جمال عبد الناصر لمساندة الجيش المصري •

وهيهات أن يكون السادات هو الشخص الذي اتخذ قرار الحرب بهدف تحرير الاراضي المصرية المحتلة من قبل اسرائيل •

وعلى كل حال فقد بدأ السادات الحرب في تشرين عام ١٩٧٣ • ان الحماس والبطولة التي دخل بهما الجيش المصري حرب تشرين أخافا السادات بشكل مرعب • فقد عبر جيش مصر الحاجز المائي الصعب « قناة السويس » ، واستطاع الجيش المصري في ساعات قليلة تدمير التحصينات الاسرائيلية على هذا الحاجز والمسماة « خط بارليف » والتي ظن الجميع انها غير قابلة للسقوط نهائيا •

وأصبحت الطرق المؤدية لكل سيناء مفتوحة أمام الجيش المصري ، واستطاع الجيش المصري وخلال أيام قليلة الوصول الى الحدود الدولية ، منهيا بذلك الحرب لصالحه •

ولكن القوات المصرية المسلحة لم تحصل على أمر بمتابعة الهجوم ، ذلك لأن السادات كان غير معني بالنصر الحاسم ؛ ولم يكن النصر أصلا واردا في مخططاته• لقد هز النصر العسكري المصري وبشكل جدي الجميع •

وخاف السادات من عواقب هذا النصر ، لأنه ليس بحاجة له ؛ بل كان بحاجة الى نجاح محدود يكفي للفت نظر الادارة الامريكية الى شخصه • ودعمه للثبات في موقع السلطة • ولاحظ الامريكيون محاولات السادات هذه بسرعة فائقة • وبدأ السكرتير الحكومي الامريكي (وزير الخارجية) هنري كيسنجر بالتردد على القاهرة ، وتمخضت هذه الزيارات عما يسمى باتفاقية فصل القوات الاولى في سيناء • وطرحت الولايات المتحدة الامريكية في تلك الايام هذه الاتفاقية كبديل عن مؤتمر جنيف السلمي لحل مشكلة الشرق الاوسط •

وتمت كذلك عملية فصل القوات بين سوريا واسرائيل التي اضطرت اسرائيل بموجبها الى الانسحاب من مدينة القنيطرة في مرتفعات الجـولان السورية المحتلة • لقد أحرزت سوريا هذا النصر عن طريق المحادثات وعن طريق الدعم والتأييد السوفييتي للمواقف السورية •

وفي عام ١٩٧٦ كانت الزيارة الثانية لهنري كيسنجر للمنطقـة وبدأت مرحلة ما يسمى بالدبلوماسية المكوكية • وأخذت زياراته بين القاهرة وتل آبيب تتكرر حتى صارت دبلوماسيته بديلا عن مؤتمر جنيف • لقـد كانت اتفاقية سيناء الثانية الموقعة بين مصر واسرائيل والتي ساهم بها هـنري كيسنجر العامل الرئيسي الذي دفع مصر الى عزلها عن عـالمها العـربي • ورفضت سوريا السير خلف مصر في الاستمرار بتوقيع الاتفاقيات الجديدة• وانتقدت الصحـافة العربية بشدة النشـاطات الكيسنجرية والتنـازلات الساداتية • وقد تم تمرير توقيع هذه الاتفاقية في الوقـت الذي كانت فيه الحرب الاهلية اللبنانية مشتعلة ، وكأنه تم تحويل الحـرب من سيناء الى الجنوب اللبناني • ان الخلاف اللبناني هو من صنيع المخـابرات الامريكية السرية والاسرائيلية التي تسعى بشكل مستمر الى تصعيد الوضـع هناك بهدف اضعاف منظمة التحرير الفلسطينية بأي شكل ، واضعـاف الحكومات العربية • ولم تتوان اسرائيل عن استغلال ظروف الحرب الاهلية اللبنانية•

وأعلن رئيس الوزراء الاسرائيلي المتطرف ، ورئيس كتلة «الليكود» مناحيم بيغن عن رغبته في التوسع على حساب الدول العربيـة المجاورة • ورأي المراقبون السياسيون ان بيغن يرمي من وراء تهديداتـه الى الوصول الى السلطة ، وطرد العرب من الاراضي المحتلة •

أما على الصعيد الدولي فقد متنت اسرائيل عـلاقاتها مع أكثر القوى الرجعية في العالم والتي حاولت فينهاية السبعينات تدمير الانفراج الدولي•

ومن البدهي ان الصهيونية العالمية ومنذ نشأتها الاولى أخذت تتفاعل مع الاحداث العالمية كفصيل من النظام الامبريالي العالمي •

ان الايديولوجية الصهيونية مبنية على المعاداة العميقة لثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى في الاتحـــاد السوفييتي ولسياسة الحــزب الشــيوعي السوفييتي ، ذلك لأن قادة اسرائيل يرون في الاتحـــاد السوفييتي العـــدو الاول ، الذي يعارض خططهم الاستعمارية التوسعية •

كما وتنطلق الصهيونية من مراكز عالميـــة مختلف كأمريكا وانكلترا واسرائيل لشن الحملات الدعائية المضادة للاتحاد السوفييتي •

والصهيونية هي حليف قوي للامبريالية الامريكية ، وقوتها الضاربة في مجال توتير العلاقات الدولية ونسف الوفاق العالمي •

وكان العدوان الصهيوني الاول ضد العرب بتدبـــير مع الامبرياليـــة الامريكية ، وبهدف تقويض الاتفاق الموقع بين الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفييتي عام ١٩٧٣ بشـــأن مؤتمر جـــنيف الدولي لتســـوية المشكلة العربية ـــ الاسرائيلية سلميا •

وحاولت الولايات المتحدة الامريكية ولفترة طويلـــة مجابهة الدعوات العالمية لاقامة مؤتمر سلمي بخصوص الشرق الاوسط •

ان توقيع الولايات المتحدة في الاول من تشرين الثاني عام ١٩٧٧ على الاتفاق السوفييتي ـــ الامريكي بخصوص الشرق الاوسط لم يكن سوى حيلة امبريالية ، حيث برز بعدهـــا الاتفـــاق بين الرئيس الســـادات واسرائيل والولايات المتحدة الامريكية • وتم فيما بعد الافصاح عن تفاصيل الاتفاق الانفرادي المذكور •

في السادس عشر من شهر ايلول عام ١٩٧٧ كانت زوجة موشي دايان ستصحب زوجها الى واشنطن • وبالفعـــل فقد صعدت تلك المـــرأة ســـلم الطائرة في الوقت المحدد لسفرهما • ولكنه لم يكن زوجها معها ـــ هذا ما لاحظة الصحفيون المتواجدون على أرض المطار • وفي لحظة هبوط الطائرة في مطار كينيدي بالولايات المتحـــدة الامريكية ، أصبح مكان وجـــود دايان

مجهولا • ولم يعرف مكان وجـوده سـوى قلة من الزعمـاء الاسرائيليين والامريكيين . وعرفوا انه مسافر الى احدى الدول العربية للقاء شخصية تحمل لقبا غريبا وهو وكيل رئاسة مجلس الوزراء المصري حسان التهامي . ومن المعروف عن هذه الشخصية أنها مكروهة جدا •

وسبق للولايات المتحدة الامريكية ان حـاولت شراء الرئيس المصري السابق جمال عبد الناصر هذا الشـخص ذاته وذلك من بارسـالها مبلـغ مليون دولار للرئيس عبد الناصر • ودفع هـذا الامر بعبد النـاصر الى استنكار المحاولة الامريكية ، والتنديد بحسان التهامي • في الوقت الـذي أصبح فيه حسان التهامي في عهد السادات من المقربين جدا الى شخصه • وفي كتابه « البحث عن الذات » يتحدث السادات عن تاريخه الخياني حيث يقول : « منذ ان جاء الوفد الامريكي للمشاركة في تشييع جنـازة الرئيس عبد الناصر ، حاولت أن أعقد معهم اتفـاقيات لتعـزيز الثقة فيما بيننا • وأخذت الولايات المتحدة الامريكية رغبتي هـذه بعين الاعتبـار ، ويتذكر السادات ما قالهالسفير الامريكي لدى مصر عندمـا رجع الى واشنطن في تقريره الشامل حيث قال : « لن يستطيع السادات البقاء في السلطة لأكثر من ٤ ـ ٦ أسابيع » •

وأجرى الامريكيون في الآونة الاخيرة بعض الخطوات التصحيحية . وبدأت المراسلات النشيطة بين الرئيس السادات والشخصيات السياسية الامريكية •

وكتب هنري كيسنجر للسادات يقول : « يجب عليك أن تكون واقعيا ، لأننا نعيش في عالم الوقائع ، ولن نستطيع أن نبني أي شيء على أسـاس الامنيات والاحلام •

وتتجلى الواقعيـة يا سـيادة الرئيس في انكم خسرتم الحـرب ولا تستطيعون فـرض شروطكم ، لأن فرض الشروط يتم عـادة من الجـانب المنتصر » •

ان عملية ترويض السادات بدأت بشكل كامل قبل حرب تشرين عام ١٩٧٣ • وقال هنري كيسنجر عن السـادات : « أنـا معجب بالسـادات وبمواقفه وشجاعته • انه الشخص الاول الذي يضع في هذه المنطقة ولأول مرة في التاريخ الامور في نصابها ••• » *

وبلع السادات الطعم الذي ألقاه كيسنجر له •

لم يستطع السادات الغاء حرب عام ١٩٧٣ على الرغم من انه ماطل لوقت طويل في بدء الحرب • ورغم انه اضطر الى بدء تلك الحـرب نتيجة للضغط الشعبي ، الا انه حاول تحديد وتقليص رقعة الحرب • وبذلك يظهر أن السادات راهن على المحـادثات مع اسرائيل ، وليس على النصر في تلك الحرب •

وفي محاولة السادات لتبرير سلبيته بعد أن انتصر الجيش المصري في حرب عام ١٩٧٣ ؛ واحتلاله لخط بارليف وقناة السويس ، وكتب السادات في مجال ذلك : « لم أرد مقاتلة الولايات المتحـدة الامريكية » • حيث انه متأكد بأن الولايات المتحدة الامريكية ستلقي بقنبلة ذرية على القاهرة كما سبق وأن فعلوا ذلك في هيروشيما •

وجاءت مخاوف السـادات هذه من تهـديد كيسنجر له بقوله : ان البنتاغون سيوجه ضربة لمصر في حال عدم ايقافها تقدم جيشها •

ومن الصعب جدا أن نفهم في بعض الاحيـان فيما اذا كان السادات يراوغ أم يكتب ما يعتقده صوابا •

وكتب السادات في ربيع عام ١٩٧٧ بأن سفارة جمهورية مصر العربية في واشنطن تلقت رسالة موجهـة له من الرئيس كارتر مكتوبة بخـط يده وممهورة بخاتم من الشمع الاحمر • ولكون الرسالة بالغة الاهمية ، لم تبعث السفارة المصرية الرسالة بالبريد الدبلوماسي العادي ، بل أرسلتها مع ابن

---

* انور السادات ، البحث عن الذات قصة حياتي، القاهرة، صفحة ٤٠١

المارشال المصري أحمد اسماعيل الذي كان يعمل في ذلك الوقت بواشنطن • وكتب السادات في كتابه « البحث عن الــذات » بأنه رد على رسالة كارتر بنفس الطريقة التي كتبت وارسلت فيها رسالته •

وأضاف السادات أنه أخذ يتبادل الرسائل وبشكل مستمر عن طريق السفارات مع جيمي كارتر . وذلك منذ لقائهما الاول في واشنطن في شهر نيسان عام ١٩٧٧ •

وتم عن طريق تلك الرسائل تنسيق الخطوات المستقبلية • وتطورت المراسلات فيما بينهما الى درجة نقلها مع أشــخاص موثوقين جــدا ، ولم يكشف السادات عن هذه المرحلة بوضوح ، واكتفى بالايماء للقراء على أن الرسائل كانت تنقل بشــكل موثوق ، وذلك لترتيب زيارتــه المنتظرة الى القدس • ويعترف السادات بأن الرئيس السوري حافظ الاسد نصحه بعدم الاعتماد الكلي على الولايات المتحدة الامريكية •

وهذا ما يؤكد حقيقــة ان خطوات الســادات كانت انفراديــة منذ بدايتها • ولم يرغب السادات في تبادل الآراء مع حلفائه العرب في النضال ضد الاحتلال الاسرائيلي •

وعندما رجع موشي دايان من زيارتــه السرية ، توجه فورا الى مقر اقامة مناحيم بيغن حيث قال له : « السادات يريد أن يلتقي معكم سرا ، بهدف اجراء مباحثات لضمان عدم دخول أية حرب مع اسرائيل مقابل اعادتها لصحراء سيناء المصرية لمصر » •

بعدها طار موشي دايان الى واشنطن والتقى في الخــامس من تشرين الثاني عام ١٩٧٧ مع الرئيس الامريكي جيمي كارتر وأخبــره أن السادات مستعد لتقديم التنازلات لاسرائيل • وبعدها أخذت أمريكا تتهرب بسرعة من الاتفاق السوفييتي ــ الامريكي حول قضية الشرق الاوسط •

عندما يتحدث السادات عن كيفية اتخاذه لقرار السفر الى القدس فهو

بذلك يخادع نفسه علانية ، محاولا تغطية قراره بغطاء صوفي • لقد حدث كل هذا في الليل ••• حيث لم يعط لمساعديه ولاسرائيل سوى ٧٢ ساعة فقط للتفكير في قراره هذا •••

لكن الحقيقة مغايرة لذلك تماما ، لأن رحلة السادات الى القدس قد تم ترتيبها قبل الاعلان عنها بوقت طويل • واعلن السادات بسرعة فائقة عن قراره المفاجىء والمتضمن استعداده للسفر الى القدس من أجل السلام بين العرب والاسرائيليين • وبدأ السادات يلعب مسرحيته الضخمة وعلى مرأى من الاعين المندهشة جدا وفي جميع أنحاء العالم •

هذا وقد أعلن كبير المعلقين في التلفزيون الامريكي عن خطوة السادات وأخذ يدير قرص الهاتف الخاص برئيس الوزراء الاسرائيلي مناحيم بيغن على شاشة التلفزيون وعلى الهواء مباشرة ، ليسأله فيما اذا كان مستعدا لاستقبال السادات ؟• فأعلن بيغن بصراحة عن استعداده لاحتضان الرجل الذي كان بالامس عدوا له • واعلن في جميع انحاء العالم ان اللقاء بين السادات وبيغن سيتم بأقرب فرصة ممكنة •

ومر شهر كامل منذ ان تخلت الولايات المتحدة الامريكية عن التزاماتها حيال البيان السوفييتي ــ الامريكي المشترك لحل مشكلة الشرق الاوسط •

وأخذ الامريكيون يهتمون بلقاء السادات مع بيغن أكثر من اهتمامهم بأي شيء آخر• لأن مثل هذا اللقاء سيفتح الباب أمام الصفقات الانفرادية• هذا الطريق مخطط له بشكل جيد ، ومحسوب بطريقة دقيقة وعلى أحدث الاجهزة الالكترونية • وتم في ذلك الوقت توقيع اتفاقية سيناء الثانية . وصفق الناس للمصيدة • وبدأ السادات خطواته حثيثا على طريق الخيانة المعادي للمصالح العربية •

بعد زيارة السادات للقدس بستة وثلاثين ساعة ، قام رئيس الوزراء الاسرائيلي مناحيم بيغن ، ووزير دفاعه عايزر اليسار ، ووزير خارجيته مرشي دايان بزيارة القاعدة المصرية الجوية القريبة من مدينة الاسماعيلية

وذلك في الخامس والعشرين من كانون الاول من العام نفسه ٠

وتلا ذلك استقبال الوفد الاسرائيلي الذي كـان يستقل السـيارات الامريكية من قبل العديد من الشخصيات الرسمية المصرية في أرض المطار لاصطحاب الوفد الى مكان اقامة الرئيس بالقرب من مدينة الاسماعيلية ٠ ولم تعط مباحثات الاسـماعيلية أية نتيجة ايجابيـة ٠ وعمل السـادات للاسرائيليين بعض الاشارات التي لم يلاحظوها ، والتي تتلخص في سؤال السادات لموشي دايان : لماذا لم تلاحظـوا منذ سبع سنوات استعدادي للصلح معكم ٠

وبالطبع فقد صمت دايان ولم يجبه عن سـؤاله ، ذلك لأن الصهاينة وقبل عام ١٩٧٣ لم يكونوا بحاجة الى السلام، ولا الى الاتفاقيات مع الدول العربية لأنهم كانوا منشغلين باستغلال النصر العسكري الذي أحرزوه بعد عدوان عام ١٩٦٧ في شهر حزيران ، وكانت اسرائيل منشغلة بتوسيع رقعة دويلتهم ٠ وأجابه موشى دايان بعد صمت طويل :

لم نكن نحن الاسرائيليين نثق بك، ذلك لأنك كنت فيعام ١٩٧١ تتحدث عن الحرب بنفس الحماس الذي تتحدث به عن السلام ٠ واعتمـادا على التحليل النفسي واللغوي لخطب السادات لم يقبل الاسرائيليون بها ، أو لم يصدقوها وفسر علماء اللغة كلمات السادات لو أنه يرغب فعلا في السلام ، كان عليه أن يستخدم كلمة «سلام» في خطبه بدلا من كلمة « صلح » ، ولكن الترجمة لتلك الكلمات تعطي نفس المعنى ٠٠٠

وبدأ علماء اللغة يتجادلون ٠٠٠

وحاولت الدعاية المصرية تفسير فشل المفاوضات مع اسرائيل بسبب أن الرئيس أنور السادات لم يوافق على حل وسط للقضيـة الفلسطينية ٠ ويتجلى هدف هذه الدعاية في تغطية السياسة الرأسمالية لأنـور السادات التي بدأت تسير على طريق توقيع الصفقات الانفرادية مع اسرائيل ٠ وفي الواقع لم تكن المشكلة الفلسطينية تهم السادات في شيء ٠

فقد تم الاعلان في نهاية المفاوضات التي جرت بالاسماعيلية ان منظمة التحرير الفلسطينية ليست الممثل الشرعي والوحيد للشعب العربي الفلسطيني • وكتب في هذا الخصوص مراسل صحيفة «جيروزاليم بوست» الاسرائيلية في القاهرة ان المصريين مستعدين لتأييد أي اتفاقية بين اسرائيل « والشخصيات الفلسطينية المتواجدة في قطاع غزة » للبت في شؤون هذا القطاع •

وفي اطار ذلك جرت محاولات عديدة لاستبدال منظمة التحرير الفلسطينية بأية منظمة أخرى تكون تابعة لتل أبيب •

أيدت مصر محاولات اسرائيل في تغيير الحدود بقطاع غزة والضفة الغربية المحتلة لنهر الاردن وكذلك فتح الحدود بين الدولة الفلسطينية المراد انشاؤها في تلك المنطقة مع اسرائيل ، كما دعت مصر الى اقامة علاقات « طبية » بين اسرائيل والدولة الفلسطينية في حال قيامها • بعدها أعلن بيغن عن خطته المتعلقة « بالاستقلال الذاتي » للفلسطينيين •

وتقضي هذه الخطة بانهاء الكفاح الفلسطيني المسلح في الضفة الغربية المحتلة وقطاع غزة ، واقامة حكومة مدنية مستقلة ذاتيا واداريا وتتألف من أحد عشر شخصا • كما وتتولى الشرطة المحلية تسيير الامور ، وتكون الحكومة مسؤولة عن مجالات التعليم ، الصحة ، المالية ، المواصلات ، الصناعة ، الزراعة والتجارة • أما السلطات الاسرائيلية في هذه الحكومة فتوكل اليها مهام الحفاظ على الامن والنظام • ويستطيع الفلسطينيون وفق هذه الخطة امتلاك احدى الجنسيتين الاسرائيلية أو الاردنية • وسينظر في أمر هذه الحكومة بعد خمس سنوات • هذا هو كل شيء عن الادارة المحلية التي اقترحها مناحيم بيغن •• » •

وهكذا يتم تبديل مفهوم « الحكومة الفلسطينية » التي يناضل من أجلها الفلسطينيون بمفهوم « فلسطين المستقلة ذاتيا » مع استمرار الاحتلال الاسرائيلي لها •

وقبل انتهاء مباحثات الاسماعيلية الهادفة لاقامة « فلسطين المستقلة ذاتيا » بدأت اسرائيل هجومها الوحشي ضد العرب ، والذي كان لبنان من أول ضحاياه . لقد كان الهجوم على لبنان نتيجة مباشرة للتواطــؤ المصري الامريكي الاسرائيلي المشترك .



بمباركة من السادات

لم تعط زيارة السادات للقدس مصر أي شيء سوى فقدانها لمكانتها المرموقة في العالم العربي • وبرهنت المحادثات بين الجانبين على أساس الشروط الاسرائيلية استحالة حل المشكلة بسهولة حتى على الذين انضموا الى صفوف الخيانة والعمالة من أمثال السادات • اطلع بيغن الرئيس المصري أنور السادات على النوايا الاسرائيلية في شن هجوم كبير على الجنوب اللبناني وذلك عندما كان رئيس الوزراء الاسرائيلي موجودا في القاهرة بمهمة عسكرية •

ولم يشهد التاريخ مثيلا لتلك التصرفات ، لقد أرادت اسرائيل أن تعرف فيما اذا كانت مصر مستعدة للسير في طريق الخيانة حتى نهايته •

لم يبد السادات أية معارضة لما قاله بيغن ، ذلك لأن هدف اسرائيل يتجلى في قمع منظمة التحرير الفلسطينية وقواعدها المسلحة في لبنان •

سكت السادات ازاء ما قاله بيغن ذلك لأن منظمة التحرير أزعجت السادات بمعارضتها لمفاوضاته مع اسرائيل من خلف ظهر الامة العربية •

وبدأت الصفقات العسكرية بين القاهرة وتل أبيب تسير بشكل حسن، مستغلة بذلك النفسية الرأسمالية لأنور السادات • وأصبح في أيدي الامريكيين سلاح جديد للضغط على العرب •

وباشرت القوى اليمينية المسيحية في لبنان بتصعيد حربها ضد قوات الردع العربية السورية في شهر شباط عام ١٩٧٨ •

وفي شهر آذار من العام نفسه سعت اسرائيل الى احتـــلال الجنوب اللبناني حتى نهر الليطاني •

وأظهر السادات للرئيس الامريكي جيمي كارتر قبيـــل توقيع اتفاقية « السلام » الانفرادية مع اسرائيل استعداده لأن يلعـــب دور الشرطي في المنطقة من العالم الى جانب اسرائيل• صنع السادات لنفسه حاشية كبيرة•

قال ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحـــرير الفلسطينية لمؤلف الكتاب بأنه يملك معلومات دقيقة وموثوقة عن تجميع وتكثيف القوات الاسرائيلية على طول الحـــدود الجنوبية للبنـــان • وقال عرفـــات : « ان التحضير للعدوان الاسرائيلي تم قبل بدئه بوقت طويل • ووصل تعـــداد الجيش الاسرائيلي المتمركز على طول الحدود اللبنانية حوالي ثلاثين ألف جندي • وكان الغزو الاسرائيلي للبنـــان أول عملية حربيـــة لاسرائيل في التاريخ حاربت بها في الليل والنهار •

كانت اسرائيل ترغب في الاسراع بتنفيذ مخـــططها قبل أن ينهـــض المعارضون لذلك الهجوم •

وعدت اسرائيل حليفتها الولايات المتحدة الامريكية وحسب ما جاء في الصحافة الامريكية بانهاء تلك العمليـــة لصالحـــها في فترة لا تتجـــاوز ٢٤ ســـاعة »•

وبدأ الهجوم الاسرائيلي بالفعل على جنوب لبنان في الرابـــع عشر من آذار وفي الساعة التاسعة مساء عام ١٩٨٢ • وحسب التقديرات العسكرية فان ثلاثين ألف جندي اسرائيلي مدججـــون بأحدث صنوف الاســـــلحة الامريكية من صواريخ ودبابات وطائرات وبوارج بحرية ، وبالاضافة الى الاساطيل الامريكية وحاملات طائراتها كانت قـــادرة على ســـحق المقاومة في لبنان خلال فترة لا تتجاوز العشر ساعات أو اثنتي عشـــرة ســـاعة على الاكثر •

لقد أظهر الفدائيون الفلسطينيون مع اخوتهم اللبنانيين الوطـنيين مقاومة لم تتوقعها اسرائيل •

واشتكى العسكريون الاسرائيليون فياليوم التالي من العوائق الطبيعية (أي من طبيعة الاراضي اللبنانية) وكأنها السبب الذي حال دونهم ودون المخططات التي بدأوا الهجوم من أجل تحقيقها •

مر يوم واحد ، وأخذ جنرالات اسرائيل بالبحث عن الاعذار والحجج لفشلهم في التقدم السريع ، وبرروا ذلك بسوء حالة الطرق البرية في لبنان•

في اليوم الثالث اضطرت اسرائيل الى الاعتـراف بأنها وجـدت على الاراضي اللبنانية مقاومة صلبة وجدية ••

وتوقف هجوم القوات الاسرائيلية المتواجدة في الشمال وذلك في اليوم السابع للقتال • وبدأت تلك القوات بالتراجع جهة الغرب وبدأوا بالتحرك نحو مدينة صور محاولين تطويقها من جميع الجوانب • وقصف الاسطول البحري الاسرائيلي تلك المدينة من البحـر • وأعـطت الولايـات المتحدة الامريكية لاسرائيل وقتا كافيا لاحتلال الجنـوب اللبناني بأكملـه عندمـا اقترحت أمريكا تأجيل النقاش حول المسألة اللبنانية فيمجلس الامن الدولي•

وفي شمال مدينة صور أي عند مفترق الطرق المؤدي الى مخيمات برج الرحال وقرية العباسية استطاعت المقاومة الفلسطينية ايقاف تقدم القوات الاسرائيلية الزاحفة الى تلك المدينة بهدف عزلها عن الشمال اللبناني •

وحاول الجيش الاسرائيلي احتلال مناطق اخرى ، وتقدم في اتجاهات مختلفة وتمكن الاسرائيليون من احتلال مدينة كوكبة بعد أن خسروا جزءا كبيرا من قواتهم •

قال ياسر عرفات في تعليق له على تلك المعارك : « لقد تمكنا من ايقاف التقدم الاسرائيلي في قطاعات عديدة من الجبهة، على الرغم من أن اسرائيل قامت بقصف تلك المناطق من الجو والبـر والبحر حتى قبل بدء هجـومهم

عليها • وكانت هـذه الضربات موجهـة بشـكل رئيسي ضـد المخيمـات الفلسطينية والقرى اللبنانية » وسقط نتيجة لتلـك الهجمات العـديد من القتلى والجرحى • وتدفقت الى الشمال اللبناني أمواج من السكان المدنيين الهاربين من الغارات الاسرائيلية • واضطررت شخصيا الى الوقوف عند جسر القاسمية، ولم نسمح بالعبور من الجسر الا للاطفال والنساء والشيوخ• حيث قدمنا للرجال السلاح المتوفر ورجعوا الى الخلف للدفاع عن بيوتهم •

كان لسكان الجنوب اللبناني ومنذ أمد طويل خبرة في القتال جنبا الى جنب مع المقاومة الفلسطينية ضد اسرائيل •

وتابع عرفات يقول : « لقد أعطينا الرجال الاسلحة والذخيرة ، وكان هؤلاء الرجال على يقين بأننا نقاتل معهـم دفاعا عن بيـوتهم • ووصلت خسائرنا في المعركة قرب مدينة صور الى أربع مائة رجل من خيرة القادة في قواعدنا• ولم تستطع اسرائيل خلال عملياتها الحربية السيطرة الا على قطاع ضيق من الاراضي اللبنانية ، وخاصة على جوانب الطرق البرية ، أما المناطق الاخرى وخاصة الحراجية فظلت تحت سيطرة قواتنا • وتصلنا حتى الآن معلومات أكيدة عن أن معظم رفاقنا الذين اعتقدنا بأنهم قد استشهدوا في المعارك ما زالوا على قيد الحياة ويقارعون العدو من الداخل » •

اعلنت اسرائيل انها تهدف من وراء غزوها للبنان الى اخماد شـعلة المقاومة الفلسطينية والى الابد ، ولم يتمكن الاسرائيليون من السيطرة حتى على الاراضي التي سقطت بأيديهم •

وحذرت قوات المقاومة الفلسـطينية القوات الدوليـة من التواجد في المنطقة التي ستخليها اسرائيل في الجانب اللبناني لأنهم سيجدون الفدائيين الفلسطينيين هناك •

واحتج جنرالات اسرائيل بعنف على تسرب المعلومات حول خسائر قواتهم الحقيقية في لبنـان وذلك من خلال لجنـة الامن التابعـة للكنيست الاسرائيلي •

لماذا احتج جنرالات اسرائيل على تسرب تلك المعلومات ؟، لأن الاعتراف بخسائرهم الجسيمة سيؤثر على معنويات جيشهم ،

وخسرت اسرائيل خلال ساعات قليلة من (٧٠٠ ــ ٨٠٠) قتيل وجريح ، بالاضافة الى تدمير مئة وحدة نقل مدرعة ، وزورق حربي واحد ، وخمس طائرات مقاتلة ،

ان وجهة النظر السياسية التي يمكن استخلاصها من هذه الاحداث تتلخص في عدم وجود أية قوة قادرة على تحطيم المقاومة الفلسطينية ،

ونحن متأكدون من ان المؤامرات ستستمر على قضيتنا، ولكن لحركتنا الفلسطينية تاريخ مجيد لن يستطيع أحد ايقافه أو الغاءه ،

نحن لا نفرق بين الفلسطينيين واللبنانيين الذين قاتلوا معنا ذلك لاننا نقول في بلاغاتنا العسكرية: القوى المشتركة وليس القوى الفلسطينية فقط، ولي شرف عظيم في تكليفي من رفاقي اللبنانيين بقيادة القوات اللبنانية الفلسطينية المشتركة ،

ان وحدتنا مع القوى الوطنية والتقدمية اللبنانية في ساحات القتال ولمدة ثلاث سنوات من مقارعة المؤامرات الامبريالية قد مزجت دماءنا على الاراضي اللبنانية ،

ان هذه الوحدة هي أهم عامل ثوري في الشرق العربي ،

وأشارت أحداث لبنان الى أن الصراع في المنطقة سيتفجر من جديد ، وطلبت الحكومة اللبنانية من مجلس الامن الدولي مناقشة الاحتلال الاسرائيلي لجنوب لبنان ، وقرر ذلك المجلس ارسال قوات دولية لحفظ الامن والنظام في تلك المنطقة ،

والتقى مؤلف هذا الكتاب في تلك الايام بالسكرتير العام للقوى الوطنية اللبنانية محسن ابراهيم ، ووجه اليه الاسئلة التالية :

السؤال الاول : نتيجة العدوان الاسرائيلي الاخير على جنوب لبنان

سقط قسم من الارض اللبنانية تحت سيطرة الجيش الاسرائيلي ، ما هي الاهداف الاسرائيلية من استمرار احتلالها للبنان ؟

الجـــواب :

سأحاول شرح الوضع لكم بالتفصيل •

حاولت اسرائيل انهاء الوجـــود الفلسطيني على الارض اللبنانيـــة • وحاولت القضاء على القوى الوطنية والتقدمية اللبنانية المتضامنة مع قوات المقاومة الفلسطينية •

وأريد التنويه الى ان اسرائيل لم تستطيع في هذه الفترة من تحقيق أهدافها المعلنة • فمنذ اللحظة الاولى لدخول الجيش الاسرائيلي الى لبنان، أعلنت اسرائيل بأن هدفها ينصب في توحيـــد صفوف القوى الرجعية على الساحة اللبنانية • وأعلنت تلك القوى بدورها ، ان لبنـــان لن يســـمح للفلسطينيين بالبقاء فترة أطول فوق الاراضي اللبنانية •

وطالبت القوى الرجعية اللبنانية بطرد قوات المقاومة الفلسطينية من الاراضي اللبنانية ، وتشريد الشعب العربي الفلسطيني القاطن في المخيمات الفلسطينية في لبنان الى مختلف الاقطار العربية •

واعتقدت الرجعية اللبنانية خاطئة بأن القوى الوطنيـــه اللبنانيـــة لن تستطيع مجابهة المخططات الاجرامية المعلنة • ومن الجدير بالذكر أن معظم جماهير الشعب اللبناني الى جانب المقاومة الفلسطينية •

فمنذ بداية الغزو الاسرائيلي للبنان كنا نعرف جيـــدا بأن الشـــعب اللبناني يعي طبيعة المؤامرة المضادة للبنان • ولهذا رفضت تلك الجماهير أن تتحول لبنان الى اسرائيل ثانية •

السؤال الثاني : هل لكم أن تحدثونا عن الروابط بين القوات الوطنية اللبنانية والثورة الفلسطينية ؟

الجـــواب :

علاقاتنا مع منظمة التحرير الفلسطينية هي مثال للعلاقات بين مختلف فصائل حركة التحرر الوطنية • أهدافنا وأهداف المنظمة مشتركة ومتطابقة، كل واحد منا يعرف جيدا مهماته وواجبـــاته ، ذلك لأن كل عضو في القوى الوطنية اللبنانية يعرف ان وقوفه الى جانب حركة المقاومة الفلسطينية يعني وقوفه الى جانب وطنه •

لقد بذل الاعداءمحاولات عديدة لتقويض وحدتنا مع المنظمة • وأعلن الاعداء بأن تضامن القوات الوطنية اللبنانية مع الثورة الفلســطينية يمكن الثورة الفلسطينية من التدخـــل في شؤون لبنان الداخلية • كما وحاولت الرجعية اللبنانية القاء مع القوى الوطنية اللبنانية بهـــدف التفاوض معها لطرد منظمة التحرير الفسطينية من لبنان •

وآريد الاشارة الى أن الفلسطينيين والقوات الوطنية اللبنانية وعـــت الاهداف السرية للرجعيةاللبنانية وهذا ما أدى الى دعم نضالنا المشترك ضد الامبريالية والصهيونية العالمية •

السؤال الثالث : ما هو تأثير مبادرات السادات « الســـلمية » على الوضع اللبناني ؟

الجـــواب :

نحن نعتقد بأنه لولا « مبادرات السادات الســـلمية » لما استطاعت اسرائيل الاعتداء على لبنان وتحقيق أهدافها في احتلال الجنوب اللبناني •

لقد خلقت هذه « المبادرات » عند الرجعية اللبنانية الرغبة في التعاون مع اسرائيل والصهيونية العالمية •

وليس مستغربا ان العلاقات المصرية الاسرائيلية في الآونـــة الاخيرة شهدت توسعا في جميع الاتجاهات • لقد رغب الرئيس السادات في القضاء على جميع المكتسبات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي حصل عليها

الشعب المصري في عهد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر .

ورغب السادات في قطع العلاقات والروابط بين الشعوب العربية والاتحاد السوفييتي وبلدان المنظومة الاشتراكية الاخرى .

وبالمقابل فان الاعمال العدوانية الاسرائيلية في جنوب لبنان تشير الى رغبتهم في السير على طريق تحقيق الحلم الصهيوني في التوسع على حساب السكان في الشرق الاوسط ، وضد محاولات التسوية السلمية لتلك المشكلة. وتسعى اسرائيل الى استعباد جميع الشعوب العربية ، وساعدتها في ذلك السياسة التي سلكها أنور السادات .

ان مواجهة هذه التحديات لا يتم الا بتوحيد صفوف القوى الوطنية والتقدمية في جميع أنحاء الوطن العربي والاعتماد على الدعم السوفييتي الذي كان ومنذ زمن طويل يساند بشكل مبدئي وثابت مسألة حل الصراع الشرق أوسطي حلا سلميا شاملا وعادلا .

وأعلن محسن ابراهيم في نهاية حديثه ان القوى الوطنية اللبنانية تؤيد الخط الاستراتيجي السوفييتي بخصوص مسألة النزاع العربي — الاسرائيلي .

طريق العذاب

اندفعت السيارة التي تقلنا فوق الطريق العريض المغطى بالاسفلت والذي يصل بيروت بالجنوب . ويسمى هذا الطريق بكل حق طريق العذاب ذلك لأن كل متر منه يذكرنا بالتجارب المريرة التي عاشها شعب لبنان أيام الغزو الاسرائيلي له .

ونشرت الصحف اللبنانية في شهر آذار عام ١٩٧٨ قوائم طويلة بأسماء اللاجئين الجنوبيين ، وأصدرت الى جانب تلك القوائم الاعلانات المختلفة والتي يحتوي معظمها على نداءات لتوفير الخبز والحليب للاطفال . وبدأ هؤلاء اللاجئون يبحثون من خلال الصحف عن عمل ، أو عن أهلهم أو عن سكن يؤيهم . وحدثت المأساة الجديدة للاجئين اللبنانيين ، اذ سعر الصهاينة بالمقابل تدخلهم العسكري في جنوب لبنان . واضطرت أعداد كبيرة من أهالي الجنوب اللبناني الذين نجوا من القصف المدفعي والجوي الاسرائيلي لقراهم الى ترك المناطق التي كانوا يسكنونها منذ زمن بعيد . كما توجهت قوافل المهاجرين الطويلة الى شمال لبنان قاصدين العاصمة اللبنانية . واستقر معظم هؤلاء اللاجئين في الاكواخ وفي غرف الاستحمام على الساحل اللبناني وبين جدران البيوت المتصدعة .

لقد ألح المهاجرون على الحكومة اللبنانية بمطالبهم : وبالمقابل فقد وعدت الحكومة بتقديم المساعدات المادية لهم ، الا أنهم لم يتراجعوا عن مطلبهم الذي رفعوه آنذاك والذي يقول : ارجعونا الى بيوتنا في الجنوب!»

ولم يتوقف العدوان الاسرائيلي على الجنوب على الرغم من اعلان قرار وقف اطلاق النار هناك .

وتحولت منطقة الاوزاعي قرب بيروت الى ما يشبه الاطلال • كما أن اسرائيل لم تتوقف عن تدمير القرى والمدن اللبنانية في الجنوب ، فقصفت اسرائيل ضواحي بيروت لعديدة ، وخاصة ضاحية الاوزاعي حيث تمركز المهاجرون الجنوبيون لتوهم في تلك المنطقة •

وقالت المواطنة اللبنانية (سميرة خليل) التي كانت تعيش مع أسرتها في أحد أكواخ الاوزاعي : « كنا نعيش على بعد خمسة كيلو مترات من الحدود الاسرائيلية ــ اللبنانية • واستيقظنا في ليلة الخامس عشر من آذار مذعورين على أصوات القصف والانفجارات الرهيبة ، فقفزنا الى الشارع فاذا به مضاء كما لو كان الوقت نهارا ، لقد كان الشارع مضاء نتيجة للحرائق التي أشعلتها القنابل الاسرائيلية ، وغرقت السيارة التي هربنا بها في بيارات البرتقال ، اذ ان جنة البرتقال التي تشكلها البساتين الكثيرة تمتد من الجنوب حتى منطقة الدامور •

وسقطت في منطقة الدامور طائرة اسرائيلية من طراز « سكاي هوك » فوضع الوطنيون حطامها على جانب الطريق ، أي على مرأى من الجميع •

وتقع مدينة صيدا الجميلة قبل الدامور • وقال صيادو السمك في تلك المدينة ساخرين :

« ان صيدا مكان جميل لمناقشة مشروع اسرائيل الكبرى من الفرات الى النيل» وصيدا مشهورة بمواقفها النضالية، وتضامن الطبقة العاملة فيها

وكما هو معروف فقد حاولت الصحافة اليمينية ، تشويه معنى الحرب الاهلية والتي أطلقت عليها تلك الصحافة اسم حرب المسيحيين ضد المسلمين • لقد حملت تلك الحرب التي هزت لبنان على مدى سنوات طويلة طابعا اجتماعيا طبقيا وليس دينيا •

وبعد مدينة صيدا شاهدنا مدينة الصرفند ، والصرفند هي مدينة مسيحية بحتة وتقع الى جوارها القرى الاسلامية العديدة ، الا أنه لا وجود لأي أثر من آثار الحرب الاهلية في تلك المنطقة •

ولاحظنا بوضوح في مدينة الصرفند الآثار الوحشية للعدوان الاسرائيلي الغاشم • وشاهدنا قوافل المهاجرين، والخيام المتواجدة على قارعة الطرقات العادية •••

بعد الصرفند بعدة كيلومترات توقف سائق السيارة التي كانت تقلنا وترجل منها حيث رفع الغطاء عن رأسه ، وترجل كل من كان معنا في السيارة • وعلى حافة الطريق التي تسطع عليها الشمس الحارة شاهدنا بقايا لسيارات مشوهة ومحطمة ، وقال السائق عن تلك السيارات :

« نزلت وحدات عسكرية اسرائيلية خاصة من البحر الى هذه المنطقة ، ودمرت تلك القوات سيارتين كبيرتين محملتين باللاجئين الجنوبيين ، والذين كان معظمهم من الاطفال والشيوخ والنساء » • وقال السائق لنا : « انظروا ، ما زالت آثار الدم واضحة على الارض » •

ثم مرت أمامنا قوافل طويلة من سيارات الشحن والتي كانت تحمل الماء والخضار والمحروقات لمدينة صور ، ولمخيم الرشيدية للاجئين الفلسطينيين •

وكانت تسير في الاتجاه المعاكس الباصات التي تحمل اللاجئين •

وشاهدنا على طول الطريق فصائل حرس الشواطىء وكان معظمهم ينتمون الى المنظمات الفدائية الفلسطينية •

وقال لنا القائد أبو الشريف : « نحن مستعدون للتعاون مع قوات الامم المتحدة لوقف العدوان الاسرائيلي • ونحن نعرف أن العدو يمكن أن يقترف في أي وقت وفي أية لحظة حماقات جديدة • ونحن مستعدون بدورنا للموت من أجل الدفاع عن أطفالنا ونساءنا وشيوخنا وأرضنا ••• »

واستطعنا من نقطة المراقبة رؤية كل ما كان يجري على سفوح الجبال التي تقع تحت السيطرة الاسرائيلية •

جاء في التلمود اليهودي : « لا يترك أحد منكم مكانه أيام السبت وعليكم أن تجلسوا أيام السبت في بيوتكم » •

لقد عصى الاسرائيليون كلام اللـــه ، وفعلوا ضد ذلك ، أي قرروا البدء في الهجوم يوم السبت •••

وحركت المنظار قليلا ، ورأيت سفوح الجبال الرمادية والمغطاة ببقع من الثلج الناصع البياض • ورأيت في تلك المنطقـــة الهوائيات وســـقوف المستعمرات الاسرائيلية ، حيث توجد هناك القيـــادة العســـكرية للجيش الاسرائيلي ورأيت بوضوح نقاط المراقبة الاسرائيلية ، المبنية من البيتون المسلح ، والتي ترتفع فوقها الصواري العالية • وكانت عدســـات أجهـــزة المراقبة الاسرائيلية تلمـــع تحـــت أشعة الشمس • وأفـــادنا المراقبـــون الفلسطينيون بأنه تتمركز الآن عند نقطة العبور في المربع « اكس » حوالي ٤٠ سيارة مدنية » • واستطعنا بواسطة المنظار رؤية المربع « اكس » ، انه يقع بعد القرى العربية التي كنا نتواجد فيها مباشرة • ورأينا هناك أكشاك الشرطة ، والحواجز على الطـــرق ، وأرتال السيارات الحمـــراء والبيضاء والزرقاء والسوداء •

انه مركز خائن الشعب اللبناني ســـعد حداد ، الذي كان فيمـــا سبق رائدا في الجيش اللبناني وأصبح فيما بعد مجرد دمية اسرائيلية • وكانت الشرطة الاسرائيلية تفتح أبواب السيارات وتفتشـــها وتدقق في الوثائـــق الشخصية لأصحابها •

وكانوا يجبرون الرجال على النزول م نالسيارات ، ويفتشون جيوبهم وملابسهم ، لقد كانوا يفتشون الحقائبالنسائية الصغيرة التي كانت تحملها السيدات اللبنانيات • وكانوا يفتشون سقوف السيارات • وكانـــت ارتال السيارات التي تظهر لنا ، تسير وتسير في جو مملوء بالدخان الازرق •

وقال لنا رئيس نقطة المراقبة الفلسطينية في تلك المنطقة انه « في كل يوم سبت تنطلق جماعات كبيرة من تلك المنطقة الى سفوح الجبال لممارسة رياضة التزلج على الجليد ، انه يوم الراحـــة بالنسبة لهم • ويتعـــرض المسافرون عبر تلك النقطة في كل مرة الى هذا التفتيش الدقيق • وهناك في

قمة الجبل توجد نقطة مراقبة اسرائيلية • ويخاف الاسرائيليون من تسلل الفدائيين الفلسطينيين اليهم مع جموع البشر الذين يذهبون الى الجبل لممارسة هواية التزلج على الجليد •

لقد كان الدورز هم سكان تلك المنطقة ، وكانت القوات الاسرائيلية تقوم بشكل دوري بتفتيشهم واعتقالهم بتهمة مقاومة الاحتلال •

ورأينا في المنطقة التي كانت مضاءة باللون الاحمر : ومن خلال الدخان الازرق الكثيف مجموعة كبيرة من الرجال والنساء والاطفال • وكان أحد الرجال يحتضن زوجته من خاصرتها بيده اليسرى ، أما في اليد اليمنى فكان يحمل السلاح • انها الارض التي اغتصبها الاسرائيليون من أصحابها اللبنانيين •

وتوقفت السيارة التي كانت تقلنا عند الحدود الاسرائيلية اللبنانية مباشرة ، وكان يقع بالقرب منا « الكيبوتسات » الاسرائيلية والمسماة « آلي ماخاداشيم » أي المنطقة التي يسكنها المهاجرون اليهود الجدد والذين أرسلتهم اسرائيل لاستيطان لاراضي اللبنانية المحتلة •

ورأينا في « الكيبوتس » الرجال وهم يحتضنون النساء بأيديهم ، ورأيناهم يفعلون هذا في المناطق التي سبق ودمرها الجيش الاسرائيلي •

••• ورأينا بالقرب من مركز المراقبة ، آثارا متبقية للقرى العربية ؛ ورأينا البلدوزرات الاسرائيلية وهي تزيل القرى العربية من جذورها •

لقد تحولت تلك المناطق السكانية الى ما يشبه العراء •

وشاهدنا من ثم الطريق الذي تابعنا سيرنا عليه ••• » •

لقد أوقف عدد من الرجال الذين كانوا يحملون السلاح على صدورهم وأيديهم ملفوفة بالضمادات الطبية السيارة التي كانت تقلنا • ورأينا مركب تشييع الجنازات لقد حمل الفدائيون على اكتافهم تابوتا مغطى بعلم فلسطين • لم نر الدموع في أعين المشيعين ؛ ولم نسمع نواحا أو رثاء •

ولاحظنا على وجـوه النساء اللـواتي كن يشاركن في تشييع الفـدائيين عبارات تقول : « الموت للصهيونية ! الموت لبيغن ! والعار للولايات المتحدة الامريكية ! » .

لقد كانت المقبرة تقع على سفح جبل ، لقد وضعوا التابوت على جنبه ليتمكن الجميع من رؤيته . وتقدم الجنـازة رجل فلسطيني يرتـدي الزي الفلسطيني وعلى جنبه مسدس . وألقى هذا الرجل المتقـدم في السن قليلا كلمة قصيرة قال فيها :

ــ نم هنا يا عزيزنا كوستاس. وستستطيع من هنا أن ترى فلسطين . التي قدمت روحك من أجلها . وهناك خلف الجبال يقع بحـرنا وجزيرتنا . نم بهدوء يا كوستاس . سنثأر لك ، وستبقى حيا في قلوبنا الى الابد . وتم اعطاء الاوامر الجافـة الى السـيارات بالتحرك ، وانطلقت السـيارات الواحدة تلو الاخرى .

ــ لقد انتهى الامر يا كوستاس ، وداعـا ! ... وخاطب الفدائيين الفلسطينيين قائلا : اسمعوا أمري ... هيا الى مواقعكم القتالية ! .

وقال لي قائد المجموعة خالد بعد ان انصرف الجميع : لقد كان شهيدنا من قبرص . لقد كان يخدم في مستشفياتنا ، واستشهد البارحـة عندمـا قصفت مواقعنا ونحن نفتخر بأن للثورة الفلسطينية مثل هؤلاء الاصدقاء .



الخيـــانة

أصبح الرئيس المصري يردد كلمة « السلام » في كل أحاديثـــه التي ألقاها بعد زيارته الى مدينة القدس المحتلة •

وكان السادات يحـــلم منذ نعومة اظفـــاره أن يصبح ممثـــلا ، ولكن النجاح لم يحالفه في ذلك ، لأن المخرجين وجدوا في كلامه الجهـــل وكانت كلماته قذرة ومشوهة • ولكن الذين كانوا يعـــرفون السادات اعتقـــدوا أن المخرجين قد أخطأوا التقدير ، لأنه كان من الممكن أن يصبح السادات ممثلا جيدا •

هذه المقولة كانت هدية رئيسة الوزراء الاسرائيلية غولدا مائير لأنور وقالت غولدا مائير عندما رأت السادات يظهر فجأة في الكنيست الاسرائيلي: لا أعرف كيف نكافىء عدونا السابق ، هل بتقليده جائزة نوبل أم جـــائزة الاوسكار ؟•

وقد حصل بالفعل كل من أنور السادات ومناحيم بيغن على جـــائزة نوبل وليس على جـــائزة الاوسكار • وحسب الاعتقـــاد الســـائد آنذاك من المعقـــول أن يحصـــل بيغن علـــى جائـــزة نوبـــل ، ذلك لأن منظـــره الخارجي وملامح وجهه القاسية ، وعينيه الفولاذيتين لا توحيان مطلقا انه يشبه الممثلين •

لقد فهم الاسرائيليون جيدا بأن زيارة السادات الى القدس ليست سوى مسرحية أعدت لها وأخرجتها باتقان الحكومة الامريكية •

وحاول الاسرائيليون أن يكونوا على «نفس المستوى» ، مما سيسمح لهم باستغلال زيارة السادات دعائيا وبشكل ممتاز •

ولهذا السبب قرر المخرجون المحليون أن تبدأ تلك المسرحية من الخطاب الذي ألقاه أنور السادات في الكنيست الاسرائيلي ، ومن زيارته الى الى المساجد الاسلامية في تلك المدينة ومن قيامه بوضع أكاليل الزهور على قبر الجندي المجهول ، وكأن هذا الجندي لم تطأ قدمه الاراضي المصرية ، وكأنه لم ييتم آلاف الاطفال العرب ، وكأنه لم يسرق أرض الفلسطينيين كاملة •••

وكما كان متوقعا فان العدوان الاسرائيلي على لبنان دفع مصر الى اتخاذ خطوات جديدة على طريق الاتفاقيات الانفرادية مع اسرائيل • وقامت اسرائيل مسبقا باعلام الحكومة المصرية عن استعداداتها للتدخل في الجنوب اللبناني ، ولقد رحبت مصر بالعدوان الاسرائيلي ضد لبنان ، فبعد أيام قليلة من بدء الغزو الاسرائيلي للبنان ، استقبلت القاهرة بكل رحابة صدر الوزير الاسرائيلي وايزمان •

وفي الوقت الذي كانت تطبخ فيه صفقة كامب ديفيد واللقاء الثلاثي هناك ، أعربت الولايات المتحدة الامريكية عن سعادتها لجاهزية السادات في الدخول الى الحلف الامريكي الاسرائيلي في الشرق الاوسط وكون مصر مستعدة لأن تلعب دور الشرطي في القارة الافريقية كلها •

لقد بدأت محادثات كامب ديفيد في شهر أيلول عام ١٩٧٨ بسرية تامة، واعتمدت الاطراف المشاركة في تلك المؤامرة وثيقتين هامتين : اطلق على الاولى اسم « أطر السلام في الشرق الاوسط » ، والثانية اسم « الاطر الضرورية لتوقيع معاهدة السلام بين مصر واسرائيل » •

ان التحليل الدقيق لتلك الوثائق يشير الى عدم رغبة الولايات المتحدة الامريكية بالالتزام بمبدأ التسوية السلمية الشاملة للصراع العربي الاسرائيلي •

ولم تلتزم تلك الوثائق بالقرارات الدولية الصادرة عن مجلس الأمن الدولي وهيئـــة الامم المتحدة بخصوص النزاع الشرق أوسطي •

وتجاهلت وثائق كامب ديفيد على سبيل المثال قرار هيئة الامم المتحدة حول ضرورة انسحاب القوات الاسرائيلية من جميـــع الاراضي العربيـــة المحتلة ، كما وعارض أقطاب كامب ديفيد حق الفلسطينيين في العودة وتقرير المصـــير •

لقد عارضت اتفاقيات كامب ديفيد المصالح الشرعية لشعوب وحكومات الدول العربية •

لم تتطرق تلك الوثائق ولا بكلمة واحدة الى منظمة التحرير الفلسطينية التي سبق لجميع العرب ان اعترفوا بها كممثل شرعي ووحيد للشعب العربي الفلســـطيني • وتم في كامـــب ديفيد تبـــديل مفهوم حق تقـــرير المصـــير للفلسطينيين بهـــدف اقامة دولتهم المستقلة بتعبير « الحـــكم الـــذاتي » للفلسطينيين في الضفة الغربية المحتلة وقطاع غزة • وأعلنت اسرائيل بعد توقيع اتفاقيات كامب ديفيد عن رغبتها في البقاء عسكريا على تلك الاراضي حتى بعد اقامة « الادارة المحلية الذاتية » المقترحة •

لقد كان الطابع الاستسلامي لاتفاقيات كامب ديفيد واضحا جدا الى درجة ان وزير الخارجية المصري م • كمال الذي أصطحبه الســـادات الى القدس وكامب ديفيد قـــدم استقالته من منصبه احتجاجا على الاستسلام المصري الصارخ لاسرائيل •

كما وسبق لجميع الدول العربية وان نددت باتفاقيات كامب ديفيد ، وذلك في اجتماع القمة العربي بطرابلس في شهر كانـــون الاول عام ١٩٧٧ والمكون من سوريا وليبيا ، الجزائر ، اليمن الديمقراطي ، منظمة التحـــرير الفلسطينية • واعلن زعماء تلك الدول عن تشكيل جبهة الصمود والتصدي لمواجهة المخططات الامبريالية والرجعيـــة والصهيونية • وأعلن بعـــد ذلك الزعماء العرب المجتمعـــون في دمشق عام ١٩٧٨ وفي شـــهر ايلول : عدم

شرعية اتفاقيات كامب ديفيد • ودعا المجتمعون الى ضرورة تمتين العلاقات العربية السوفييتية ، والى تمتينها مع دول المنظومة الاشتراكية الاخرى • وشهدت جميع الدول العربية مسيرات احتجاج ضد التواطؤ الساداتي مع الامبريالية الامريكية والصهيونية العالميـــة • وأعلنت دول جبهة الصــمود والتصدي عن قطع علاقاتها الدبلوماسية مع القاهرة ، وهددت دول جبهة الصمود والتصدي بأن جميع الدول العربية ستحذو حذوهم في حالة اقدام السادات على توقيع اتفاقيات كامب ديفيد •

وتم التأكيد على جدية هذا التحــذير في مؤتمر القمة العــربي الذي انعقد في بغداد عام ١٩٧٨ •

واتخذت الدول العربية المشاركة في مؤتمر القمة المذكور قرارا بقطع العلاقات السياسية مع مصر ، وهددت تلك الدول بتعليق عضــوية مصر في جامعة الدول العربيـــة اذا ما أقدمت على توقيع اتفاقيـــة « السلام » مع اسرائيل • وتم تنفيذ التهديد العربي في السادس والعشرين من آذار عام ١٩٧٩ عندمـــا أقدم الســـادات على توقيـــع اتفاقيـــات « كامب ديفيـــد الاستسلامية » •

لقد فتحت اتفاقيات كامب ديفيد الطريق للتدخل العسكري الامريكي في منطقة الشرق الاوسط • هذا وقد تزامن توقيع اتفاقيات كامب ديفيد مع التطور الدراماتيكي لوضع الثورة في ايران •

لقد نظرت واشنطن الى اتفاقيـــات كامب ديفيد التآمريـــة على انها احتياط من كل خطر مستقبلي •

لقد زادت هذه الاتفاقيات من هيبة وسمعة الرئيس الامريكي جيمي كارتر في الاوساط الاوروبية والرجعية •

لقد التقى أنور الســـادات قبيل التوقيـــع على معاهدة كامب ديفيد بمندوب شبكة التلفزيون الامــريكي (اي ــ بي ــ سي) السيد برباروي اولتير ودار بينهما الحديث التالي :

سؤال : هل تحسب أن منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب العربي الفلسطيني ؟ وهل تؤيد وجهة النظر هذه ؟

جواب :

لقد تحدثت في اقتراحاتي عن الشعب الفلسطيني ، أي عن كل الشعب الفلسطيني ....

سؤال : ... ومنظمة التحرير الفلسطينية ؟ (كرر الصحفي الامريكي سؤاله)

جواب :

ستقوم مصر واسرائيل والاردن وممثلون عن الفلسطينيين من الضفة الغربية وقطاع غزة بحل هذه المسألة .

(لقد هرب السادات من الاجابة عن السؤال مرة ثانية) .

سؤال : هل هذا يعني الغاء دور منظمة التحرير الفلسطينية الى الابد؟

(لقد عاود الصحفي الامريكي الى تدقيق سؤاله للمرة الثالثة) .

جواب :

عفوا ، لم أسمع ما قلته .

عندها قال الصحفي الامريكي حسنا سألغي السؤال كليا .

لقد شعر هذا الصحفي بأن الرئيس المصري لا يريد الاجابة على مثل هذه الاسئلة .

ـ أجاب السادات مرة أخرى وبنغمة اعتذار بـ عفوا ، أنا لم أسمع سؤالك جيدا .

ونستطيع من هذا الحديث أن نفهم الامر الهام التالي : ان مصر بعد توقيعها على اتفاقيات كامب ديفيد لم تعد تعترف بأن منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب العربي الفلسطيني ، مخالفة بذلك الاجماع العربي بهذا الصدد .

لقد عارضت جميع الشخصيات المصرية الوطنية وأعضاء مجلس الشعب السابقين ، أي الذين كانوا في عهد ثورة عام ١٩٥٢ أعضاء هامين في تلك الثورة ، سياسة السادات بشدة •

لقد كانت مظاهرة المتقاعدين المصريين وطلبة جامعة عين شمس علائم استنكار « للموقف الاستسلامي والمذل للقيادة المصرية » أمام اسرائيل والولايات المتحدة الامريكية •

ان تلك المظاهرات كانت بمثابة الدليل الساطع على العداء التام لسياسة أنور السادات الخيانية في أعماق المجتمع المصري •

لقد شن السادات بعد كامب ديفيد حملة طرد واسعة في صفوف القوات المصرية المسلحة ، وهذا بحد ذاته هو مؤشر على تصاعد المعارضة داخل صفوف الجيش المصري •

لقد تم ومنذ شهر حزيران عام ١٩٧٨ طرد وزير الدفاع المصري ورئيس قسم العمليات في الجيش المصري وتم طرد العديد من ضباط الاسطول البحري ، وتم تغيير كافة الضباط القادة في سلاح المدرعات والذين اشتركوا في حرب تشرين عام ١٩٧٣ ، وأعداد كبيرة اخرى من الضباط في مختلف صنوف الاسلحة • وتم اعتقال العديد من هؤلاء الضباط بعد طردهم من الخدمة العسكرية مباشرة •

أما الشخصيات التي صنعها السادات بنفسه فقد أوكلت اليهم العديد من المهام الحكومية الحساسة • وتقف في أولى مهام تلك الشخصيات القضاء على كل من يعارض سياسة الرئيس •

وأصدر وزير الداخلية المصري قرارا يقضي بمنع المظاهرات والتجمعات خلال الاحتفالات بعيد ميلاد ابن الشعب المصري العظيم جمال عبد الناصر والذي اتخذه المصريون عيدا سنويا لهم •

وتم الغاء ايام التضامن مع الشعب العربي الفلسطيني • ولم تكن

القوى الوطنية والتقدمية في مصر هي العدو الوحيد لاتفاقيات كامب ديفيد، بل وانضم اليها قوى اخرى كرجال الدين الاسلامي • وبدأت قوات الامن المصرية بمراقبة المساجد •

تعتبر هذه الخطوة مشابهة الى حد كبير لما جرى فيايران بتلك الفترة•

لقد سأل الصحفيون أنور السادات عندما نزل في مطار بون ، بعد عودته من واشنطن وبعد توقيعه على اتفاقيات كامب ديفيد :
ألا تخشون من انقلاب مماثل لما حدث في ايران ؟

أجاب السادات : يجب أن لا يتدخل الدين في السياسة وبالعكس •

لقد كان جواب السادات مضحكا، ذلك لأن القوى الاسلامية المعارضة لم تكن تنتظر من السادات اذنا للتدخل في سياسته العميلة • وانعقدت في بغداد محكمة شعبية غيابية ، جاء في تقريرها الختامي بأن أنور السادات قد تحول الى ملك فاروق آخر في مصر ، وانه قد قتل العديد من الشخصيات الوطنية المصرية المعارضة في الآونة الاخيرة •

واعترف مسؤول الامن في عهد الملك فاروق محمد عبد المجيد للشاعر المصري الشهير والشخصية الاجتماعية المصريةالمعروفة عبد الرحمن الخيمي أثناء جلوسهما معا في الزنزانة بأن السادات وقبيل ثورة تموز اشترك شخصيا في قتل الشخصية الدينية المعروفة حسن البنا (هذا ما قاله عبد الرحمن الخيمي أمام تلك المحكمة) •

ولم يكنالسادات متأكدا بأن القطعة الحجرية الزرقاء التي كان يضعها على جبينه عند تأديته للصلاة فيالجامع الحسيني والهادفةالى تمويهه بمظهر ديني في انها ستنقذه من غضب الجماعات الدينية المتطرفة •

وكان مصير الشاه الايراني في تلك الايام دليلا حيا حديثا على شكوك أنور السادات •

وعندما كان الضغط ضد الشخصيات المعارضة لاتفاقيات كامب ديفيد

في أوجه ، عرض فيلم في احدى دور السينما المصرية بالقاهرة حيث شارك السادات في هذا الفيلم ، وحقق الرئيس المصري بذلك الحلم الذي عجز عن تحقيقه في أيام شبابه ألا وهو (الظهور على الشاشة) •

لقد تم تصوير هذا الفيلم في السادس من تشرين الثاني عام ١٩٧٥ عندما كان السادات يدافع بفعالية عن « الديمقراطية » • وظهر السادات على الشاشة وهو يمسك بمعول في يده ويساعد شخصيا في هدم وتدمير أحد السجون المصرية • لقد اعتمد السادات في فيلمه عنصر التهيج ، حيث بدا وهو يدمر جدران السجن والناس يسحبونه بقوة الى الخلف كي لا ينهار عليه الجدار وبدا السادات وهو يصيح بأعلى صوته :

« لا ، لا تسحبوني ، يجب أن أدمر السجن ، بل وكل السجون في مصر ، سأبني بدلا عنها سجونا فخمة ومريحة، لكي يشعر الانسان المصري بداخلها بطعم السعادة ، لكي يشعر المصريون وكأنهم في بيوت للراحة » * نعم ، ان التواطؤ مع الامبريالية العالمية والامريكية والوقوف ضد مصالح الشعوب العربية ، والخيانة الساداتية ، والذل الساداتي أمام الصهيونية كفيلة بأن تكون أسباب معقولة لتدمير السجون القديمة وبناء سجونا جديدة وواسعة •

وتم بالفعل بناء السجون الجديدة وبسرعة مذهلة ، علما بأن تلك السجون لم تكن قط أفضل من سابقاتها ، ولم توضع جميع السجون القديمة في قيود الهدم•

وعندما ترك السادات وحاشيته وحراسه السجن الذي كانوا يدمرونه، جاءت الى السلطات المحلية « أوامر مستعجلة » لاعادة بناء الحائط الذي أزاحه السادت بنفسه •

---

* أنور السادات ، البحث عن الذات في حياتي ، الاهرام ، صفحة ٤٠١

وأصبحت السـجون المصرية بعد فتـرة وجيـزة كافية لاسـتيعاب المعتقلين المصريين، وشاهد أهالي القاهرة بعد ذلك المتاريس وأكياس الرمل في جميع أنحاء العاصمة المصرية ، كما لو أن البلاد تقع في حالة حرب .

وتواجدت هذه الاكياس والمتاريس خاصـة أمام البنايات الحكومية والوزارات وأمام مبنى الاذاعة والتلفزيون المصري .

وسأل جميع المصريين أنفسهم بعـد ان شاهدوا هذه الاكياس : « ما الذي جرى ؟ ماذا تغير بعـد كامب ديفيد حتى تقف جميـع الدول العربية هذا الموقف من مصر ؟ » .

أجل ، لقد تغير الكثير ... لقد أصبحت أكبر دولة في العالم العـربي معزولة تماما نتيجة للتصرفات الانتهازيـة التي قـام بها شخص واحـد (والمقصود هنا بالطبع أنور السادات) . لقد أعطى الرئيس المصري لنفسه الحق باطلاق تسمية « اب الامة » على شخصه .

واستنكرت الدول العربية وبالاجماع الخط السياسي الخيـاني الذي سلكه السادات . وقرر مؤتمر وزراء خارجية الدول العربيـة اغلاق مكاتب جامعة الدول العربية في القاهرة .

لقد ظن حكام مصر بعد سرقتهم لخـزائن الجامعـة ، ومنعهم نقل أرشيفها الى دولة أخـرى : أنهم يستطيعون السـيطرة على جامعة الدول العربية والتحكم بمصيرها .

لقد اقنع السـادات الرئيس الامريكي جيمي كارتر انه مستعد لأن يكون الشرطي الامريكي في المنطقة الممتدة من الخليج الى المحيط الاطلنطي.

ولقد أثبت السادات حسن نواياه بعد خيانته لحلفائه في النضال ، وأغرق مصر بالديون الخارجية .

وفضح تصريح وزير الدفاع المصري كمال حسن علي حقيقة الخيانـة

الساداتية حيث قال : ان القوات المصرية تقاتل الآن في شمال القارة الافريقية وفي أي مكان تراه مناسبا • والمقصود هنا طبعا ان القوات المصرية صارت تقاتل في الاماكن التي تراها الامبريالية مناسبة ، بدلا من أن تقاتل المحتل الاسرائيلي• أي ان الجيش المصري أصبح المدافع الرئيسي عن مصالح الامبريالية العالمية والصهيونية في مختلف بلدان العالم واقسم كل من كارتر وبيغن والسادات على الحب الابدي والصداقة فيما بينهم • وهزت العالم العربي مظاهرات السخط والتنديد بالسادات • وقد دوت كلمة « أنت خائن يا سادات » في جميع الاقطار العربية •

لقد عجزت اتفاقيات كامب ديفيد عن ترسيخ السلام في المنطقة بل على العكس فقد أدت تلك الاتفاقيات الى تعقيد الموقف في الشرق الاوسط •

لقد أرسلت واشنطن بعد اتفاقيات كامب ديفيد مبلغ ٢٫٨ مليون دولار لمصر، وثلاثة ملايين دولار لاسرائيل بهدف شراء الاسلحة الامريكية• هذا بالاضافة الى الاسلحة المجانية التي تم ارسالها بشكل مسبق الى كل من النظامين الحاكمين فيمصرواسرائيل •

وتبين للأوساط الشعبية العربية فيما بعد وجود ملحقات سرية لمعاهدات كامب ديفيد ، والتي تضمنت العديد من التنازلات المصرية أمام اسرائيل وأمريكا • ولكن اسرائيل لم تغير موقفها العدواني تجاه الدول العربية قيد انملة •

وبقيت اسرائيل تحتلالارض العربية، وبقيت ترفض حق الفلسطينيين في العودة وتقرير المصير ، معتمدة بذلك على الدعم الامريكي المباشر وغير المحدود لها •

لقد صب الاتفاق المصري الاسرائيلي الزيت على نار الصراع في الشرق الاوسط ، وأضعف قوة العرب ، ذلك لأن تحييد أكبر دولة عربية وهي مصر من خندق الصراع العربي ــ الاسرائيلي هو ضربة للقوى العربية

المناضلة ، وقد بدا الوطن العربي بالفعل بعد كامب ديفيد ضعيفا ومنهكا .

وتبين فيما بعد أن مصر أصبحت حليفا لتل ابيب وواشنطن في منطقة الشرق الاوسط • لقد تبين ذلك من على خلفية الاحداث في ايران •



لقد سبق للرئيس الامريكي جيمي كارتر أن وصف عام ١٩٧٧ ايران بأنها « جزيرة الاستقرار » في منطقة من أكثر مناطق العالم اضطرابا وسخونة •

ولم يمض أكثر من عام واحد حتى أصبحت « جزيرة الاستقرار » أكثر مناطق العالم غليانا، وذلك من خلال ثورة عارمة ضد نظام الشاه هناك، وهرب معشاه ايران آلاف الخبراء الامريكيين التابعين لوكالة الاستخبارات الامريكية برمتها •

وقطعت الحكومة الايرانية علاقاتها مع اسرائيل ، وخرجت من الحلف الامريكي ، وأقامت الثورة الايرانية علاقات طيبة مع منظمة التحرير الفلسطينية • وقطعت ايران من ثم علاقاتها مع مصر كاحتجاج ايراني على استقبال الشاه المخلوع ومرافقيه ومساعديه في مصر •

لقد ضربت الثورة الايرانية المصالح الامبريالية الاحتكارية النفطية في ايران •

وبدأت مسيرة المظاهرات في ايران ضد الولايات المتحدة الامريكية لاحتضانها ودعمها للشاه الايراني المخلوع •

وحاصر الطلبة الايرانيون السفارة الامريكية في طهران ، واعلنوا أن الدبلوماسيين الامريكيين هم رهائن الى حين استرجاع الولايات المتحدة الامريكية الثروة الايرانية التي سرقها الامريكيون وشاه ايران سوية • لقد كانت الاموال الايرانية مكدسة في البنوك الامريكية • وتم

حجز الدبلوماسيين لفترة طويلة . ولم يتم اطـلاق سراحهم الا في عهـد الرئيس الامريكي رونالد ريغان •

لقد اسـتغلت الولايـات المتحـدة الامريكية حجـز الدبلوماسيين الامريكيين كذريعة لتوسيع نفوذها ووجودها العسكري في منطقة الخليج والمحيط الهندي• وسمحت مصر فيعهد السادات للولايات المتحدة الامريكية باستخدام قواعدها الجوية وموانئها كمحطة لنقل الجنود الامريكيين الى المنطقة • وانطلقت القوات الامريكية من الاراضي المصرية في شن هجماتها على ايران . تلك الهجمات التي لاقت الفشل والخيبة • وحاولت واشنطن مع مرور الزمن جر مصر الى التعاون العسكري معها أكثر فأكثر •

وتم ارسال جزء كبير من القوات المصرية المسلحة الى زائير للقضاء على الانتفاضة الشعبية العارمة في محافظة شـابا ، والى باكستان لتدريب الارهابيين الافغان • وتم ارسالهم كـذلك الى عمان تحت تصرف الادارة الامريكية • وبدأت واشنطن بتشكيل حلف سياسي وعسكري في منطقـة الشرق الاوسط لقهر شعوب هذه المنطقة •

ان كل هذه التصرفات أدت الى تعقيد الوضـع اللبناني خاصـة . والعربي بشكل عام •



انعقد البرلمان المصري والذي يسمونه هناك مجلس الأمـة للتصديق على الاتفاقية المصرية ـــ الاسرائيلية •

وألقى أنور السادات في تلك الجلسة خطابا طويلا استمر مـدة ثلاث ساعات متتالية ، وبدأ السادات خطابه كما اعتاد أن يبدأ كل مرة بعبـارة « بسم الله » * • لقد طالت الجلسة ، وكان الصمت يسود القاعة ••• وقال

---

* العبارة الكاملة والصحيحة في الدين الاسلامي هي « بسم الله الرحمن الرحيم » .

السادات فيما بعد : « باسـم أمنا مصر ، وباسم أبينـا مصر ، ومصيرنا وباسم امهاتنا ، وباسم كل أب وكل طفل ، وباسم الارض المباركة هذه ،.» وخيم الصمت من جديد على القاعة . وتابع السادات بعد ذلك القاء عباراته الرنانة المصطنعة والوقحة . وتابع السادات يقول : « سيجلب السـلام المجد للحضارة في المستقبل » .

لقد أصبح اسلوب المراوغة والدجل في خطب السادات أمرا معتادا . وأعضاء مجلس الامة المصري ليسوا سوى حفنة من البشر اختارها الرئيس المصري بنفسه بشكل متقن .

وصفق هؤلاء الاعضاء لخطاب السادات طويلا ...

هذا هو دورهم المرسوم لهم في آلة الحـكم الساداتية « التصفيق فقط » .

انتهى خطاب السادات ، وغادر المنصة الى الغرفة الخلفية حيث يفتح بابها على المسرح مباشرة (والمقصود بالمسرح هنا قاعـة مجلس الشعب المصري ـ المترجم) . وغادر أعضاء مجلس الامة المصري أماكنهم .

ودار حديث بين السادات ونائبـه الاول حسني مبـارك حول وزير الخارجية المصري آنذاك ، والذي تم تعيينه في هذا المنصب قبل فترة قصيرة من توقيع السادات على اتفاقيات كامب ديفيد ، وبالخصوص حول معارضة ذلك الوزير لسياسة السادات .

وأكد مصطفى خليل رئيس الوزراء المصري آنذاك بأنه يحمل شهادة موثقة عرضها أمام الصحفيينالاسرائيليين الذين وجهت اليهم دعوة لحضور جلسة البرلمان المصري . وأكد بأنه لم يقاطـع زيارة بيغن لمـصر . بل ان ظروفه لم تسمح له بالحضور آنذاك ...

وكان مصطفى خـليل مستعدا للقسم أمامهم على القـرآن لتبرير عدم حضوره الى لدن بيغن في أثناء زيارته للقاهرة .

وقال رئيس الوزراء المصري :

نعم ، نعم ، أنا مؤمن تماما بنجاح الاتفاقية •••

وتدخل عثمان أحمد عثمان في الحديث ، وكان هذا الشخص يشغل منصب وزير الاعمار المصري ، وهو أحد أكبر رجال الاعمال في مصر ، أنه ببساطة « المليونير » الذي تزوج ابنه بنت السادات •

وكان عثمان أحمد عثمان واثقا أيضـا من نجاح الإتفاقيـة المصرية الاسرائيلية حيث قال : « ان مشاريع الاعمار المشتركة ستجلب النفع أكثر من المدافع » •

وأعلن عن استعداده لاقامة مشاريع الاعمار مع اسرائيل • ولا تهم عثمان أحمد عثمان الايديولوجيات السياسية في شيء ، وقال : « عندي ما يكفي من الاعمال التي تجعلني أنسى الايديولوجيات جميعها » • وأصبحت له علاقات عمل مع اسرائيل • وساهم في ترميم المسجد الاقصى بمدينـة القدس المحتلة ، وقال عثمان أحمد عثمان : « أنا لا أعرف من حرق المسجد الاقصى ، ولا يهمني أصلا معرفة الفاعل » •

لكنه يعرف أن الصحافة المصرية كتبت في حينه بأن الصهاينة هم الذين أحرقوا المسجد الاقصى ، عندما كانت « الحرب الباردة » قائمة بين مصر واسرائيل •

ـــ ماذا ؟ وكيف تنظرون الى مشروع « الادارة الذاتية الفلسطينية »؟

وجاءت السياسة من جديد

أجاب مصطفى خليل عن هذا السؤال بقوله : « يجب على بيغن أن لا يخاف من « الادارة الذاتية الفلسطينية » ، فاذا ما اعطي الفلسطينيون مثل هذا الحق فانهم سيذبحون بعضهم بعضا •••

وكان المراسلون الصحفيون عامـة ، والاسرائيليون بوجه خـاص يحاصرون مسؤول النظام المصري حسان التهامي بالاسئلة أيضا •

وحسان التهامي له علاقة كبيرة بزيارة السادات للقدس وعنده المزيد من الاسرار والتفاصيل عنها • التهامي هو نفسه ذاك التهامي الذي التقى مع موشي دايان في احدى الدول العربية ، حيث تم هناك الاتفاق على فتح طريق الخيانة أمام السادات ، وتمهيد القدس أمامه •

هل يستطيع التهـامي أن يحدثنـا عن تصوره حـول العلاقات المصريـة الاسرائيلية ؟

رفض التهامي الاجابة ، انه ببساطة يفضل البقاء خلف الستار (أي بعيد عن الاضواء) •

ألم توكل اليك آية مهمة ؟ لا ، لا ، انه لا يريد أن يقف أمام الكاميرا لأن ذلك يخالف قناعاته •

ــ أية قناعات ؟

ــ الدينية طبعا •

ــ هل تسمح لنا بالتحدث معكم عن الرب ؟ أجـل ان له علاقات مع القوى الغيبية •

لقد أكد التهامي بأن الوحي نزل عليه عندما كان فيكامب ديفيد وأخبره بأن السادات يوجد في خطر ، يصل الى حد الموت • !

لقد شعر التهامي بذلك منذ زمن بعيد ، وأنقذ السادات أكثر من مرة • انه لا يعرف بالضـبط فيما اذا كانت هـذه الرؤى تأتيه في اليقظـة أم في المنامات •

هل سمعتم بذلك أيها الصحفيون ؟ أنا أؤكد لكم بأني قلت هذا لأحد الدبلوماسيين الاسرائيليين ، في أثناء المفاوضات ••• لقد كانت هناك حادثة أخرى •

ما هي ؟

أجابهم على الفور « النبي محمد التهامي » نعم ، نريد أن نعقد سلاما مع اسرائيل وبأقصى سرعة ممكنة •

ثم أضاف قائلا : لقد اخـــذتم مني كل أسرار الحكومـــة أيها السادة الصحفيين ، لقد غادر الرئيس السادات مبنى مجلس الامة وعلينا اللحاق به والانصراف حالا •

المســــرحية

نزلت الطائرة رقم واحد من سلاح الجو الاسرائيلي وهي تقل رئيس مجلس الوزراء الاسرائيلي مناحيم بيغن على سحابة من الرمال • وهبت في تلك اللحظة على القاهرة عواصف رملية حولت المدينة الى سراب أصفر اللون • وبلغت درجة الحرارة أكثر من أربعين درجة مئوية •

لم يستقبل الرئيس السادات ولا رئيس وزرائه مصطفى خليل رئيس الوزراء الاسرائيلي بيغن في المطار ، ذلك لأنه كان قد وصل أبكر من الوقت المحدد بشكل لرسمي فيما بينهما • واستغل السادا تهذا الموقف للتهجـم على الزعماء العرب الذين عارضوا اتفاقيات كامب ديفيد مدعيا بأنه لا يكن لرئيس الوزراء الاسرائيلي « عاطفة قوية » •

وكان بيغن يبدو متوسط الطول ، ممتلىء الجسم • وعندما خرج من الطائرة جلس طوال الليل في ملجأ مظلم وغير مريح • وبدا وجهه أزرق في أشعة الشمس وكأنه قميص من حرير • وأعطت النظارات السميكة التي كان يضعها على عينيه شكلا غليظا • أي أن بيغن ظهر آنذاك كما كان في بدايـــة حياته السياسية مجرما وارهابيا محترفا •

لقد أجاد لعب دوره مما أدى برفاقـــه الى الظهور كممثلين اضافيين وعليهم الصمت فقط •

وحاول كل من كان معه تقليده حتى في كيفية نزوله على سلم الطائرة•

وجاء من ثم حسني مبارك نائب السادات لاستقبال بيغن • وبعد ان

شد كل من بيغن ومبارك على أيدي بعضهما بعضا ، التفت بيغن بنظرة مقبوضة الى نائب الرئيس المصري •

وكان حسني مبارك أطول من بيغن بمقدار رأسه • ان خبرة بيغن الطويلة في مجال النشاطات السرية والدبلوماسية تسمح له بمعرفة ما يدور في خلد الانسان من النظرة الاولى • ولكنه فشل هذه المرة في معرفة ما يدور بخلد نائب الرئيس المصري مبارك •

وعزف الاوركستر المصري النشيد الوطني لاسرائيل ، والذي يبدأ بعبارة « لم يضع أملنا بعد » •

ولم تشارك المدفعية المصرية في الاحتفالات في أثناء استعراض بيغن لحرس الشرف • حاول حسني مبارك أن يقرأ على وجه مناحيم بيغن رد الفعل الذي ولده التصرف المصري بخرق قواعد البروتوكول •

وخيم على المطار صمت رهيب • نعم ان هذه التصرفات تخالف قواعد البروتكول ولكن كل شيء تم اعداده بشكل جيد في السيناريو والذي تم تنفيذ المشهد الاول منه في أثناء زيارة السادات للقدس •

وبدأت في قاعة الاجتماعات التي تواجد فيها ضيوف الشرف المحادثات العلنية وأمام كاميرات التلفزيون بين رئيس الوزراء الاسرائيلي ونائب الرئيس المصري • ان هذه التصرفات ليست سوى مشهد من المسرحية التي تم الاعداد لها بشكل متقن •

ــ قال بيغن : الجو حار •

ــ أجاب مبارك : أجل ، انه حار جداً •

ــ في اسرائيل الجو حار أيضاً •

ــ صحيح ؟ (ولا نعرف لماذا استغرب نائب السادات) •

ــ أجل ، عندما يكون الجو حارا في مصر، يكون الجو في اسرائيل حارا لأن لمصر ولاسرائيل مناخ واحد •

ــ صحيح •

ــ نحن في اسرائيل نسمي هذا الجو «خماسينيا» •

ــ هل تعرفون ان الجو سيستمر هكذا لمدة خمسين يوما ؟

سأل مبارك ، ثم أجاب بنفسه على السؤال :

ان كلمة « خماسين » مصدرها الكلمة العربية « خمسين » •

ــ أجاب بيغن ، لا ، ان كلمة « خام » هي كلمة عبرية وتعني«حار» و « خماسيني » تعني بالعبرية « حار جدا » •

ثم صمتنا •

شعر الصحفيون بأن هذا الحديث ليس عن الطقس ؛ بل هو مجــرد ايماء للحديث عن الوضع السياسي •

ــ وأخيرا سأل حسني مبارك : كيف كانت رحلتكم ؟

ــ رحلتي ؟ أجل كانت جيدة • لم أتذكر الا لتــوي • أجاب مناحيم بيغن •

ومن جديد يصمت الجميع •••

ــ كم من الوقت استغرقت رحلتكم ؟ سأل من جــديد نائب الرئيس المصري (يتبين من طبيعة تلك الاسئلة مدى اهتمام مبارك « العظيم » الى الحوار مع بيغن) •

ــ كم من الوقت ؟ آه ، نعم ، نعم ، خمس عشرة دقيقة • أجابه رئيس الوزراء الاسرائيلي (من طبيعة الجواب يمكن أن نفهم مدى اشمئزاز رئيس الوزراء الاسرائيلي من الحديث ، لأنه لم يكن هناك موضوع ليتحدثوا فيه أصــلا) •

وأقلقت بيغن تصرفات مبارك المهذبة والمصطنعة •

حاول بيغن بحذر وقلق أن يفهم مغزى تصرف هذه الشخصيةالعسكرية المصرية : ولم ينس بيغن ان مبــارك هو الشخص الذي سيرث الحكم بعد موت السادات •

وكان بيغن يسأل نفسه : هل سيتمسك مبارك باتفاقيات كامب ديفيد بعد وفاة السادات ؟

وعجز بيغن عن الاجابة عن هذا السؤال ٠

والمشهد الثاني في هذه المسرحية، كان زيارة بيغن لقبر الجندي المجهول في مصر ٠ علما بأن القدس شهدت الجزء الاول من هـــذه المسرحية والتي كان السادات بطلها ٠ وتغير الآن الممثلون ومكـــان التمثيل ٠ وخرج بيغن من الليموزين (سيارة ركاب مسقوفة) ، وتقدم على أصوات الطبول ومعه باقة ورد الى المقبرة المحاطة بسور كبـــير يشبه الهرم ٠ وكان تعبير وجهـــه محزنا، ذلك لأن المجرمين ينساقون عادة ولسبب مجهول الى مكان الجريمة٠

وقرر بيغن الاسراع في دراماتيكية اللعب ، حين أجـــاب الصحفيين على سؤاله حول زيارته لمقبرة الشهداء حيث قال : الجنـــدي المصري قاتل بدافع الواجب تجاه وطنه ، لقد قام بواجبه ، ولذلك أقدم له التحية ٠

لقد جاءت مضاعفة دراماتيكية اللعب بهدف اضفاء غطـــاء سلمي على وجوه الممثلين ٠

أما تصرفهم أمام قبر الجندي المجهول ، الذي قاتل واستشهد دفاعا عن وطنه فكان مجرد تجديف ٠

واخذ المصـــريون بعد ذلك ضـــيفهم الاسرائيلي الى الاهـــرامات . واصطحبه في تلك الزيارة وزير الآثـــار المصري ٠ وهبطـــوا سوية بطائرة مروحية في الساحة التي تقع مقابل أبي الهول الذي لم يغير نظرته ٠

اتخذ بيغن على جدار الاهرامات المصرية وضعية مدروسة جيـــدا ومناسبة لالتقاط الصور ، حـــيث طبع على وجهه الابتسامات المبتذلة مثل نجوم السينما ٠ ورفع بيغن يديه فـــوق رأسه محييا الناس الذين قامـــوا بتوجيه عدسات الكاميرات نحوه من وراء حاجز البوليس الكبير ٠

وعلى كل حال فان جميع تصرفاته كانت تدل على انه يشـــعر بنفسه منتصرا ٠

هذه هي الحقيقة الثابتة ، ثبات اهرامات مصر • لقد وصل بيغن الى تلك الاهرامات عبر نهر من الدم كما فعل الاسكندر المقدوني من قبله • لا ؛ بل ان بيغن يشبه الى حد كبير الهكسوس الذي دمر مملكة فرعون في مصر •

ومن ثم ، وجه أحد الصحفيين المصريين الميكرفون نحو بيغن وسأله :

السيد رئيس الوزراء ، لقد كتبت صحفكم بأن الاسرائيليين هم الذين بنوا تمثال أبو الهول والاهرامات في مصر ، وأنه ليس للمصريين أي دور في بناء تلك الاهرامات ، هل انتم موافقون على وجهة النظر هذه ؟

لقد تبين فورا أن مثل هذا السؤال غير موجود في سيناريو المسرحية التي يلعبها قادة مصر واسرائيل •

لقد رفع بيغن حاجبيه متعجبا • وفهم بيغن بأن خلف هذه الكلمات سر كبير ، فهو ليس مجرد سؤال لتدقيق المعلومات التاريخية •

وأخيرا أجاب بيغن :
ــ كلا ، أنا لا أظن ان هذا صحيحا •

ثم نظر بيغن الى وجه الصحفي مرة اخرى على أمل أن يحفظه في ذاكرته السوداء •

ــ شكرا سيادة رئيس الوزراء ــ شكر الصحفي المصري بأدب ولطف رئيس الوزراء الاسرائيلي لأن جوابه كان مقنعا وكافيا •
وعلى العكس فان بيغن نفسه لم يقتنع ، ونظر من حوله بحذر ، وفكر
ــ هل فهموا كلماتي على حقيقتها ؟ ثم أردف قائلا :

ــ عندما جاء نابليون الى هنا عام ١٨٩٨ قال : أربعة آلاف سنة من التاريخ تنظر نحوي من هذه الاهرامات ، ولم تمض منذ تلك الفترة سوى ١٨١ سنة ، اسمحوا لي أيها السادة ان أقول بأني انسان بسيط ، وأن (٤١٨١) سنة تنظر نحوي اليوم من هذه الاهرامات •*

---

* A . Elon , Flight into Egypt , New York 1980

ان هذه المقارنة تحمل وبالتأكيد طابع المجازية أو الاستعارة ، أي ان بيغن لم يأت الى مصر كضيف بل كفاتح ...

لقد جاءت زيارة بيغن للقاهرة بهدف اظهار جاهزيـــة الجانبين المصري والاسرائيلي للسير حثيثا على طريق المؤامـــرة . وكان من المقرر أن تبدأ المباحثات بين الجانبين حول مسألة « الادارة الذاتيـــة » للفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة قبل الخامس والعشرين من نيسان عام ١٩٨٢ . وحاول بيغن في القاهرة أن يظهر وكأنه « صاحب الموقف » .

لم يستطع الرئيس الســـادات أن يلاحظ غطرســـة ضيفــه . ولـــم يستطع التعبير عن عدم رضاه . لأنهم كانوا مقبلين على المباحثـــات حول المشكلة الفلســـطينية ويقع مفتـــاح الحـــل بيد بيغن . ومن يعـــرف فقـــد تسحب اسرائيل قواتها من سيناء . وعندها سيستطيع الســـادات الظهور أمام القادة العرب الذين نددوا بسياسته بمظهر البطل الذي استطاع أن يحرر أرضه كاملة نتيجة لتوقيع اتفاقية كامب ديفيد . ولم يرغب الســادات بتذكر الدماء الفلسطينية التي نزفـــت على أرض سيناء دفاعـــا عنها ، ولم يرغب بتذكر مدينة القنيطرة السورية التي حررها أصحابهـــا دون توقيع معاهدات مع اسرائيل .

ولم يعرف السادات كذلك بأنه سيصبح قريبا الضحية الاولى لخيانته؛ لقد أظهر مقتل السادات في الســـادس من تشرين عام ١٩٨١ للجميـــع بأن طريق الخيانـة وطريق كامب ديفيد وطريق التآمر مع الامبرياليــــــة والصهيونية ضد مصالح الشعوب مغلق ولا جدوى منه .

ووصلت فيما بعد مفاوضات « الحكم الذاتي » الى « طريق مسدود » لقد عجز القادة المصريون عن فهم هذه الحقائق مباشرة .

ان استرجاع سيناء ــ كبل أيدي أكبر دولة عربية في المنطقة الا وهي مصر .

وشعرت اسرائيل عندها وفي ظل هذه الظروف بأنها « سيدة الموقف » في الشرق الاوسط . وسارعت اسرائيل الى استغلال الوضع الجديد ...

بيغن « الوحيد »

عندما أخبروا السادات عنتصرفات رئيس الوزراء الاسرائيلي مناحيم بيغن في منطقة الاهرامات المصرية ، فك السادات يديه عن بعضهما بعضا وقال : « ماذا أفعل ؟ لا يوجد عندي بيغن آخر » •

لقد كانت كلمات السادات في محلها ، ذلك لأن رحلة السادات المخزية الى القدس المحتلة ، وبيعه لاخوته العرب ، والتنكر لوطنه ، لم يترك أمام السادات خيارات كثيرة . وكان مضطرا لمتابعة الطريق التي بدأها • وفي حقيقة الامر فانه لم يكن أمام السادات بيغن آخر • هذا البيغن الذي اشتهر عبر تاريخه بالارهاب ، وهو نفسه المسؤول عن سفك الدماء البريئة في دير ياسين ، وفندق « الملك داود » • انه نفسه البيغن الوحيد الذي ينظر اليه حتى الاسرائيليون أنفسهم على انه فاشي من الطراز الاول

لقد حاول بيغن دائما وحتى بعد ان أصبحت اتفاقيات كامب ديفيد حقيقة واقعة اهانة السادات واحتقاره •

هكذا تصرف بيغن مع السادات في مصر ، وهكذا تصرف معه في واشنطن خلال الاحتفال بتوقيع معاهدات كامب ديفيد ، ولكن الامريكيين استطاعوا اقناع السادات بأن بيغن ينوي التعاون الشريف معه ••• وما عليه الا أن يبدأ الامر بنفسه ، أي ان على مصر اعلان مبادرتها للتعاون مع اسرائيل ، وأن اسرائيل « الضعيفة » الصغيرة والتي لم تعترف بها الدول العربية الكثيرة لا تستطيع البدء في ذلك •

وان على الســادات أن يتذكر ان كيلوباترا قامت منذ ألفي عام بزيــارة للقدس والتقتمع ملكها الطاغية .

وتناول السادات من على الرف « الموسوعة التاريخية (انسيكلوبيديا) المطبوعة في لندن وقال : للاسف لم أطلع على نتائــج تلك الزيارة . وقالوا للسادات ان طاغية القدس حاول اغتصــاب كيلوباترا أثنــاء زيارتها له .

وشعر السادات بنفسه وكأنــه في موقف مشــابه لكنه لم يستطع أن أن يفعل أي شيء .

والآن يوجد بيغن عند السادات ، فما عليه الا أن يشرب كأس الخجل والذل الى آخره ، ولكن كل من كليوباترا والطاغية تنافسا في التأثــير على أناتوليا امبراطور الامبراطورية الرومانيــة العظمى والتي كانت في ذلك الوقت من القوى العالمية العظمى .

هذه الفكرة هدأت من روع السادات ، لأنه كان يعزي نفسه بالفكرة التي تقول : سيصبح تأثيره على الولايات المتحدة الامريكيــة في يوم من الايام أقوى من تأثير اسرائيل عليها ، وعلى الامــريكيين أن يفهمــوا أن مصلحتهم تقضي بأن تكون صداقتهم مع العــرب أقوى مما هي عليــه مع اسرائيل . لأن العرب في نهاية المطاف هم البترول ، وهم مجتمع يبلغ عدد سكانه أكثر من مئة مليون نسمة ، وهم الارض الخصبة التي تمتد من المحيط الى المحيط ! (هكذا كان يفكر السادات) .

وفي اللحظة التي ظن بها السادات بأن الحظ سيجلب له النجاح ، قام العرب بفرض حصار مفاجيء على نظام حكمه .

وبدأ السادات من جديد يتصفح الموسوعة الانكليزيــة التي كانــت أمامه . ومن الطريف أن العلاقات الودية بين أناتوليا وكيلوباترا لم تستطع التأثير على علاقات الامبراطورية الرومانية الحميمة مع طاغية القدس .

ولم يكن أمام السادات الآن الا طريق واحــدة لتحديد علاقاتــه مع

الاسرائيليين ، ذلك لأن بيغن كما هو ، ولم يتغير أبدا ، وكرر السادات محاولاته لاجبار ضيفه على احترام نفسه ، ولكن دون جدوى •

وثمن بيغن كرم الضيافة الساداتية ، وأبدى اعجابه بلمعان قصر القبة المخصص لملوك مصر حيث أقام السادات للارهابي بيغن حفل استقبال على شرفه •

لقد احتقر السادات بيغن ، ولكن في نفسه ورسم السادات على وجهه ابتسامة محيرة ، وقال السادات عندما شرب نخب بيغن وعقيلته :
ـ أن من يجرب مياه النيل مرة ، سيرجع بلا شك مرة اخرى الى شواطئه •

ـ أجاب بيغن وهو يشرب شفة ماء ـ بلا أدنى شك أيها الرئيس ، فأنتم تعرفون أن أسلافنا في العصور الغابرة عرفوا قيمة طعم الماء في النيل والفرات •

عندها سعل السادات لأنه غص في شربة الماء •

لقد انطبعت علامات الدهشة على وجه الحضور من تصرفات بيغن ، لأنه لم يخجل حتى في تلك اللحظة التي يجلس فيها الى جانب السادات من التنويه الى نيته وعزمه في اقامة اسرائيل الكبرى من الفرات الى النيل •

هذا التصرف كان وقحا للغاية • ولكن السادات تصرف وكأنه لم يلاحظ غلاظة بيغن ، على الرغم من أن كل شيء كان واضحا جدا ••

وتكلم بيغن فيما بعد ••• تكلم كثيرا • وكان واضحا في ذلك الخطاب محاولات بيغن الاستهتار بالرئيس المصري •

أما كلمة السادات الجوابية فكانت رقيقة وناعمة بهدف تهدئة اللقاء المتوتر •

حيث قال : لن تكون بيننا حروب بعد ، وسنقوم سوية بصنع السلام والرخاء في هذه المنطقة •

وهز بيغن رأسه موافقا على هذا الكلام .

وتابع السادات يقول : لقد رأيت أحد الشباب المصريين جالسا على كرسي للمعاقين ، لن أنسى أبدا هذا المشهد ...

لاحظ الحضور بأن رئيس الوزراء الاسرائيلي قد أغـاظ السادات ، الذي تابع يقول : وفي اسرائيل يوجد أيضا العديد من الشباب على كراسي المقعدين .

وأضاف بيغن ـ لن أنسى هذا المنظـر أبدا . « وكانت كلمات بيغن تحمل طابعا عدوانيا » .

ان كل كلمة قالها السادات وبيغن في ذلك الاحتفال كانت تحمل المعاني الخاصة والالغاز .

وناقش الرئيس المصري وبيغن نتائج تلك الزيارة وهما يجلسان على الكراسي المخملية الفخمة ، ويقهقهان بسخرية غير واضحة .

وناقش السادات مع ضيفه الوضـع المأساوي الذي كان يعاني منه آلاف البشر على انغام الموسيقى الهادئة التي عزفتها فرقةالجيش الموسيقية وبجوارهم كانت باقات الزهور الجميلة والتي قطفت لهم من حديقة قصر القبة الفخم .

الرئيس المشعوذ

سأل الصحفيون في ألمانيا الغربية السادات عندما رجع الى مصر :

ـ ألم تشعروا يا سيادة الرئيس بالخوف عندما كنتم توقعون علي اتفاقيات كامب ديفيد ؟

أجاب السادات :

ـ أبدا ...

ولكي يثبت السادات صحة اجابته فقد استقل من أرض مطار القاهرة الى مكان اقامته سيارة مكشوفة . وقامت الشرطة المصرية قبل ذلك بتمشيط القاهرة وحجزت جميع المشكوك في أمرهم ولساعات عديدة .

لم يختر السادات السفر بالسيارة ألا عن قصد ، ذلك لأنه كان يتنقل عادة حتى داخل القاهرة نفسها بالطائرات المروحية .

لقد أدى توقيع معاهدة « الســـلام » بين مصر واسرائيل الى تأزيم الوضع الاقتصادي المصري بصورة خطيرة . ونشأت حول السادات طبقة بيروقراطية استغلت نفوذها في السلطة لفتح أبواب مصر أمام الاستثمارات الاجنبية مما أدى بالتالي الى زيادة التضخم ، وزيادة أعداد العاطلين عن العمل .

لقد جعلت هذه الظروف الجديدة حياة عامة الشعب المصري لا تطاق ؛ وامتد بعد ذلك عدم الرضا ليشمل جميع طبقات الشعب المصري .

وسعى السادات الى ازالة عدم الرضا في نفوس المصريين عن طريق

سياسة «التنظيف والتطهير» التي اعتمدها في الدوائر والمؤسسات الحكومية والجيش والاعلام والجامعات • وتم منع المظاهرات والاعتصامات ، وكانت عقوبة المشتركين بتلك المظاهرات شديدة جدا • وأخذت بعد ذلك اجراءات السادات القمعية شكلا تصاعديا •

ونشرت الصحف في شهر آب عام ١٩٨١ خبرا عن الاصطدامات بين المسلمين والمسيحيين في مصر • لقد انتظر السادات بفارغ الصبر مثل هذه الاحداث • « وعوضا عن جنة السلام التي وعد بها الشعب ، أعلن السادات حربه ضد شعبه » • هذا ما جاء في تعليق الحزب « اليساري » المصري على تلك الاحداث • وبدلا من انعاش الديمقراطية ، واعطاء الشعب المصري المزيد من الحرية ، ورفع المستوى المعـاشي في مصر ، فقد زادت الوسائل القمعية التي تمارسها شرطة النظـام ضد الشعب • لقد تعـرى الرئيس السادات أمام الشعب المصري ، ولم يجد أي شيء يستتر به • لقد أصبح شخصية مستبدة ، والتاريـخ يعرف العديد من هؤلاء الطغـاة • لقد دبر السادات الدسائس والمكائد ضد الشعب المصري •

واصطدم السادات بسياسته الخيانية مع الجماهير الشعبية ، وقرر على ما يبدو اعتماد سياسة الحيلة والمكر لأنها الطريق الاسـهل والمضمون لخداع الشعب المصري • وقام في نفس الوقت بتصفية المعارضة المصرية •

وحاول السادات خلال صلوات الجمعة . والتي تستمر عـادة حوالي ساعة من الزمن تحريض المسلمين على الاقباط• ويعود تاريخ زرع الخلافات الدينية في مصر الى الاستعمار الانكليزي ، أي قبل السادات بزمن طويل • واستغل عملاء الصهيونية داخل مصر هذه الاوضـاع فباشروا نشاطاتهم التخريبية الواسعة داخل مصر •

واستخدم الرئيس المصري السلاح المسموم ضد الشعب نفسه الذي « انتخبه » وأوصله الى السلطة •

لقد اعتمد السادات على خلق التناقضـات الدينية داخـل مصر بين

المسلمين والمسيحيين • واستغل السادات وأتباعه الاحتجاجات الدينية على سياسته لقمع المعارضة المصرية• وتبنت عند ذلك سلطات الامن المصرية سياسة القمع الجماعي ، وبدأت تشن حملات الاعتقالات الواسعة ضد كل من قال كلمة واحدة غير حذرة في حق النظام الحاكم • وتم خلال فترة قصيرة اعتقال الآلاف من المواطنين : الاطباء ، والمحامين ـ الكتاب ، الصحفيين والزعماء الدينيين وغيرهم •

وكان من بين المعتقلين نائب رئيس مجلس الوزراء المصري السابق . وستة من الوزراء المصريين القدامى ، والعديد من أعضاء مجلس الامة المصري السابقين ••• وصارت المساجد تحت مراقبة قوات الامن بشكل دائم • واضطر الخطباء في الجوامع الى عرض خطب الجمعة على لجان الامن•

لقد ظن السادات بأنه يستطيع وبحركة واحدة منه خنق المعارضة الداخلية • في البلاد • وتم الاعلان في حينه عن ان ٩ر٩٩٪ من المصريين الذين شاركوا في عملية الانتخابات موافقين على سياسة رئيسهم • ولم يرض السادات عن هذه النتيجة لأنه أراد أن تكون الموافقة على سياسته داخل مصر بالاجماع •

وكشف السادات في احدى خطبه عن « مؤامرة » حكومية تحاك ضده ، وادعى بأنها من تدبير الاتحاد السوفييتي ، ولكي يعطي السادات « وزنا » لكلامه فقد أمر بطرد الخبراء السوفييت من مصر •

وقد أعمى السادات في تلك الفترة كرهه الشديد للسوفييت • وأعطى الاوامر باغلاق جميع المكاتب السوفييتية في القاهرة والمدن المصرية الاخرى•

وأظهرت سياسة القمع الجماعي ضد المعارضين لكامب ديفيد في القاهرة والمدن المصرية الاخرى ان النظام الساداتي كان يعيش على النار •

ان تصاعد حركة المعارضة لاتفاقيات كامب ديفيد أجبرت السادات على التشاور مع ••• بيغن بصدد الاوضاع المصرية الداخلية •

وأشارت صحيفة « الثورة » العراقية « الى وجود اتصالات مباشرة بين بيغن والادوات القمعية التياستخدمها السادات ضد الشعب المصري» • ونشرت جميع الصحف العربية أنباء حول عزم السادات على توجيه ضربة قاصمة لقوى المعارضة المصرية ، والى ان الســـادات سبق ونســق هــذه الخطوات مع الادارة الامريكية خـــلال زيارته الاخيرة لواشنطن • ودخل السادات بذلك الحلف الاستراتيجي الامــريكي الاســرائيلي • وأرادت واشنطن وتل أبيب من نظام السادات اظهــار مقدرته على التعامل بفاعلية مع المعارضة الداخلية •

كما وتتوجه الدعايةالصهيونية الى خلق انطباع عند دول أوربا الغربية بأن اسرائيل قادرة على خدمة مخــططاتها • وهذا ما أكده آهارون ياريف رئيس مركز البحوث الاستراتيجي الاسرائيلي في خطــابه الذي ألقاه في واشنطن حيث قال : ان هشاشة الوضع في منطقة الخليج ، وشبه الجزيرة السعودية يضعف بشــكل خاص النظام السعودي ، واعتقــد انه لن يكون أمام أوربا الغربية الوقت الكافي لتشكيل قوات التدخــل السريع ، وفي مثل هذه الظروف ، ستستطيع القواعــد الاسرائيلية أن تفي بالغرض المطلوب، أي يمكن آن تستخدمها تلك الدول للقيام بعملياتها الحربية ••• ضد أماكن تمركز القوات السوفييتية » •

هذه الكلمــات أخافت كل من يستمع الى خطــاب آهارون ياريف •

وأتت أفكار الجنــرال الاسرائيلي ياريف وبلا أدنى شك من أفـــلام لهيتشكوك ، ولهذا السبب فقد دخلت تلك الافكار وبسرعة عجيبة الى قلب الادارة الامريكية الجديدة برئاسة ريغان •

ولهذا السبب فقد أخذ موضوع « تمتين العلاقات الاستراتيجية بين اسرائيل والولايات المتحدة الامريكية » معظم وقت المحادثات التي جرت في حينه بين الرئيس الامريكي رونــالد ريغان ورئيس الوزراء الاسرائيلي مناحيم بيغن •

تأمل الولايـات المتحدة الامريكيـة أن تسـتطيع مصـالحة الدول العربية مع اسرائيل، مقابل الانسحاب الاسرائيلي من الضفة الغربية المحتلة لنهر الاردن وبصورة أدق (لقد أرادت الولايات المتحـدة الامريكية ايهام العرب بأنها غيرت من سياستها المعادية لهم، وذلك عندما وافقت تلكالادارة على بيع العربيةالسعودية عددا من الطائرات المقاتلة. ان كل هذه التصنعات الامريكية كانـت ضرورية لاستراتيجيتها بعـد أن أصبح واضحا مصير اتفاقيات كامب ديفيد المحتوم ـ السقوط ـ .

ودلل على ذلك العداء المطلق للسادات وسياسته داخل مصر . وأصبح طريق كامب ديفيد الخياني في ظل تلك الظروف محفوفا بالمخاطر ، ذلك لأنهم قد فهموا بأن تشكيل الحلف العسكري والسياسي الجديد في منطقة الشرق الاوسط تحت راية عداء السوفييت ، انما هو موجه قبل كل شيء ضدهم وضد سيادتهم .

وكتبت جريدة السفير البيروتية بهذا الصدد : « بعد قيام النظـام المصريبحملات اعتقالات ومطاردات واسعة بين صفوف المعارضة السياسية والشخصيات الدينية المصريـة ، وعندما اتهمت مصر الاتحـاد السوفييتي باثارة البلبلة داخلها ... كان السادات ينوي وبالتعاون مع السودان القيام بعدوان عسكري ضد الجماهيرية الليبية » .

وأصبح معروفا في الشرق الاوسط ان الولايـات المتحدة الامريكيـة عندما تريد تنفيذ مخطط جديد لها . فانها توعز في البداية الى عملائها بضرب القوى الوطنية والتقدمية الفعالة . لقد كان نظام السادات الذي بدأ التنكيل بشعبه ، ينفذ مهمة جديدة موكولة له في هذه المنطقة .

ان عملية سحق المعارضـة . والقاء خيرة أبناء الشـعب المصري وارد قضبان السجون ، لم تعـط السـادات الثقة بأنه سينجح في المهمـة التي كلفته واشنطن بها . وأخذ دفتر تسجيل تلك المهمات يمتلىء بشكل مستمر . ولم تكتف الحكومة المصرية بدور ثانوي في تدخلها في شؤون الدول الاخرى

مثل تدريب المرتزقة الافغان ، بل أخذت تلك الحكومـــة بتجميع قواتها على حدود ليبيا ، لشن الحرب عليها ٠

لقد أرادت واشنطن من السادات أن ينفذ بالنيابة عنها كل المســـائل الصعبة والمهمـــة في هذه المنطقـــة الحيويـــة من العـــالم ٠ ويكلف الحلف الاسرائيلي المصري بحماية المصالح النفطية الامريكية في هذه المنطقة ٠

وتم تكليف السادات بشن أكبر الحملات المضادة للسوفييت في منطقة الشرق الاوسط ٠ ورغبت أمريكا في ايجاد ســـياسي قدير يأخذ على عاتقه مسؤولية حل المسائل « غير الفعالة أو غير النشيطة » في العالم ٠ وقبـــل السادات على نفسه أن يكون هذا السياسي٠ وكما تدل نشاطات الشخصيات السياسية الامريكية في الشرق الأوسط فانهم حاولوا وبكل السبل الدفاع عن كامب ديفيد ، وحماية نظام السادات من السقوط النهائي ٠ كما وستؤمن اسرائيل في الوقت نفسه الطريق الاخضر للاستمرار في التوسع من خلاله٠

ودار الحديث بشكل خاص حو لهذه المواضيع في اللقاء الذي تم بين ريغان وبيغن في واشنطن ، ان تحليل الاوضاع في الشرق الاوسط عامة وفي جنوب لبنان بشكل خاص تشير الى أن اسرائيل تحضر لاعتداء واسع ضد لبنان بهدف ضرب القـــوى الوطنيـــة التقدميـــة اللبنانية وحركة المقاومة الفلسطينية وسورية (وهذا ما حذرت منه الصحافة العربية في ذلك الوقت)٠

وكما كان متوقعا فان الاجراءات الساداتية لم تعط اية نتيجة ٠ وأن سياسة التنكيل لم تؤد الا الى توحيد صفوف المعارضة في جميع أنحاء مصر ٠ وكتبت جريدة «السفير اللبنانية» ذات الانتشار الواسع أن سياسة السادات الخيانية وتنازلاته اللانهائية أمام اسرائيل جعلت المصادر الطبيعية المصرية كالنفط وغيره تحت تصرف الادارة الامريكية ، وأدت الى عزل مصر داخليا وخارجيا٠ وأخذت مختلف الطبقات الشعبية تقف ضده، بالاضافة الى جميع التكتلات السياسية اعتبارا من أكثرها يسارية الى أكثرها يمينية ٠ وصرح السادات في أحد لقاءاته الصحفية انه فخور لكونه ينتمي الى أسرة فلاحية،

وانه من أكثر الرجال ثقافة في العالم • وكان السادات يبـدو في ذلك اللقاء الصحفي بربطة عنق باريسية معلق عليها شكلة من الالماس صنعت خصيصا في باريس ، ويرتدي بزة انكليزية مصنوعة عند خياطـه الخاص في لندن ، وقميصا كامل الاوصاف وذا لون مناسب للبزة • لقد كان السادات يتصرف بقليل من عدم الاكتراث على خلفيـة من الصرامة ، وكان غليونـه ممتلئا بأفضل أنواع التبوغ المغموسة في أجود صنوف الكونياك في العالم •

وأريد أن أسألكم : أهل من الممكن أن يكون مثل هـذا الشخص ابنا لعائلة فلاحية مصرية ؟ ••• أو رئيسا لدولة مثل مصر ؟ حيث يوجد ملايين الفلاحين المحرومين من الارض ، والذين يدقون ابواب المصـانع والمعامل في المدن المصرية بحثا عن عمل ، وحيث يوجد آلاف المشردين الذين ينامون على قارعة الطرقات العامة ، أو في المقابر والأضرحة • وحيث يهاجر آلاف البشر الى خارج البلاد بحثا عن قطعة الخبـز ولقمة العيش غـير آبهين بمصير أهلهم وذويهم وأطفالهم •

ويفتخـر السـادات بنفسـه حيث يصف نفسـه « بأكثر رجـال العالم ثقافة ، وأنه من أصل فلاحي •

ومن الطريف بأن التسمية العالمية التي أطلقها السادات على نفسه لم تأت بشكل فوري ، بل سبق وأطلقت الصحافة المصرية على السادات هذه التسمية عندما زار مدينة القدس المحتلة ، ولم تبق أية تسمية في العـالم بعد ذلك ولم يطلقوها على السادات ، حتى أنهم شبهوه ذات مرةبرجـل الفضاء الاول الذي نزل على القمر •

أما عن « أناقة » السـادات وذوقـه ، فقد وضع ممتلكـات الجيش المصري ، والقوات الجوية والبحرية المصرية : من ملابس تحـت تصرفه • وعندما قام أنور السادات ذات مرة برحلة في قناة السويس مع « ابن شاه ايران » ، طلب من أحد الجنـود بأن يحضر له ثلاثة أمشاط ، حـيث كان السادات يمشط بالمشط الازرق شاربيه ، وبالمشط الزهري حاجبيه ، أمـا

المشط الابيض فلتمشيط رأسه ... وكانت أدوات الزينة التي يستخدمها السادات على مرأى من جميع الذين اصطحبوه في رحلته تلك .

لقد ألحق الجيش المصري الهزيمة بالجيش الاسرائيلي في حرب السادس من اكتوبر عام ١٩٧٣ ، وتم استعادة قناة السويس وتدمير خط بارليف . وصارت القاهرة تحتفل سنويا بهذه المناسبة وذلك باقامة العرض العسكري فيها . وتم الاعداد في هذه المرة للعرض العسكري بصورة فخمة ، اذ أراد السادات أن يسمع الجميع فرقعة أرتال الدبابات الامريكية والتي استلمها منذ فترة قصيرة من ما وراء المحيط .

لقد بدأ عرض عام ١٩٨١ في وقته المحدد له تماما ، أي في الساعة الحادية عشر صباحا . وكان السادات يرتدي في ذلك العرض بزة رسمية زرقاء اللون ومذهبة ، وعلق على صدره الميداليات والجوائز الكثيرة جدا .

وكانت تلفه قطعة عريضة من الحرير ، وحذاء رمادي ، وغاص السادات في المنصة حتى ركبتيه . لقد كان الرئيس المصري يلمع ، حتى ان الحضور تهامسوا فيما بينهم مبدين اعجابهم ودهشتهم .

وقرأ الشيخ بعد وصول الرئيس مباشرة آيات من القرآن ، وألقى من ثم وزير الدفاع المصري أبو غزالة كلمة كرسها لشكر وامتنان الامريكيين . وقام الرئيس السادات بعد ذلك بوضع اكليل من الزهور على قبر الجندي المجهول . وتقدمت بعد ذلك قوافل الجيش على قرع الطبول والموسيقى ، وكان السادات يشرب غليونه . وقبل انتهاء العرض العسكري بقليل توقفت جرارة قاطرة ، ولم يعط أحد أهمية لتلك الحادثة . وكانت تحلق فوق أرض المنصة وعلى ارتفاع ٦٠ متر خمس طائرات « ميراج » ، والتي أدى هدير محركاتها الى عدم سماع الحضور لأي شيء . وقفز في هذه اللحظة من الجرارة القاطرة رجل بيده بندقية رشاشة ، وانطلق بسرعة فائقة نحو المنصة وهو يطلق النار على شخص السادات ، في حين استطاع رفاقه القاء العديد من القنابل على تلك المنصة .

وتم في نفس اليوم الاعلان عن وفاة السادات في مستشفى « المعادي » العسكري حيث نقلوه الى هناك من أرض المنصة بطائرة مروحية •

وتم بعد وفاة السادات التحقيق في قضية موته فتبين ان القاتل هو أحد أفراد الجماعات الدينية الاسلامية المتعصبة •

لقد قتل السادات في ظروف بلغت بها حالة عدم الرضا عن سياسته الاستسلامية ذروتها داخل مصر • واستقبل المصريون دفن السادات بحالة من عدم المبالاة، تعبر عن الهوة التي فصلت بين السادات والشعب المصري• وألف السادات كتابا أسماه « البحث عن الذات » استوحاه من صميم تفكيره وعلى مر السنين الطويلة • لقد كتب السادات كتابه هذا على مراحل وبخط يده، ومن المفيد أن نعرف أين بحث السادات عن ذاته ؟ وأين وجدها؟ وكيف ينظر السادات الى البلد الذي نشأ وترعرع فيه ؟• انه ليس مجرد كتاب عادي بل انه كتاب بريشة الرئيس السادات • ان كل من يعرف مصر، وتاريخها وحضارتها ، شعبها وحياتها ، وكدها ، ويقرأ في نفس الوقت كتاب السادات سيفاجأ بوجهات نظر السادات حول كل ذلك في كتابه « البحث عن الذات » •

ويستعجل السادات ابن الطبقة الفلاحية الكادحة في التنويه الى فوقيته • وكتب السادات عن مذكراته في المدرسة : « لقد درس معي في ذلك الوقت ابن وزير الحربية ، وابن نائب وزير التعليم • لقد كانوا يأتون الى المدرسة وبالعكس في سيارات فخمة •• لقد كان مظهرهم يبهر العيون الى أقصى الحدود ، ولكن ذلك لم يترك في نفسي أي أثر من الحقد والحسد » •

ويهدف السادات من وراء ذلك اثبات أبوته للوسط الفلاحي الفقير ، وانتمائه الى تلك الطبقة من الشعب المصري •

لقد انصبت جميع محاولات السادات في هذا الكتاب على تصوير نفسه وكأنه ابن مصر الحقيقي • ويستطيع القارىء العادي أن يلاحظ هذه الفكرة في كل صفحة من صفحات الكتاب • ويتحدث السادات في كتابه « البحث عن الذات » ، كيف دخل الى دار السينما لأول مرة في حياته حيث يقول : « لقد انطلق القطار من بعيد (أي من آخر الشاشة) وبدأ يتقدم نحوي ، وأغمضت عندها عيني من شدة الخوف ، وضغطت بنفسي على الكرسي الذي كنت أجلس فيه ، وما زال صفير القطار الحاد يدوي في اذني حتى يومنا هذا » •

ويخبرنا السادات في كتابه انه ومنذ نعومة أظفاره كان «مولعا بشخصية هتلر » • وقال السادات عن الحرب العالمية الثانية : « أنا متأكد جدا بأن « جنرال البرد » هو الذي هزم هتلر في الاتحاد السوفييتي » • ان هذه الاقوال تؤكد بشكل ثابت جهالة السادات •

وكتاب السادات مليء بالتحامل على الاتحاد السوفييتي ، وعلى « الطبع الروسي » • وانصبت محاولات السادات لتثبيت دوره في تاريخ مصر ، وفي الغاء دور الآخرين ، وخاصة دور سلفه الرئيس جمال عبد الناصر •

والممتع في هذا الكتاب هو تحليل السادات لشخصيته • حيث يقارن عقله « الفريد » من نوعه بميكانيك الساعات السويسرية • وغالبا ما كان السادات يخرج ساعته من جيبه وينظر اليها وهو فخور ومندهش ، (ذلك لأنه كان يعتقد بأن مخه يعمل بنفس الدقة التي تعمل بها ساعته) • ومن الجدير بالذكر ان تلك المعلومات والتحليلات جاءت في النسخة العربية فقط ، وغير موجودة في الطبعة التي ترجمت الى اللغة الانكليزية •

ويعتبر الاسلوب المسرحي الذي كان السادات يتخذ به قراراته هو الشيء المدهش في كتابه « البحث عن الذات » •

ولم يرف للسادات رمش عندما خطط لزيارة القدس ، وعندما فكر في

اقامة مؤتمر دولي يضم رؤساء الصين ، الولايات المتحدة الامريكية ، الاتحاد السوفييتي ، بريطانيا العظمى ، فرنسا .

هل لكم أن تظنوا أين كان السادات ينوي اقامة مثل هذا المؤتمر ؟ ونجيب على هذا السؤال : أجل كان يريد اقامته في مدينة القدس !

وهل يمكن لأي سياسي في العالم ، ان يحلل الامور « بجدية » على هذه الشاكلة ؟

ــ أجل ، انه السادات .

وكتب السادات عن الكتب التي كان يفضلها في طفولته وفي السجن وحتى آخر يوم في حياته حيث قال : انها القرآن ، وسيرة أتاتورك ، والمجلة الامريكية « ريديرس ــ داي جست » .

لقد ذهب السادات بعيدا في البحث عن ذاته .

نحن نعرف نهاية السادات ... وكتابه يساعدنا على الالمام بطبيعته والتي يتحكم بها مركز دماغه ، والذي عند السادات « كالساعة » . وعندما تقرأ أكثر عن مغامرات ووجهات نظر السادات الغريبة ، تشعر وكأنك قد التقيت بمثل هذا الشخص .

وتتذكر فجأة : «أجل ، انه الكاريكاتير السويدي » بفارق واحد هو أن شخصية السادات ضارة وتافهة .

لقد كان السادات مهووسا بفكرة عظمته التي كانت تشغله على الدوام . وكانت شخصيته غادرة ومنافقة وماكرة ، وكان السادات يكذب كثيرا . ان هذه الصفات الحقيرة لذلك الانسان ، الذي يعطي منظره الخارجي أهمية أكثر من اللزوم . لقد كان السادات يظهر دوما بالبزات الانكليزية ، وكان يريد أن يقنع الجميع بأنه يرغب في ارتداء « الجلابية » من القماش الخشن مثل عامة المصريين في ترية ميت الكوم في دلتا النيل حيث تمت ولادته هناك .

لقد انتهى عصر السادات المشين الذي تسلم الســلطة بعد ابن مصر العظيم جمال عبد الناصر •

وسجل التاريخ تلك النهاية كانذار لكل من تسول له نفسه ابعاد العرب عن طريق النضال ضد آعدائهم ، أو لكل من تســول له نفسه الانتقاص من سيادتهم واهانتهم • أو لكل من يقف ضد مصالحهم • ان كل من يقف على طريق الخيانة والتآمــر مع الامبريالية الامريكيــة والصهيونية العــالمية ، سيلقى بلا شك نفس مصير السادات •

الحرب ــ هي صنعتهم

عندما نشرت صحيفة «كمسومولسكايا برافدا» * السوفييتية مقالات عن خطة « الحرب الوقائية » الاسرائيلية ، قامت الدعاية الصهيونية باستقبال ذلك الخبر بكل سخط وغضب •

وطرحت الاذاعة الاسرائيلية المسماة « صوت اسرائيل » السؤال التالي : لو نشرت عام ١٩٥٧ صحيفة ما في البرازيل أو التشيلي نبأ مثيرا عن « حرب وقائية استرالية » تهدف الى تغيير الحدود الاوربية الموجودة حاليا ، هل كنتم ستصدقون هذه الخطة ؟ •

لم يكن عند « صوت اسرائيل » امكانية أخرى لدحض الوقائع التي جاءت في صحيفة « كومسومولسكيا برافدا! » السوفييتية • واذا لم يكن بد لصوت اسرائيل من المقارنة فلا يوجد أي مبرر لأخذ استراليا المحايدة كمثال في مثل هذه الاحوال •

وقامت الصحيفة المذكورة بتذكير « صوت اسرائيل » في المقالة التي نشرتها تحت عنوان « النباح ضد الحجج والبراهين المقنعة » ** انه « ليس من الصعب أ ننجد في الماضي القريب دولة ذات خبرة عدوانية بهذا المقدار ، أكثر من الطبيعة العدوانية للآلة السياسية الحكومية في اسرائيل •

والآن وبعد مرور خمسة عشر عاما على نشر تلك المقالة ، أثبتت التجربة

---

* آ . آغريشيف ، الحرب ــ مهنتنا ، « كمسومولسكايا برافدا » السوفييتية ، عام ١٩٦٧ ، ٣١ آب .

** كومسومولسكيا برافدا ، ١٩٦٧ ، ٢٧ تشرين الثاني .

التاريخية في منطقة الشرق الاوسط وقاحة الخطط التي تحيكها تل أبيب هناك والتي تسعى حكومتها الى تنفيذها في الواقع • وهكذا يتبين لنا كذب وزيف الدعاية الاسرائيلية التي تضع أية جهة تتجرأ على قول الحقيقة ولو بكلمة واحدة عن حقيقة الافكار الصهيونية القذرة « في القائمة السوداء » •

ان التاريخ الاسرائيلي منذ عدوان حزيران عام ١٩٦٧ ضد العرب وحتى الآن مليء بالجرائم الدموية مثل تاريخ الصهيونية ذاتها ومنذ اللحظة الاولى لنشوئها •

ان هذا التاريخ لا يثبت فقط ان اسرائيل قد اعتمدت سياسة العدوان كأساس لتحركها ، بل اضافت الى البرنامج العدواني ذلك مجموعة من الجرائم الجديدة •

ان فكرة وضع الخطة الاسرائيلية عن « الحرب الوقائية » لاقت أصداء واسعة في البرامج السياسية والعسكرية الاسرائيلية وفي تصريحات الشخصيات الاسرائيلية الرسمية ، وعلى صفحات الجرائد المطبوعة ، وكان الاعتداء على لبنان هو الدفعة القوية التي أنعشت تلك المخططات • وجاءت الدعوات من اسرائيل الى تقسيم لبنان وفقا لخطة « الحرب الوقائية » ••

وفي هذا الصدد كتبت مجلة «آسيا وأفريقيا» في مقال لها تحت عنوان :

« المخططات الاسرائيلية السرية » * جاء فيه : « تنوي اسرائيل تقسيم لبنان الى خمس مقاطعات ، وتقسيم مصر ، وحرمانها من سلطتها المركزية، وتقسيم سورية والعراق الى عدد من الدويلات على أساس المعتقدات الدينية أو السلالية ، وتقسيم شبه الجزيرة العربية ، وبكلمة واحدة تجزئة العالم العربي على هذه الطريقة ، للعمل بالتالي على تنفيذ المخططات الصهيونية العالمية ، والذين يؤمنون بأن حدود مصالحهم تمتد لتشمل المنطقة التي تقع

---

* « Afrique - Asie » , Paris ,

رقم ٤٣ (١١٦٤) من ١١ — ٢٥ تشرين الثاني عام ١٩٨٢ •

بين أربع الزوايا التالية : باكستان، كينيا، الغابون ، وحتى المغرب العربي • وتدخل في اطار هذا الشكل الهندسي كل دول آسيا وأفريقيا » •

وأشار العديد من أعضـــاء البرلمان الكويتي الى المخططات الخيانيـــة لتقسيم الحكومات العربية وبالتآمر مع الرجعية العربيـــة • وأعلنوا كذلك بأن العديد من الحكومات العربية دخـــلت في التآمر السري مع الولايـــات المتحدة الامريكية واسرائيل من أجل « اقامة مفاهيم سياسية محـــددة على عظام الفلسطينيين في لبنان » • وقال رئيس لجنة البرلمان الكويتي للشؤون الخارجية : « ان هذه الخطة تثير الرعب ، ذلك لأن الادوار الموكلة لكل طرف قد تم تحديدها ، ولأنه سيتم بناء تشكيلات حكومية على جثث وعظام اخوتنا الفلسطينيين في لبنان » •

واعترفت الصحافةالامريكية بأن عدم وجود رد ملموس من الحكومات العربية على العدوان الاسرائيلي ضد لبنـــان كان نتيجة لخروج أكبر دولة عربية من خندق الدول المقاتلة ضدالعدوان الاسرائيلي المستمر على العرب•

ولدى جميع العربقناعات راسخة بأن مصر ستخرج في يوم من الايام من الحلف الامريكي الاسرائيلي ، وسترجع لتحتل مرة ثانية مكان الصدارة في صفوف حركات التحرر الوطنية العربية •

وفي الوقت نفسه فان دخول مصر في مؤامرة كامب ديفيد قد اضعف الموقف العربي بشكل ملموس •

وكتب بهـــذا الخصوص ت • فريدمان مراســـل صحيفة « نيويورك تايمز » في الشرق الأوسط : « ان صمت القيادات العربية ••• يتحدث عن التغيرات السياسية التي حصلت بعد توقيع الســـادات في أيلول عام ١٩٧٨ على اتفاقيات كامب ديفيد ، والتي أدت الى اخراج مصر من صفوف أعداء اسرائيل مع استمرار الحرب العراقية الايرانية التي أضعفت العرب كثيرا من الناحية العسكرية ، وشتتت قواهم السياسية ، وأضحوا غير قادرين على الدخول بكلمة موحدة الى المؤتمرات والاجتماعات الدولية •••

وبعد التوقيع على معاهدة « السلام » المصرية الاسرائيلية في شـــهر آذار عام ١٩٧٩ ، لم يستطيع العـــرب الاعتماد على مصر ، وانهـــا الدولة المستعدة للقتال بدلا عنهم » * •

وأخذت قيادة الجيش الاسرائيلي في ظل تلك الظروف بوضـــع خطط سنوية جديدة لها • وتألفت تلك الخطط من قسمين •

القسم الاول من تلك الخـــطط يتضمن ضرورة تنفيـــذها خـــلال سنة وحسب ترتيبها الضروري • وتتعهـــد الحكومـــة الاسرائيلية بتقـــديم كل الامكانات الضرورية لتنفيذ تلك المخططات •

والجزء الثاني من تلك الخطة ينفـــذ في حالة رؤيـــة اسرائيل الظروف مواتية للقيام بهجوم مفاجيء على دولة عربية أو أكثـــر ، ذلك لأن الحرب المفاجئة تجلب لاسرائيل عادة المكاسب السياسية والعسكرية والاقتصادية الكبـــيرة •

ان طبيعة تلك المخططات توافق كليا طبيعة الحكومة الاسرائيلية ذاتها وكونها لا تستطيع الاستمرار في الوجود بدون شن الاعتداءات على جيرانها العرب •

ان الطبيعة العدوانية لحكومة اسرائيل توافق الاهداف التي وضعتها لها الصهيونية العالمية وظهيرتها الامبريالية •

وتمت معرفة تفاصيل احدى الخطط الاسرائيلية عام ١٩٨١ وفي شهر كانون الاول : لقد أفصـــح وزير الدفـــاع الاسرائيلي عن تلك الخطة في محاضرة ألقاها في معهد الدراسات الاستراتيجي بتل أبيب أمام الشخصيات السياسية والعسكرية القيادية •

وكان موضوع تلك المحاضرة ــ أمن اسرائيل •

وثمة جملة واحدة قالها جلاد بيروت المستقبلي عكســـت كـــل المصـــالح

---

* « New York Times » 21 June 1982 p.j

الاسرائيلية الاستراتيجية : « ان مصالحنا لا تنحصر في الدول العربية ؛ بل تتعداها لتشمل منطقتي الشرق الاوسط والادنى ، ومنطقة حوض البحر البيض المتوسط والبحر الاحمر ، ولحماية أمن اسرائيل علينا في الثمانينات الوصول الى تركيا وايران وباكستان ومنطقة الخليج وأفريقيا وخاصة أفريقيا الشمالية والوسطى » •

ومن الخطأ الفادح ان يعتقد المرء ان التصريحات العلنية الاسرائيلية هي كل ما يعتقده الاسرائيليون ضروريا لأمنهم • ان ما قاله شارون ليس سوى مجموعة الاهداف والمخططات التي تمت مناقشة تفصيلاتها ، ووضعها في أولويات التنفيذ ، ذلك لأن الاحلام والافكار الاستراتيجية الصهيونية في التوسع ، تذهب الى أبعد من ذلك بكثير •

وقد ثبتوا أحلامهم تلك في مخططاتهم المكتوبة على الورق والتي لم يتم الاعلان أو الافصاح عنها • وأن ما نعرفه عنها ليس سوى الجزء الظاهر من الجبل الجليدي العائم •

ونشرت صحيفة « جورنال أوف جودايزما آند زايونيزم » مقالا موقعا باسم أوديدا انونا وهو أحد الشخصيات التي ساهمت في وضع تلك المخططات عام ١٩٨٠ حيث قال : « ان خطط عام ١٩٨٠ متطورة أكثر من التصريح الذي أدلى به شارون في معهد الدراسات الاستراتيجي ، لأن خططنا أوسع من ذلك بكثير وتم وضعها لتفادي « الخطر » الذي يهدد اسرائيل من جميع الجهات •

ولا تخفي اسرائيل رغبتها في أن تصبح امبراطورية عظمى ، وتقسيم الوطن العربي ييسر لها السيطرة على خيراته الطبيعية واستغلاله كسوق تجارية وكمصدر لليد العاملة •

ان تلك المجلة قد عكست بمقالاتها تلك أيدولوجية المنظمات الصهيونية العالمية • وتابع انونا يقول : ان أهم النظريات المسلم بها ؛ هي ان الانسان هو الاهم في هذه الدنيا ، ويجب أن نسخر كل ما حوله لتلبية متطلباته

المادية ــ ولم تعد هذه الفرضية ذات قيمة في هذا العالم الذي ينقص فيــه ارتفاع المواد الطبيعية عن الزيادة الكبير في التكاثر السكاني » .

ثم أردف يقول : نحن نملك القدرة على التفريق بين معــايير الاشياء البسيطة ومعرفة أي منهما أتى من الله ، وأي شيء أتى به الشيطان » .

ان الاعترافات الصهيونية المرعبــة لا تبقي حجرا على حجــر . وان التشدقات المنمقة بخصوص الرسالة الروحية لدولة اسرائيل ، ليست سوى غطاء لتلك المخططات الاجرامية .

وخلصت مجلــة « آسيا وأفريقيا » مما ســبق الى تلك النتيجــة . وبالفعل فان مثل هذا التصريح يذكرنا بالمخططات الايديولوجية الصهيونية القديمة والتي كانت تخفي طبيعتها الاستعمارية والمعادية للانسانية .

وتختلف الصهيونية في وقتنا الراهن عن سابقتها بأنها تلغي منطقيــة مبادئها .

ويشترك الصهاينة القدماء والجدد في شــعورهم « بالتفــوق » على العناصر البشرية الاخرى .

ان مبدأ « التفوق » الذي تكمن فيه « الرغبة بالسيطرة » والتي لاتأخذ بعين الاعتبــار الكوارث التي يمكــن أن تحصــل للضعفــاء والمعدمين ، بل تفهم ضرورة الصعود على أضرحــة الاخرين للوصــول الى الدرجــة التي يسعون اليها . ويحاول الصهاينة ايجاد نقطة انطــلاق ليسيروا منها بعيدا في حساباتهم وخططهم .

ان مثلهم تختلف عن مثل سابقتهم كونها مغروسة في الغيتو اليهودي .

وكتب الصهيوني أحمد غنام : اذا كنا نعترف بأن هدف الوجود هو اظهار التفوق ، فان القسم الاعظم من هذا الهدف يتجلى في التفوق على البشر ، يجب أن يوجد شعب ما، بحيث تفوق قدراته جميع قدرات الشعوب الاخرى في التطور والاخلاق والعلم ، ويجب أن يكون هذا الشعب مستودع

الحياة المؤسس على اكتاف عاليـــة أكثر من باقي الشـــعوب . وبهذا الشكل سيستطيع ذلك الشعب أن يكون التربة الخصبة التي يستوعب فيها التطور والنمو نوعية جديدة من البشر .

لقد وصلنا في نهاية المطاف الى المغزى الخلفي لاعلان الصهيوني أينون هول التصورات الانسانية غير الواقعية عن البشر في وقتنا الراهن . ويظهر ان الصهيوني أنونا لم يتفوه بشيء جـــديد ، انه يكرر فقط ما قاله أسلافه القدامى بهذا الخصوص .

لقد رسم المخططون الايدولوجيـــون الصهاينة في القـــرنين التاسع عشر والعشرين خارطة مروعة للعالم . ان أفكارهم الشيطانية التي يرفعونها ويناضلون من أجلهـــا هي أفكار فاشية مجرمة . ان شعار « شعب اللـــه المختار » يعني فوقيتهم على جميع البشر في هذه الارض .

ويعني أيضا ضرورة قتل اطفال آسيا وأفريقيا ليعيش اليهود مكانهم .

واليوم توجد حالة مختلفة تماما . ان التجربة والتطبيق العملي غد أثبت بأن و . اينون وأمثاله لا يكررون ويطورون فقط الافكار التي سبق وقالها آ . غامون وم . نرداو و « المنظرين » الآخرين للصـــهيونية ، بل وانهم يسعون الى تطبيق هذه الافكار في الواقع .

ولم تعد اليوم تحليلات آ . غامون وم . نورداو كافية لتبرير الاعمـــال التي تقترفها الآلة العسكرية وبمساعدة كاملة من الولايات المتحدة الامريكية في منطقة الشرق الاوسط .

وتعتبر من أجل هذا البرهنة في روح « الحرب الباردة » ضرورية . في هذه الايام .

تحاول الصهيونية عن طريق الحروب الوصول الى النفط العربي والى خيرات العالم الثالث بأسره . ذلك لأن الاتحاد السوفييتي ، وحسب زعمهم يسعى الى السيطرة على منطقة الخليج ومنطقة جنوب أفريقيا حيث توجد

المواد الاولية الهامة • ولهذا السبب يشكل العالم العربي بالنسبة لنا مشكلة كبيرة في الثمانينات من هذا القرن ، ويشكل الاتحاد السوفييتي نفس الخطر لأنه يقدم لهم المساعدات العسكرية الهائلة * •

ان أفكار هذا الصهيوني معادية للاتحاد السوفييتي ومعادية للعرب ومرتبطة مع الامبريالية الامريكية التي تتقدم للصهاينة كل الدعم والتأييد اللازمين لتنفيذ مخططاتهم الاجرامية في هذا العالم •

ويمكننا أن نرى في هذه التصريحات ما يخص العالم العربي ، حيث ان الدعاية الاسرائيلية لا تتسورع عن فعل أي شيء في سبيل تحقيق « أمن اسرائيل » • ويطرح الصهيوني « اينون » أن : « العالم العربي هو خليط من الاقليات السلالية المتنازعة والتي تعيش في داخل المحن والمصائب ، ولن تستطيع تلك المجموعات حل مشاكلها الرئيسية . ولن تستطيع بالتالي آن تشكل أي خطر على دولة اسرائيل » •

وجاء في خطة آينون بآن الاردن هو بلد الفلسطينيين ، مع وجود أقلية بدوية هناك •

وسيمثل الجيش في الاردن السلطة البيروقراطية للفلسطينيين . وستصبح عمان فلسطينية مثلها مثل مدينة نابلس في الضفة الغربية المحتلة لنهر الاردن والتي تسميها اسرائيل مدينة يهودية • ويعتبر هذا اعتراف صريح بطموحاتهم المجنونة •

وتعتبر الاردن — حسب خطة الصهيوني أينون — ضمن الحكومة الفلسطينية التي ستتوصل اليها اسرائيل بقوة السلاح وبمساعدة الولايات المتحدة الامريكية ، وكان على الشخصيات المصرية المسؤولة عن توقيع اتفاقيات « كامب ديفيد » التآمرية الاطلاع على مخططات الصهيوني أوديد أينون التي تخص مصر • لقد كتب الصهيوني المذكور

* صحيفة « زارو بيجوم » السوفييتية ، عام ١٩٨٢ ، رقم ٤٣ ، عدد ١١٦٤ .

بخصوص مصر اصطلاح « السياسة السلمية » بين قوسين .

وعبر هذا الصهيوني عن أسفه برجوع شبه جزيرة سيناء بنفطها وخيراتها الى السيادة المصرية .

وقال بهذا الصدد : « انها خسارة كبيرة ألحقت أفدح الاضرار بالاقتصاد الاسرائيلي » ..

وتابع أينون يقول :

« ان حكومتنا تدفع ربع اجمالي الانتاج القومي ، وثلث الاحتياط القومي من أجل شراء النفط » . وعلينا تلافي هذه النفقات « بضرورة اعادة احتلال سيناء للتمكن من استغلال خيراتها » .

وتابع يقول :

« ان المساعدات الامريكية لمصر مرتبطة باستمرار حالة السلام في المنطقة ، وستقوم الولايات المتحدة الامريكية بقطع تلك المساعدات في حالة نشوب حرب بين مصر واسرائيل » .

ويؤكد الصهيوني اينونا انه أمام اسرائيل طريقين لاسترجاع سيناء :

— الطريق الاول وهو أقل واقعية من الثاني ويتلخص بما يلي :

ليس من السهل أن تخرق اسرائيل معاهدة «السلام» مع مصر دون أن تدفعها الى ذلك الاسباب الاقتصادية أو السياسية المقنعة . أي بدون أن تتصرف مصر تصرفا يدفع اسرائيل الى السيطرة على سيناء وللمرة الرابعة عبر التاريخ .

ولهذا السبب يفضل أينون الطريق الثاني والذي يقول :

ان الاوضاع الاقتصادية داخل مصر . وطبيعة النظام الحاكم هناك . وسياسته المعادية للعرب ، ستفرز وضعا يسمح لاسرائيل بالتدخل في الشؤون المصرية الداخلية * » .

---

* صحيفة « زارو بيجوم » السوفييتية ، ١٩٨٢ ، رقم ٤٣ ، عدد ١١٦٤

« ان مصر بخلافاتها الداخلية الكبيرة لا تشكل بالنسبة لنا مشكلة استراتيجية . وسنستطيع خلال ٢٤ ساعة فقط أن نرجع مصر الى الوضع الذي كانت تعيشه بعد حرب حزيران عام ١٩٦٧ » •

وأضاف الصهيوني أينون يقول :

« ان الحكومة المصرية المركزية أصبحت كالجثة الهامدة بعد الاشتباكات العنيفة بين المسلمين والمسيحيين في مصر » •

ويجب علينا تقسيم مصر الى مقاطعات جغرافية متعددة حتى التسعينات من هذا القرن •

واذا ما نجحنا في تقسيم مصر ، وحرمانها من سلطتها المركزية ، فسيسهل علينا فعل الشيء نفسه في الدول العربية الاخرى مثل ليبيا والسودان •

ويؤكد أينون أن اسرائيل ستنجح في اقامة حكومة قبطية في مصر العليا ، وحكومات صغيرة أخرى في المناطق المصرية المختلفة •

ان حالة السلام التي تسود مصر تمنعنا من تنفيذ هذه الخطط، وعلينا أن نقوم بشن حرب على مصر للتعجيل باقامة تلك الدويلات •

أما ما يخص الجبهة الشرقية ، فان أينون يعتقد أن الغزو الاسرائيلي للبنان سيمكن الاسرائيليين من تقسيم هذا البلد الى خمس مقاطعات صغيرة •

وعلى اسرائيل حسب خطة الصهيوني أينون تقسيم كل من سوريا والعراق الى مقاطعات ودويلات عديدة على أسس سلالية ودينية • ويتابع أينون قوله :

علينا في المرحلة الاولى من تنفيذ هذه الخطة ـ تحطيم تلك الدول عسكريا عن طريق الحروب » •

وعلى اسرائيل أن تبدأ بسوريا • وتبدو سوريا كما يتصورها

الصهيونوي أينون على النحو التالي : «دولة شيعية على امتداد البحر الابيض الابيض المتوسط ، دولة سنية في حلب وأخرى في دمشـــق . ودولة درزية على أرضنا (هضبة الجولان ؟!) وتمتد هذه الدولة لتشمل أراضي حوران والجزء الشمالي من الاردن .

« ويسهل علينا الآن تنفيذ مثل هذه الخطة » . وتقع العراق أيضا في صميم « المخطط الصهيوني » حيث تقول خطة آينون بخصوص العراق .

« ان تدمير العراق بالنسبة لنا ، أهم من تدمـــير ســـوريا ؛ ذلك لأن العراق سيشكل في القريب العاجل خطرا حقيقيا على دولة اسرائيل ، وعلينا تقع مسؤولية اشعال نار الفتنة بين سوريا والعـــراق لتدمرا بعضهما بعضا قبل أن يتحدا ضدنا . ان أي نـــزاع عربي عربي سيحمل لنا الكثـــير من الفوائد ، ذلك لأن مثل تلك الخلافات ستؤدي الى ســـقوط تلك الدول من حساباتنا العسكرية .

والحرب العراقية الايرانية هي خدمة جليلة لمخططاتنا . ونحن نخطط أيضا لتحطيم المملكة العربية السعودية بالطريقة نفسها التي سنتعامل بها مع العراق وسوريا .

ولن تكون « الاردن في المستقبل القريب خـــطرا على اسرائيل — أي عندما يسقط هناك نظام الملك حسين ، وتتسلم الغالبية الفلسطينية السلطة في الاردن ... وسنحل بهذه الطريقة مشـــكلة الضفة الغربيـــة التي تغص بالسكان العرب » .

ان عملية تهجير المواطنين العرب من أراضيهم في الاحوال السلمية أو عن طريق الحروب سيجمد وضعهم الاقتصادي والديمغرافي . ويجب علينا أن نفعل أي شيء من أجل تسريع عملية التهجير المذكورة » .

وتعكس هذه الكلمات النية الاسرائيلية بتصفية العرب تصفية جسدية وستعمل الصهيونية أي شيء لكي يمتد النفوذ اليهودي من البحر الى نهر

الاردن . وستعمل الصهيونية أيضا على زيادة الوجود اليهودي في المناطق الجبـــلية .

وسيتغير بذلك التوازن الديمغرافي والاستراتيجي والاقتصادي في تلك المنـــاطق .

وتسعى الصهيونيــــة الى بسط نفوذهــــا على المصادر المائية من بئر (السبع) حتى منطقة الجليل الاعلى، حيث لا يوجد هناك في الوقت الحاضر أي يهودي تقريبا .

ويقول الصهيوني أينون :

« نحن الآن نسيطر عمليا على تلك المناطق، ولا توجد أية قوة في العالم تستطيع اجبارنا على تركها . ونحن الآن في وضـــع يمكننا من القضاء على العرب في تلك المناطق وفي المستقبل القريب » .

محاضرة البرفيسور فايز الصائغ

لا أستطيع الا أن اتذكر في صدد هذا الموضوع الحادثة التي حصلت في أحد أيام آب الحارة مساء، عام ١٩٦٩ في بناء الاكاديمية العسكرية المصرية. وشهدت منطقة قناة السويس في تلك الايام مبارزات بالمدفعية بين الاسرائيليين المحتلين في سيناء في الضفة الشمالية للقناة والقوات المصرية المتمركزة في الضفة الجنوبية منها . وكان واضحا جدا تفوق المدفعية المصرية في تلك المبارزة . ولكن التفوق الجوي كان بأيدي الاسرائيليين . ودار في ذلك الوقت النقاش حول تلك الاشتباكات في الاوساط العسكرية والدبلوماسية والصحفية .

وكان المصريون يرددون في تلك الايام سؤالا واحدا لا ثاني له وهو :

« متى سيستطيع العرب تصفية حساباتهم مع الهزيمة العسكرية التي لحقت بهم بعد عدوان حزيران عام ١٩٦٧ ؟ ومتى سيترك المحتلون الاسرائيليون الاراضي العربية التي قاموا باغتصابها ؟

وبعد جولة صحفية على خطوط الجبهة والتي تمت بدعوة من الرئيس جمال عبد الناصر شخصيا ، وكنت شاهدا على النجاحات التي حققتها المدفعية المصرية في مجال العمليات العسكرية (يتحدث هنا مؤلف الكتاب عن مذكراته — المترجم) ومن ثم تمت دعوتنا الى العشاء مع قادة الاكاديمية المصرية العسكرية ، والتي كان يترأسها آنذاك الجنرال حسان البدري . لقد جلست وزملائي مع صاحب الدعوة في مرات سابقة ؛ أي أن هذا اللقاء لم يكن الاول مع الجنرال حسان البدري . والجنرال المذكور هو خريج الاكاديمية العسكرية الارستقراطية البريطانية (سان خورست) وكان

حسان البدري بحق شخصية عسكرية فذة. ومستشار للرئيس المصري جمال عبد الناصر في مجال العلوم العسكرية ٠

ونشرت الصحف المصرية مقالات عديدة له ٠

الجنرال حسان البدري شخصية ممتعة، ومحدث منتبه ولبق . ونظراته تعكس أفقا واسع ، وطنية ، اصيلة ٠

وحضر الى تلك المائدة عدد من المدعوين ، وكان بينهم العالم والدبلوماسي المشهور فايز الصائغ ٠ وبعد وجبة العشاء اللذيذة ، تمت دعوة الحضور الى قاعة المناقشات لشرب القهوة ، واقترح الجنرال حسان البدري على الحضور سماع محاضرة الدكتور فايز الصائغ عن الصراع العربي ــ الاسرائيلي ٠

احتوت المحاضرة التي ألقاها فايز الصائغ على تحليل ممتع جدا للوضع العسكري في المنطقة ٠ وتضمنت تلك المحاضرة وقائع تم الحصول عليها من داخل الاراضي العربية المحتلة والتي تشير الى أن اسرائيل تحضر لمغامرة عسكرية جديدة في المنطقة ٠ وأعلن العالم الفلسطيني أن اسرائيل تنوي من وراء هذه الاعتداءات شق الصف العربي ٠ وبعد ذلك عجزت محاضرة الخبير الفلسطيني الكبير الممتعة والجنرال حسان البدري عن اعادة النشاط الى الحضور الذين بدا على وجوههم النعاس بعد وجبة العشاء الدسمة ، فبدا هؤلاء الحضور وكأنهم نيام في مقاعدهم المريحة ٠ وكان العديد منهم يعتقد أن التوازن الاستراتيجي مع اسرائيل أمر شبه مستحيل٠ وأظهر النقاش الذي دار بعد انتهاء المحاضرة أن العديد من الحضور لا يعرفون وقائع التاريخ العربي بشكل جيد ٠

أظهر البرفسور الصائغ ثقافته الرائعة عندما أجاب عن أحد الاسئلة التي تتعلق بالخطط الصهيونية الهادفة الى اقامة « اسرائيل الكبرى من الفرات الى النيل » ٠

عندها بالغ أحد الضباط الجالسين خلف الطاولة في الضحك ٠ فنهض

الجنرال حسان البدري من على مقعده وبدا متوترا ، وجديا . ومصفرا • وقال : « أيها السادة : أنا خجول لأني أجلس مع أشخاص بأيديهم سلطات واسعة ويتعاملون معقضيتهم باجرام واستخفاف، انكم لا تعرفون واجباتكم جيدا ، ويجب على كل واحد منكم أن يعي ما قاله البرفسور الصائغ ، لأنكم تعرفون عن كثب المخططات الاسرائيلية الاجرامية وتعرفون خطة « الحرب الوقائية » أرجو منكم المعذرة أيها السادة فان طبيعة أسئلتكم أظهرت آن مستوى معلوماتكم متدن جدا ••• » •

هذا الخطاب الحاد كلف الجنرال المصري غاليا • فبعد أيام عرفنــــا وسمعنا أنه تم استبداله بآخر لقيادة الاكاديمية العسكرية المصرية •

وألقى حسان البدري بعد حرب تشرين عام ١٩٧٣ خطابا في اجتمـــاع الجنرالات المصريين حول فكرة تحليل العمـــليات العسكرية . حيث أعلن أن فشل القوات المصرية في مرحلة من مراحل الحرب يرجـــع الى استخفاف القيادة العسكرية العليا وعدم حزمها وجديتها •

وباشر السادات حينها بايقاف حركة التحولات التقدمية والاجتماعية الاشتراكية التي بدأها جمال عبد الناصر • وتم بعـــد ذلك الخطـــاب طرد الجنرال حسان البدري من الجيش المصري نهائيا •

ورأيت بعد فترة صور السادات على صفحاتالجرائد المصرية حيث بدا لفيف من الضباط الذين تعرفت عليهم في حفلة العشاء بالاكاديمية المصرية يحيطون به من كل جانب وظهر التعب والهم على وجوههم •

وسألت نفسيآنذاك : هل يعرف هؤلاء الجنرالاتأية حفرة سيسوقهم اليها السادات بعد توقيعه على اتفاقيات كامب ديفيد الخيانيـــة ؟ وفي أية حفرة سيقع عالمهم العربي عامة ، ووطنهم مصر بشكل خاص ؟ ألا يعرف هؤلاء الضباط بأنهم مســـؤولون عن مصر ، وعن عـــذاب الشعب العربي الفلسطيني واللبناني ؟

•••••ألا يعرفون ؟ أم أنهم لا يريدون أن يعرفوا ؟

قبيل العـــدوان

استخدم الاسرائيليون هذه المرة طريقة الارض المحروقة مع المدينة التي بنوها بأنفسهم .

وذلك عندما عرض التلفزيون الاسرائيلي في برنامجه الاخباري صورا « للبلدوزرات » الاسرائيلية وهي تطيح بالبيوت السكنية وتحولها الى حصى ورمال وكتل بيتونية مبعثرة ، لقد اجتثت تلك الآليات القرية العربية من جذورها ، وتم بسرعة مدهشة بناء مدينة ياريف على أنقاضها ، ومدينة ياريف الاسرائيلية هي موضوع حديثنا ، وهي نفس المدينـة التي دمرهـا الاسرائيليون أثناء انسحابهم من شبه جزيرة سيناء .

ان كل من رأى البرنامج التلفزيوني الاسرائيلي لا بد وأنه سـأل نفسه السؤال التالي : « ما الفائدة التي تجنيها اسرائيل من تدمير بيـوت سكنية في الصحراء ؟ » . أليس من الافضل أن تتركهـا اسرائيل كمـا هي للحكومة المصرية وتأخذمقابل ذلك تكاليفها المادية كاملة ؟

وأجاب مراسل التلفزيون الاسرائيلي (رون بن ايتان) على هـذا السؤال بقوله : « انه من الاسهل على الجيش الاسرائيلي احتلال منـاطق صحراوية اذا ما وجب الرجوع مرة ثانية الى سيناء » .

ان اتفاقيات كامب ديفيد بخصوص سـيناء ، لم تردع اسـرائيل عن تهديداتها لمصر الذليلة بشن الحروب الجديدة ضدها .

ونستدل على ذلك ليس من كلام الصحفي الاسرائيلي ، فكلماته غير مسؤولة وليس لها أية قيمة تذكر . ولكننا نجد مثل هـذه التأكيـدات في

التصريحات التي يدلي بها عادة ممثلون عن السلطات الرسمية الاسرائيلية، لقد سبق وأدلى رئيس الوزراء السابق مناحيم بيغن ووزير دفاعه الجنرال شارون بتصاريح أعلنوا فيها : « عن أنه فيما اذا فكرت مصر بخرق اتفاقيات كامب ديفيد والتي تسمح لمصر بالسيطرة المحدودة على سيناء . فان اسرائيل ستسارع الى استرجاعها فورا » .

نرى أن اسرائيل لم تعدل عن تهديداتها للعرب . فقد قامت الطائرات الاسرائيلية المقاتلة باعتداءات وحشية على المخيمات الفلسطينية قبيل الانسحاب الاسرائيلي من سيناء . وتم خلال تلك العملية قتل العشرات وجرح المئات من الشيوخ والاطفال والنساء ... ولم تخف الصحافة الاسرائيلية الهدف من تلك الغارة حيث قالت : « انها كانت اختبارا لنوايا القاهرة تجاه الاتفاقيات المعقودة بينها وبين تل أبيب » .

لم تتحرك شعرة واحدة من رأس الزعماء المصريين ازاء التصرفات الاسرائيلية الوحشية ، وأخذت اسرائيل عندها وبشكل علني تحضر لعملية كبيرة في لبنان تهدف الى سحق كوادر المقاومة الفلسطينية . وأشارت الصحافة الاسرائيلية الى انها لاتريد من القاهرة موافقة صامتة بل تريد منها الدعم والتأييد لتلك العملية . ذلك لأن مصر وحسب دستور كامب ديفيد أصبحت حليفا كاملا للولايات المتحدة الامريكية في المنطقة ، ومصر ملزمة بأن تعمل مع اسرائيل أي شيء يسمح للنفوذ الامريكي في المنطقة بالتوسع . كما وتعتبر منظمة التحرير الفلسطينية في نظر الولايات المتحدة واسرائيل العائق الاهم في طريق تمتين النفوذ الامريكي في المنطقة .

واحتملت مصر « الامتحان » ، لم يتحرك ضمير من ذهب في طريق التآمر على العالم العربي تجاه القصف الوحشي لمخيمات الفلسطينيين في لبنان . أجل ، فان القيادة المصرية عاجزة عن عمل أي شيء . وكانت جميع الانظمة التي تبنت كامب ديفيد تقف نفس الموقف المصري المتخاذل . لقد ذهبوا بعيدا في طريق الخيانة . خيانة عالمهم العربي عن سابق وعي

وتصميم ، وكانوا يعرفون بشكل جيـــد عواقب تلك المسيرة التي بدؤوها ٠ لم تخف اسرائيل نواياها في أن انسحابها من سيناء سيواكبه تقوية نفوذها في الشمال ٠ هذا يعني أن اسرائيل تحضر لعملية عسكرية ضد لبنان بهدف سحق المقاومةالفلسطينية وطرد الفلسطينيين المدنيين من الاراضي اللبنانية ٠ ان من يخون مرة واحدة (أي عندما وقع على اتفاقيات كامب ديفيد) سيقبل بلا شك بالشروط الاستسلامية المستقبلية جميعها ٠

وحصلت القاهرة نتيجة لموقفها الاستسلامي على شـــكر وامتنـــان الولايات المتحدة الامريكية ٠ وبدأت اسرائيل التحضير لعدوانها الكبير ضد لبنان ٠ وأخذت بعين الاعتبار ضمان الجناح الجنوبي للجبهة ٠ فعلى الرغم من «معاهدات السلام» ، وتصرفات مصر في أثناء قصف المخيمات في لبنان تثق اسرائيل بالقاهرة ، وخاصة بالجيش المصري ٠

وقامت « القوات المتعددة الجنسيات » المتواجدة في سيناء ، والتي تشكل قوات « التدخل السريع » الامريكية عمودها الفقري بمهمة حمايـــة الجناح الجنوبي للجبهة الاسرائيلية ٠ وماطلت اسرائيل حتى اللحظة الاخيرة بسحب قواتها من سيناء ، وأصبح هذا الانسحاب فيما بعد لمصلحة اسرائيل البحتة ٠

ولم يصمت الجناح « اليميني » في اسرائيل لحظة واحـــدة تجـــــاه الانسحاب من سيناء ، حيث استمر تهديدهم باعادة احتلال سيناء اذا مـــا فكرت مصر بخرق اتفاقيات كامب ديفيد ، زد على ذلك ادعاءهم بأن انسحاب القوات الاسرائيلية من سيناء تم « بمحض ارادتهـــــا » ، وتم الانسحاب الاسرائيلي من سيناء بالفعل في ٢١ نيسان عام ١٩٨٢ أي قبل الموعد المحدد له في اتفاقيات كامب ديفيد بأربعة أيام ٠ وأرادوا خداع الناس بأن هـــذه الخطوة تعبير عن تغيير المعنى الثابت للعـــدوان والذي تم بشـــكل كامـــل لمصلحة اسرائيل وضد مصر خاصة والعالم العربي عامة ٠

وأخذ الوضع على الحدود اللبنانية يسخن بشكل سريع ، ففي نهاية

نيسان عام ١٩٨٢ تم تجميع حوالي ٤٠ ألف جندي اسرائيلي في منطقة الحدود الدولية مع لبنان ٠

وقام الطيران الاسرائيلي يوميا بخرق المجال الجوي اللبناني ٠ ووقع في أثناء احدى تلك الغارات اشتباك جوي بين الطائرات السورية والاسرائيلية فوق منطقة البقاع حيث تتواجد هناك قوات الردع العربية ٠ وقام الجيش الاسرائيلي بفتح النار على المواطنين العرب العزل في الاراضي العربية المحتلة ، وذلك بمناسبة الذكرى الرابعة والثلاثين لقيام اسرائيل ٠

لقد فتح الاسرائيليون النار على الابرياء العزل أثناء تظاهرهم ضد السياسة التعسفية الاسرائيلية هناك ، وتم جرح ثمان وعشرين شخصا من المتظاهرين وكانت معظم جراحهم بليغة ٠ وقتل العديد من الاشخاص ٠ وتم الاعلان في ذلك اليوم عن بناء احدى عشرة مستوطنة جديدة على الاراضي العربية المحتلة ٠

لم يكن هذا التطابق مصادفة ، ذلك لأن بيغن أراد من هذه الخطوة تحضير الرأي العام الاسرائيلي للحرب ٠

واقترح بيغن على الكنيست الاسرائيلي مشروعا يقضي بعدم ازالة المستوطنات الاسرائيلية على الاراضي العربية المحتلة في المستقبل ٠

وتلت كلمة بيغن ، كلمة أخرى لوزير حربه شارون والذي وافق على اقتراح بيغن وقال : « ان اسرائيل لا تستطيع أن تسمح لنفسها بالتراجع قط ، أو الانسحاب من أية أراض محتلة » ٠ وتابع شارون حديثه يقول : «لقد كانت سيناء ومدينة بارليف هما الخط الاحمر بالنسبة لتنازلاتنا، وعلينا اعادة تثبيت الاحتلال ، وذلك عن طريق اقامة المستوطنات اليهودية وتقويتها خاصة في منطقة مرتفعات الجولان ويهودا والسامرة وقطاع غزة » ٠

وصرح مناحيم بيغن فيما بعد لصحيفة « مايو » المصرية أن اسرائيل تطالب « بالسيادة الاسرائيلية » على يهودا والسامرة وقطاع غزة بعد انتهاء

السنوات الخمسة المخصصة لادارة « الحكم الذاتي » اذا استطعنا أصلا « الاتفاق » حول هذا الامر • واذا لم نتم مثل هذه الاتفاقية فان نظـــام الاحتلال الاسرائيلي المباشر سيبقي معلنا هناك ؛ وسيتم فيما بعد ضم تلك الاراضي الى دولـــة اســرائيل • وقال بيغن في خطابــه أمــام الكنيست الاسرائيلي : « سنقضي على نواة ما يسمى بمنظمة التحرير الفلسطينية . واذا ما تدخلت سوريا لصدنا ومنعنا عن تحقيق هذا الهدف ، فسنوجه لها ضربة قوية » •

لم تبن مثل تلك التصريحات على قواعد عفوية وتلقائية . بل تم اتخاذ تلك القرارات نتيجة للانسحاب الاسرائيلي من سيناء . ونتيجة للغليـــان الجماهيري داخل الاراضي العربية المحتلة • انها ببساطة خطط مدروســة بشكل جيد •

ان الخطط التكتيكيةتلك تم صنعها . والنظر في تفاصيلها ، ووضعها في أولويات التنفيذ . بهدف تحقيق المشروع الاســتراتيجي الكبير ألا وهــو مشروع « الحرب الوقائية » ضد العرب . أي قيام اسرائيل بتوجيه ضربات قاسمة الى الدول العربية بهدف اضعافها واركاعها •

ان مثل هذه الافكار الصهيونية الاستراتيجية تعطي اسرائيل امكانية احتلال المزيد من الاراضي العربية بهدف الوصول الى الشــعار الصهيوني المعلن وهو قيام « اسرائيل العظمى » •

الاستبداد تحت اسم الحكم الذاتي

عندما طالبت اسرائيل باجراء انتخابات المجالس المحلية في الضفة الغربية المحتلة لنهر الاردن وقطاع غزة ، اعتقدت بأن الادارة العربية المنتخبة في ظل الاحتلال ستكون دمية مطيعة بيدها .

ولكن السكان العرب الذين يرفضون أوامر المحتل الاسرائيلي ، أعطوا أصواتهم للشخصيات التي ترفض التعامل مع اسرائيل . وتأكد العالم بأسره ومن جديد أن منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب العربي الفلسطيني ليس بالكلام فقط وانما بالفعل . لقد تم تأكيد هذه المقولة في أوج الانتفاضة الشعبية المعادية لاسرائيل داخل الضفة الغربية وقطاع غزة ومرتفعات الجولان المحتلة والتي أيدها العرب داخل اسرائيل . وظهرت نتائج تلك الانتخابات لصالح المبادىء التي ترفعها منظمة التحرير الفلسطينية . ورأت اسرائيل عندها أن منظمة التحرير الفلسطينية هي العائق الاول أمام تنفيذ اتفاقيات كامب ديفيد وأمام تنفيذ « الحكم الذاتي » . وفهمت السلطات الاسرائيلية انها عاجزة عن اقناع رؤساء البلديات في المدن العربية بقبول مشروع « الحكم الذاتي » ، ولذلك لجأت اسرائيل لارهابهم وتخويفهم .

وتمت محاولات لاغتيال الشخصيات الفلسطينية أمثال بسام الشكعة ورئيس بلدية رام الله كريم خلف . وفي النتيجة فقد كريم خلف رجلا واحدة وفقد بسام الشكعة قدميه الاثنتين .

في أثناء موجة الغليان الشعبي في الضفة الغربية في ربيع عام ١٩٨٢ ،

أعلنت السلطات الاسرائيلية عن طردها لعدد من رؤساء البلديات في المدن العربية . واتهمت تلك الشخصيات بعدائها للسياسة الاسرائيلية في الاراضي المحتلة . وعندما أجبرت اسرائيل رئيس بلدية نابلس بسام الشكعة على تقديم استقالته تجرأ وقال : « يجب أن لا أستقيل مثل أي موظف حكومي عادي ، أنا منتخب من قبل الشعب » .

وكتبت صحيفة « الغارديان » البريطانية في هذا الصدد :

ـ « في تلك الايام أي بعد مرور خمسة عشر عاما من اليأس كان السكان الفلسطينيون في الضفة الغربية المحتلة لنهر الاردن مستعدين للتصدي لرصاصات الحملة التأديبية الموجهة لشخص بسام الشكعة » .

وتعرض بسام الشكعة من جديد للضغط الاسرائيلي ، وقام الجنود الاسرائيليون بركله من جديد بأحذيتهم الثقيلة .

لقد كانت الاحتجاجات الفلسطينية بمثابة الرد المناسب على الاستبداد الاسرائيلي .

لقد اصطدمت المظاهرات الشعبية والتجمعات والمسيرات التي حدثت في الجزء العربي من مدينة القدس ونابلس وفي عشرات المدن الفلسطينية الاخرى مع القوات الاسرائيلية بشكل عنيف جدا ، وأطلق المحتلون الاسرائيليون من بنادقهم الرشاشة على المدنيين العزل في تلك المناطق . وتم الاعلان عن حالة الطوارىء في جميع مناطق الضفة الغربية المحتلة وقطاع غزة .

لقد ظنت السلطات الاسرائيلية انها تستطيع عن طريق العنف والاستبداد والضغط قهر ارادة الفلسطينيين واجبارهم على الركوع والتعاون مع اسرائيل .

وأرادت اسرائيل تعيين الشخصيات العميلة لها في مجالس الادارة المحلية . ولم ترغب اسرائيل في انهاء حكمها العسكري في الضفة الغربية

المحتلة وقطاع غزة ، ذلك لأن نظام الادارة الوطنيـة البديل عن الحكـم العسـكري هو مجرد تكتيـك يغـير على أسـاسـه جنرالات اسرائيل وبروفيسوراتها بزاتهم العسكرية فقط ويحكمون من خلف الستار .

لم يسمح الوقت لاسرائيل بالتشاور حول هذا النظام الجديد في اطار اتفاقيات كامب ديفيد . ولم يكن المدخل التعسفي لاقامة « الادارة الذاتية» الهدف الاخير للمحتلين الاسرائيليين ، وأعلنت اسرائيل صراحة عن نيتهـا في ضم الاراضي العربية المحتلة ، وبالفعل فقد أقدمت اسرائيل على ضم الجزء الشرقي من مدينة القدس ومرتفعات الجولان السورية . لقد أرادت اسرائيل من سياسة الضغط التي تمارسها ضد العرب في الضفة الغربيـة المحتلة وقطاع غزة اضعاف علاقتهم بمنظمة التحرير الفلسطينية .

وقامت اسرائيل بتغيير معالم المنطقة الديموغرافية « السكانية » ، تمهيـدا لتهويدها ، وتم تخصيص مبلغ مليـار شيكل اسرائيلي لاقامـة المستوطنات العسكرية الجديدة على الاراضي العربية المحتلة ، وتم توطين حوالي مئة ألف مهاجر يهودي في المناطق المحاذية للقدس والخليل ، ووصل عدد تلك المستوطنات في تلك الاراضي الى مئة وست وعشرين مستوطنة ، ويسكنها حسب ما قاله وزير الدفاع الاسرائيلي شارون حوالي ثلاثين ألف يهودي مدججين بأحدث صنوف الاسلحة الامريكية .

وتسعى اسرائيل حسب المخطط الاسرائيلي المرسوم الى ايصال تلك المستعمرات حتى عام ١٩٩٢ الى مئة وسـت وتسـعين مستعمرة ، ويجب الانتهاء من بناء تلك المستوطنات حسب خططهم في غاية أقصاها عام ١٩٨٥ .

ومن الملحوظ أن مقاومة أهالي الضفة الغربية والقطاع للمخططـات الصهيونية الاستيطانية تزامنت مع « يوم الارض » . وتحتفل جمـاهير الشعب في المناطق العربية المحتلة سنويا بهذه الذكرى في الثلاثين من آذار، وذلك منذ عام ١٩٧٦ عندما قام أهالي الضفة والقطاع باعتصامات مسلحة ضد السياسـة الصهيونية المتطرفـة التي تمارسها السلطات الاسرائيلية

صدهم • وجاءت تلك المظاهرات ترد على سياسة ابتلاع الاراضي العربية التي اعتمدتها اسرائيل في الآونة الاخيرة • وشارك حتى اليهـود المعادون للصهيونية في حركة « يوم الارض » • ولعب الحزب الشيوعي الاسرائيلي دورا متميزا عام ١٩٧٦ فيإقامة وتنظيم مظاهرات « يوم الارض » •

واتسمت الانطلاقة الشعبية العربية في الاراضي العربية المحتلـة بالشمولية والاتساع • وأصبح الرأي العام العالمي مهتما بمشكلة السكان العرب في الاراضي العربية المحتلة ، والذين كانوا يعاملون كمواطنين مـن الدرجة الثانية • كمـا ويعاني هؤلاء السـكان من سياسة التمييز العرقي والعنصري وسياسة الضغط والارهاب التي تمارسها السلطات الحاكمـة في اسرائيل ضدهم بصورة دائمة • وأظهرت حركة « يوم الارض » للجميع بأن الفلسطينيين هناك يشعرون انهم جزء لا يتجـزأ من الشعب العربي الفلسطيني الواحد ، وأظهرت تلك الانتفاضة ان الشعب العربي الفلسطيني لن يستسلم للسياسة الصهيونية الجائرة وسيستمر في نضاله حتى تحقيق اهدافه الوطنية والقومية • وبالمقابل فان القوات العسـكرية الاسرائيلية قمعت جميع التظاهرات السلمية بمناسبة « يوم الارض » بكل قسوة وعنف ، وتم قتل ستة أشخاص في اليوم الاول فقط من الاشتباكات وجرح المئـات من السكان العرب ، وتم اعتقال حوالي مئتين وخمسين شخصا • واستمرت المظاهرات في اليوم الثاني ، وتصدى أهالي القرى العربية بالحجارة لقوات الشرطة التي فتحت بدورها النار عليهم •

لقد تفاقم الوضع داخل اسرائيل نتيجة لتلك التظاهرات ، الى درجة أن النظام الحاكم في اسرائيل اضطر الى طرح هذا الموضوع على الكنيست الاسرائيلي لمناقشته . وتهجم الاعضاء الشـيوعيون في الكنيست وهم ماير فيلنر ، توفيق طوبي من على منصة البرلمان الاسرائيلي على السياسـة الاسرائيلية المزرية تجاه السكان الاصليين لتلك الاراضي •

ويحتفل في الوقت الحاضر « بيوم الارض » تحت شعار النضـال

ضد الولايات المتحدة الامريكية التي تساند وتدعم السياسة الاسرائيلية التوسعية في المنطقة .

كما وتقع سياسة ابتلاع الاراضي العربية في صميم المخططات الامبريالية الامريكية التي تهدف الى احتلال اكبر مساحة ممكنة من الاراضي العربية لجعلها بالتالي رأس جسر لها في هذه المنطقة الحيوية من العالم .

ان ما تم في شبه جزيرة سيناء المصرية من سحب القوات الاسرائيلية المحتلة واستبدالها بالقوات الامريكية تحت راية ما يسمونه « بالقوات المتعددة الجنسيات » لهو خير دليل على صحة ما سبق وأشرنا اليه . لقد استفادت اسرائيل من انسحابها من سيناء . لأن ذلك الانسحاب مكن قواتها من التمركز في مناطق عربية أخرى وخاصة في الضفة الغربية المحتلة وقطاع غزة .

ان مثل هذه الاساليب التكتيكية يتمشى تماما مع الخطة الامريكية الاسرائيلية المشتركة حول التفاهم والتعاون الاستراتيجي فيما بينهما . وتم توقيع وثيقة التعاون الاستراتيجي بين اسرائيل والولايات المتحدة الامريكية في شهر تشرين الثاني عام ١٩٨١ . وجاءت الخطوة الاسرائيلية بضم هضبة الجولان العربية السورية المحتلة بتأييد وتحريض مباشرين من الولايات المتحدة الامريكية . وأخذ النضال الفلسطيني في الضفة والقطاع معاني خاصة . وأصبح هذا النضال جزءا هاما من النضال المتصاعد ضد المحاولات الامريكية لخلق قواعد لها في بلدان العالم النامية . وتعبر الولايات المتحدة الامريكية بذلك عن غطرستها وعجرفتها كدولة عظمى في هذا العالم .

وتأزمت من جديد الاوضاع في الضفة الغربية وقطاع غزة . وخاصة قبيل الانسحاب الاسرائيلي من سيناء . وردت اسرائيل على السخط والاحتجاج العربيين بمزيد من الفواجع الدموية وخاصة جريمتها في أحد أكبر الاماكن الدينية الاسلامية . ونذكر هنا حادثة اطلاق النار التي قام بها

آحد الجنود الاسرائيليين (من أصل آمريكي) على جموع المصلين في الجامع الاقصى •

وتم في ذلك الحادث الاجرامي الغاشم قتل خمسة أشـــخاص وجرح سبعين شخصا حسب ما أوردته وكالة الانباء الفلسطينية وفا •

وفضحت تلك الجريمة طبيعة السلطات الصهيونية الحاكمة في اسرائيل والمعادية حتى للتاريخ العربي •

وقالت وفا : لقد أطلق الاسرائيليون النار على السكان الفلسطينيين لكونهم عربا فقط • ان الولايات المتحدة الامريكية تتحمل المسؤولية المباشرة عن تلك الاحداث لأنها الظهير القوي الذي يساند اسرائيل في تنفيذ سياستها الارهابية ضد العرب •

وفهم سكان الاراضي العربية المحتلة وخاصة سكان الضفة والقطـاع بأن جميع المساعدات التي تقدمها الحكومات العربية لهم لن تستطيع الغاء مثل هذا القرار الخطير ، الذي باشرت اسرائيل بتنفيذه فعلا • وفهموا أيضا انهم المسؤولون المباشرون عن صد تلك المخططات والغائها • وأصبحت مصر حسب اتفاقيات كامب ديفيد ملزمة بالتعاون مع الحكومة الاسرائيلية لحل المسألة الفلسطينية على الطريقة الصهيونيـــة • علما بأن الصـــهيونية هي السبب المباشر لتلك المأساة منذ بدايتها ، كما استطاعت الصهيونيـــــة من تقويض التضامن العربي بعد التوقيع على اتفاقيات كامب ديفيـــد • وتلتزم مصر حسب اتفاقيات كامب ديفيد بالاستمرار في المباحثـــات مع اسرائيل حول ما يسمى « بالحكم الذاتي » للفلسطينيين في الضفة والقطاع ، وتم بالفعل اجراء الجولة الاولى من تلك المباحثات في أواخـــر عهد الســـادات • وانتهت تلك المفاوضات بالفشل الذريع ، ذلك لأن اسرائيل عجزت عن ايجاد ولو حفنة واحدة من الفلســـطينيين المستعدين لخيانة وطنهم ولكي تعتمـــد عليهم في تمرير خطة « الادارة الذاتية » •

وتأزمت الاوضاع بشـــكل خطـــير في الاراضي العربية المحتلـــة بعد

الانسحاب الاسرائيلي من سيناء ، حـيث كان من المقرر أن تبدأ بعدهـا المفاوضات لحل المسألة الفلسطينية. وقام سكان الضفة الغربية وقطاع غزة وعلى مدى أيام طويلة بمظاهرات واحتجاجات استنكارا لمشروع « الحـكم الذاتي » .

لقد طالب هؤلاء الفلسطينيون بحق تقرير المصير ، والاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي ووحيد للشعب العربي الفلسطيني .

وفهمت السلطات الاسرائيلية ان قوة منظمـة التحـرير الفلسطينية ترتكز أساسا على دعم ومساندة السكان العرب في الاراضي العربية المحتلة لها .

ورأوا في ذلك خطرا على خططهم الاستيطانية . وهـذا هو السـبب الرئيسي الدي دفع اسرائيل الى تنفيذ رغبتهـا القديمة بسـحق المقاومـة الفلسطينية عن طريق توجيه ضربة قوية الى لبنان .

لم تكن الرغبة وحدها تكفي لشن الاعتـداء على لبنـان الذي تربطه علاقات ممتازة مع العالم الرأسمالي .

وكان على اسرائيل ضمان الموافقة الامريكية المسبقة على تلك الخطة . وتعتبر الادارة الامريكية المنظمة لاتفاقيات كامب ديفيد وحاميتها . كمـا ويتوقف نجاح أية عملية عسكرية اسرائيلية في الشرق الاوسط على الاسلحة والدعم الذي تتلقاه تل ابيب من واشـنطن . ان دعـم الولايات المتحـدة لاتفاقيات كامب ديفيد يعني دعمها ودفاعها عن مصالحها في المنطقة العربية قبل كل شيء .

لقدكانت الولايات المتحدة الامريكية الرابح الاول من تلك الاتفاقيات. ذلك لأنها حصلت بعد التوقيع على تلك الاتفاقيات على امتيازات كبـيرة في شبه جزيرة سيناء وفي مضيق تيران وسنغير والبحـر الاحمر . وأدت تلك الاتفاقيات الى السماح لقوات «التدخل السريع» الامريكية بالانتشار فوق الاراضي المصرية .

ووقعت أمريكا مع اسرائيل ما يسمونه « بوثيقـــة التفاهــم والتعاون الاستراتيجي » ، وأدت هــذه الاتفاقيـــة الى وضع الاراضي الاسرائيلية والجيش الاسرائيلي تحت تصرف الادارة الامريكية مباشرة •

وأعلنت الولايات المتحدة بشكل رسمي أن تشكيل الحلف الاستراتيجي مع اسرائيل بالاضافة الى امتيازاتها على مداخل البحــر الاحمر وقواعدها العسكرية في المنطقة ستساعدها في ضرب الاتحــاد السوفييتي وحــركات التحــرر الوطنية في المنطقة • وأصبحت مصر بشــكل تلقائي بعد اتفاقيات كامب ديفيد وسيلة أمريكية للتدخل فيالشؤون الداخلية لدولالشرق الاوسط وآسيا وأفريقيا •

ان مسألة القضاء على الثورة الفللسطينية مهمة بالنسبة لأمريكا كما هي مهمة بالنسبة لاسرائيل تماما ؛ ذلك لأن منظمة التحرير الفلسطينية هي القوة الرئيسية في النضال ضد المخططات لامبريالية في المنطقــة • ولهذا السبب لم تعترف الولايات المتحدة الامريكية حتى الآن بمنظمــة التحرير الفلسطينية ، ولم تسمح لأعضائها بحضور أي مؤتمر دولي يخص الشرق الاوسط ، ولهذا السبب لم تجد اسرائيل أية صعوبة في الحصول على الضوء الامريكي الاخضر لبدء هجومها ضد لبنان ، ذلك لأن الاهداف الاسرائيلية والامريكية تجاه ذلكالهجوم كانت متطابقا تماما • وعندما شعرت اسرائيل بالدعمالامريكي غيرالمحدود لعدوانها، باشرت بتصعيد النزاع بشكل مرعب• لقد عرفت الولايات المتحدة بشكل جيد تفاصيل الخطة الاسرائيلية للهجوم على لبنان ، وتم نشر هذه المعلومات في التاسع من شهر شــباط عام ١٩٨٣ على صفحات جريدة « نيويورك تايمز » الامريكية •

وأعلن السفير الاسرائيلي الجديد لدى واشنطن موشي أرنــز عن أن التدخل الاسرائيلي في لبنان أصبح « مسألة وقت » فقط • ومن المعروف ان الادارة الامريكية لاتخطو أية خطوة لايقاف ولجم العدوان الاسرائيلي الذي أصبح قاب قوسين أو أدنى• وعلى العكس فقد أعطت أمريكا الضوء الاخضر لاسرائيل وبدأت الاخيرة تحركاتها العدوانية •

وتقتضي خطة الغزو الاسرائيلية احتلال مناطق الجنوب اللبناني بواسطة القوات الاسرائيلية البرية وبحماية من الطيران الاسرائيلي ، وعلى الاسرائيليين انهاء تلك العملية « بأسرع وقت ممكن » ، بهدف وضع الرأي العام العالمي تحت « الأمر الواقع » •

وتم توقيت بدء الغزو بحيث يكون في الفترة الواقعة قبل انتهاء الربيع (أي في أواسط شهر نيسان تقريبا) ، وقبيل انهاء الانسحاب الاسرائيلي من شبه جزيرة سيناء (أي في الخامس والعشرين من شهر نيسان) •

وكان على القوات الاسرائيلية وحسب الخطة الموضوعة لها اجتياز المنطقة التي تتمركز بها قوات الامم المتحدة المؤقتة، الا ان اسرائيل وضعت في الحسبان الاحتجاج الدولي الذي ستتعرض له بعد اجتياحها للمناطق التي تتمركز بها القوات الدولية ، ذلك لأن تلك القوات ستطلب وبالتأكيد النجدة من هيئة الامم المتحدة • وكانت اسرائيل متأكدة أن حليفتها الولايات المتحدة الامريكية والتي تتمتع بعضوية دائمة في مجلس المنظمة الدولية ستستخدم حق النقض « الفيتو » لاحباط أي قرار دولي يعادي اسرائيل ولا يتناسب مع مصالحها • وأكدت اسرائيل من جديد للمبعوث الامريكي والممثل الشخصي للرئيس رونالد ريغان في المنطقة فيليب حبيب ان واشنطن معنية بأي نصر تحققه اسرائيل في المنطقة العربية •

ورأت الخطة الاسرائيلية ضرورة احتلال الجنوب اللبناني « لفترة زمنية طويلة » مما سيجبر بالتالي حكومة لبنان على توقيع «معاهده سلام» معها على غرار المعاهدة المصرية ــ الاسرائيلية ، وكانت اسرائيل متأكدة انها تستطيع أن تفرض بنود مثل هذه الاتفاقية على الطرف اللبناني * •

وحذر ياسر عرفات رئيس اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية

---

* صحيفة « الازفيستيا » السوفييتية ، عام ١٩٨٢ ، ٢٦ آذار .

في الثلاثين من شهر آذار عام ١٩٨٢ من ان اسرائيل تنوي القيـام بعملية عسكرية كبيرة ضد لبنان •

كما ونشرت الصحف اللبنانيـة في تلك الايـام أنباء عن حشـودات اسرائيلية ضخمة على طوال الحدود الدولية مع لبنان ، والى تصاعد الاعمال التخريبية الاسرائيلية داخل بيروت والمدن اللبنانية الاخرى •

لقد لاقى الاعتداء الاسرائيلي ضد لبنان معارضة واسعة في الاوساط الاسرائيلية والعربية والدولية • لقد طالب سكان الاراضي العربية المحتلة بحق العودة وتقرير المصير واقامة الدولة الفلسطينية المستقلة •

ولم تخذل الولايات المتحدة الامريكية حليفتها اسرائيل عندمـا أتت ساعة بدء العدوان ، ذلك لأنـه سبق وأن درس شـارون تفاصيل الخطة الاسرائيلية مع الشخصيات الحكومية الامريكية أثناء زيارة شارون لواشنطن قبيل الاعتداء الاسرائيلي على لبنان •

وتم نتيجة لتلـك الزيارة موافقـة لجنـة الشـؤون الخـارجية في الكونغرس الامريكي على زيادة القروض لاسرائيل حتى تصل الى مبلـغ ثمانمائة مليون دولار أمريكي بهدف شراء اسرائيل للاسـلحة اللازمـة لها لتنفيذ عدوانها ، وتم اعطاء اسرائيل مبلغ مئة وخمسة وعشرين مليون دولار اضافية لدعم اقتصادها •

وتم بالفعل شحن الاسلحة الامريكية المتطـورة الى اسرائيل فورا . وأعطت لحكومة تل ابيب ٧٥ طائرة من طراز ف ــ ١٦ ، بلغت تكاليفهـا الاجمالية حوالي ٥ر٢ مليار دولار •

لبنان • وأقلقت اسرائيل كثيرا الخطوات التي يمكن أن يتخذها الاتحاد

دأبت اسرائيل طويلا على اختيار موعد مناسب لبدء العدوان ضد السوفييتي كرد على العدوان الاسرائيلي •

ونشرت وكالة الانباء السوفييتية تاس في السابع عشر من آذار عام ١٩٧٨ بيانا استنكرت فيه بشدة التدخل الاسرائيلي في شؤون لبنان وطالبت الوكالة الناطقة باسم الحكومة السوفييتية بالانسحاب الاسرائيلي الفوري والكامل من جميع الاراضي اللبنانية • ووصفت المجموعة البرلمانية السوفييتية التدخل الاسرائيلي في شؤون لبنان بأنه يشبه سياسة قطاع الطرق •

وأشار الاتحاد السوفييتي في مجلس الامن الدولي الى ان الامر لا ينحصر في الصراع العربي الاسرائيلي ، بل في الضربة التي تم التخطيط لها بهدف سحق حركات التحرر الوطنية في العالم العربي ، لكي تستطيع اسرائيل بالتالي تسوية الصراع على طريقتها •

وحاولت الولايات المتحدة الامريكية محاصرة النشاطات الدبلوماسية السوفييتية الهادفة الى استنكار العدوان الاسرائيلي •

وبعد ثلاثة أيام من المناقشات الساخنة تم اتخاذ قرار دولي دعا فيه العالم الى تشكيل قوة دولية لحفظ السلام في لبنان • وعلى الرغم من النداءات اللبنانية المتكررة والمساعي السوفييتية لم نجد في ذلك القرار اي استنكار للعدوان الاسرائيلي • ووافق الاتحاد السوفييتي على القرار

المذكور • وكانت اسرائيل شبه متأكدة بأن خطواتها ستلاقي المزيد من الاحتجاجات والاستنكارات الدولية •

ووصلت الطلائع الاولى لقوات حفظ السلام الدولية الى مناطق جنوب لبنان في شهر نيسان عام ١٩٧٨ ، حيث أخذت تلك القوات تنتشر هناك ، وسعت اسرائيل الى اعاقة عملية الانتشار ، ولم تستعجل اسرائيل في سحب قواتها •

واضطر مجلس الامن الدولي في حزيران الى العودة لمناقشة مسألة العدوان الاسرائيلي على لبنان • ودعا الاتحاد السوفييتي من جديد الى سحب القوات الاسرائيلية فورا من الاراضي اللبنانية وعلى أساس قرارات مجلس الامن الدولي • وتم اتخاذ قرار جديد يدعو الى الانسحاب الفوري والكامل للقوات الاسرائيلية من لبنان • وفهمت اسرائيل أن الموقف السوفييتي تجاه المسألة اللبنانية يلاقي التأييد المتصاعد • واضطرت اسرائيل نتيجة لضغط الرأي العام العالمي الى سحب قسم كبير من قواتها المتواجد على الاراضي للبنانية ، الا أنها عارضت نشر القوات الدولية في تلك المنطقة • وقامت اسرائيل بتسليح الرائد اللبناني الخائن سعد حداد • لقد كانت اسرائيل تبحث عن ضابط لبناني عميل منذ عام ١٩٧٨، أي في فترة بدء العدوان على لبنان • ووجدت اسرائيل ضالتها في شخص الرائد سعد حداد • وشكلت اسرائيل بذلك « جيبا » قامت بتسليحه وتدريبه والاتفاق معه على « الدفاع المشترك » • وأخذت اسرائيل منذ تلك اللحظة تتعاون مع سعد حداد في مجال العمليات العسكرية المتكررة ضد الاراضي اللبنانية ، اذ أشاعا الارهاب في كل مكان •

لم يستسلم لبنان الصغير للعدوان الاسرائيلي الذي مارس الارهاب ضد السكان ، وضد المبادىء ، وضد الحكومة والشعب ، وقتل قادة منظمة التحرير الفلسطينية من قبل وكالة المخابرات الاسرائيلية « الموساد » بالاضافة الى خرق اسرائيل لجميع المعايير الدولية ومبادىء هيئة الامم

المتحدة ، بالاضافة الى القصف البربري ضد مخيمات اللاجئين في لبنان ، وقتل الشيوخ والاطفال والنساء ، وأخيرا وليس آخرا تدمير المفاعل النووي العراقي قرب بغداد في شهر تموز • ان تلك التصرفات ليست سوى حلقة في سلسلة الارهاب الصهيوني الـذي يعكس الأيدولوجيـة الصهيونية التي تعتمدها السلطات الحاكمة في اسرائيل ، وتستند هذه السـلطات في تنفيذ هذه الخطط على الدعم العلني الامريكي •

ان الغارة الاسرائيلية على المركز العلمي النووي في العراق، ومن بعده القصف الوحشي على بيروت وعلى الجنوب اللبناني ، أظهرت أن العـدو أفرط في الجريمة ، وليس بقادر على لجم تخيلاته عن قوته التي لا تقهر ، وأعقب عمليات القرصنة الاسرائيلية استنكار دولي واسع ، وصار واضحا أن اسرائيل لا تستطيع الطيران بأجنحتها الوهمية التي تستند الى تفوقها العرقي •

ان الرعونة التي يتسم بها رئيس الوزراء الاسـرائيلي مناحيم بيغن تعكس الخطورة التي ستضطلع بها اسرائيل • ان المغامرات والمخاطر التي تقدم عليها اسرائيل تشير الى أن السياسة الصهيونية التي تنفذها السلطات الاسرائيلية تتجه في طريق السقوط لا محالة •

وصرح رئيس الادارةالامريكية ريغان بعد وصوله الىالسلطة ، وأكثر من مرة أن المساعدات العسكرية الامريكية لاسرائيل هي الاداة الرئيسية لسياسته • واذا كانت اسـرائيل هي أكثر الـدول التي تحصل علـى تلك المساعدات ، فهي لن تخرج على هذه القاعدة •

ان اسرائيل بقصفهـا للمفاعـل النووي العراقي كانت تنفـذ بذلك السياسة الامريكية • وترددت على صفحات الصحف العالميـة والعربيـة آنذاك الاسئلة التاليـة : ما هو اذا دور البلـدان الاخـرى التي تتلقى المساعدات الامريكية ؟ وهل يرتبط وجود الضباط المصريين في بلدان مختلفة لتدريب المرتزقة والعملاء هناك بالمساعدات الامريكية العسكرية للسادات ؟

وهل ترتبط المساعدات العسكرية للسودان بالزام الخرطوم بالتدخل الشؤون الداخلية لليبيا المستقلة ؟ • ان ما يدعو للانتباه ، والتوقف عنده هو التوقيت الاسرائيلي لضرب لبنان والذي تزامن مع اعلان الادارة الامريكية عن استئنافها لتوريد طائرات ف ـ ١٦ لاسرائيل ، والذي توقف جزئيا بعد الغارة الاسرائيلية على بغداد ، واضطرت امريكا فيما بعد الى « توقيف » توريد الاسلحة الى اسرائيل • ويدور الحديث حول وقف امدادات السلاح الى اسرائيل في حين تعاني مستودعات الاسلحة الاسرائيلية من التخمة •

لقد دافعت السلطات الاسرائيلية عن قصفها لبغداد بقولها ان بغداد تحضر لصناعة قنبلة ذرية ، وبررت قصفها للمناطق اللبنانية بأنها تحارب ضد الارهاب ، ان تلك التصريحات كانت تفتقد الى أي أساس أو تبرير منطقي •

لقد فند رئيس لجنة الطاقة النووية الدولية التابعة لهيئة الامم المتحدة بالوقائع والارقام الادعاءات الاسرائيلية الواهية •

وأثبت نائب رئيس اللجنة البرفيسور ي • غريوم بأن جميع الدراسات والاستطلاعات التي قامت بها لجان دولية خاصة أثبتت أن المفاعل النووي العراقي لم يستخدم الا للاغراض السلمية فقط • وصرح البروفيسور المذكور بأن المفاعل النووي الاسرائيلي هو وحده القادر على انتاج الاسلحة الذرية في منطقة الشرق الاوسط • ان اسرائيل لا تعمل وحدها في مجال الصناعات النووية بل وتتعاون مع الانظمة العنصرية وخاصة مع النظام القائم في جمهورية جنوب افريقيا لانتاج وتطوير الصناعة النووية • ولم تسمح اسرائيل للمراقبين الدوليين بزيارة أو الاطلاع على المفاعلات النووية الاسرائيلية • وتسربت الى الصحافة العالمية أنباء حول معرفة امريكا للتحضيرات الاسرائيلية للهجوم على المفاعل النووي العراقي • ففي الخامس عشر من تشرين الثاني عام ١٩٨٠ طلب الاسرائيليون من الخبراء الامريكيين تقدير الخطر الذي يمكن أن ينشأ عن تفجير شحنة نووية بوزن ألف كيلو غرام في « ملجأ من البيتون المسلح » • وقامت لجنة كهرباء

اسرائيلية خاصة بالتدريب في المعاهد النووية الأمريكية لمعرفة « كيف يمكن أن يتضرر المفاعل النووي في حال قصفه » • وعقد المهندسان الاسرائيليان جوزيف كافيتي وجوزيف سالتو فيتش في التاسع من شهر تشرين الثاني عام ١٩٨٠ لقاءات مع خبراء قسم الدراسات العلمية الامريكية للتدارس معهم حول موضوع «التفاعل الديناميكي لنظام المفاعل في حالة تعرضه لانفجارات في أماكن وجوده » •

وكانت تلك المناقشات تتمحور حول الاستخدامات الخدمية : وحول نظام الاصابة ، والامن ، ذلك لأن اصابة المفاعل النووي العراقي بأضرار قد يؤدي الى عواقب جدية • ودرس الجانبان المشاريع التي تعتبر مثالية في حالات التدمير والتخريب •

وكتبت جريدة « النداء » البيروتيـــة : « لقد عرفت كـــل من مصر والولايات المتحدة الامريكية بالغارة الاسرائيلية الجوية على المفاعل النووي العراقي ، كما وقدمت كلتا الدولتين مساعدات كبيرة لاسرائيل بهدف انجاح تلك العملية ، وتلقى قادة طائرات الاستطلاع الامريكية أواكس المتواجدة في المملكة العربية السعودية أمرا « بتحييد » مجموعتهم •

أما دور الحكومة المصرية فكان في اعطـــاء الاوامر للطـــيران المصري وقواعد المراقبة الجوية المصرية بالغاء المراقبة على أجواء الجزء المحتـــل من شبه جزيرة سيناء ، حيث توجد هناك القاعدة الجوية الاسرائيلية المسماة « ايتيسيون » ، حيث انطلقت ــ من هناك القاذفات الاسرائيلة التي هاجمت العراق •

ومنذ تلك اللحظة التي قصفت بها الطـــائرات الاسرائيليـــة المركـــز النووي العراقي والذي يبعد عن الحدود الاسرائيلية مئات الكيلومترات . أخذ الوضع في المنطقة يتأزم بشكل لم يسبق له مثيل • لأن تلك الغارة لـــم تكن عملية عسكرية عادية ، ان الغارة القرصنية الاســـرائيلية على العراق والتي لا تربطها باسرائيل حتى حدود جغرافية • فعلا ، انها عملية وقحة •

ويفتخر الآن سلاح الجو الاسرائيلي أمام العالم أجمع بتلك العملية ، وينحصر جوهر الغارة الاسرائيلية بأن « صقور الجو الاسرائيلي » قاموا وبنجاح بتنفيذ المخطط الامريكي • ان تلك العملية الجوية ليست سوى صفعة في وجه طموحات البلدان المتحررة في العلم والتكنولوجيا وضربة لمحاولات الشعوب العربية للتخلص والتحرر من براثن التخلف • وهكذا يبدو أن اسرائيل لم تكن وحيدة في تلك الغارة • فان كل خطوة اسرائيلية توسعية جديدة يسبقها زيارة الشخصيات الامريكية لتل أبيب أو زيارة الشخصيات الاسرائيلية لواشنطن •

ويكفي أن نتذكر زيارات السكرتير الحكومي الامريكي آ • خياغا والمبعوث الامريكي الخاص فيليب حبيب لتل أبيب • زد على ذلك أن فيليب حبيب كان في اسرائيل حين بدء الغارات الجوية الاسرائيلية على الجنوب اللبناني •

فاذا كانت اسرائيل تتصرف كعميل أمريكي في المنطقة ، فان واشنطن تسعى الى ابعاد العرب عن طريق التطور والرقي ؛ والزج بهم في غياهب الجهل والتخلف ، ذلك لأن الاعتداءات المشابهة لقصف المركز النووي العراقي في بغداد ، لم يكن بمستطاع اسرائيل فعلها لوحدها• انها مجرد جزء من مؤامرة أوسع •

كما ونشرت جريدة « الشرق » البيروتية تفاصيل أوسع حول المخططات العدوانية الاسرائيلية ، وبالاستناد الى المصادر الدبلوماسية الغربية ، أكدت الصحافة العربية بأن قصف المفاعل النووي العراقي قرب بغداد هو جزء من خطة أوسع وتشمل نية الجنرالات الاسرائيليين بتدمير جميع الاهداف الحيوية والاستراتيجية في الوطن العربي •

وقد حددت الصحافة العربية ستة مشاريع اقتصادية حيوية في العالم العربي والتي تنوي اسرائيل ضربها في القريب العاجل • وهذه المشاريع هي : مركز الابحاث النووي الليبي ؛ سد الفرات في سورية ، مجمع ازالة الملوحة

من الماء في الكويت ، مصنع الالمنيوم في البحرين ، مصنع التعدين في جدة ، وسد أسوان في مصر •

ان عملية تدمير بيروت والتي تعتبر المركز العلمي والمالي والحضاري الهام في الوطن العربي ، يدخل أيضا في نطاق هذا المشروع• وتابعت جريدة الشرق تقول : ان عملية تدمير كل هدف من هذه الاهداف على حده قد تمت دراسته وبرمجته بشكل محدد •

ويجب أن نتوقف عند أحد هذه المشاريع والتي تم وضعها في القوائم الاسرائيلية • انه سد أسوان في مصر •

ان الحديث عن الخطة الاسرائيلية العدوانية بخصوص هذا المشروع ليس بالامر الجديد • فبعد عـدوان حزيران عـام ١٩٦٧ كتبت الصحف الاسرائيلية آنذاك : انه اذا ما فكرت مصر باسـترجاع تلك الاراضي عن طريق القوة فان اسرائيل لن تتورع عن تدمير سد أسوان •

لقد قامت الطائرات الاسرائيلية باستطلاعات استكشافية عديدة في منطقة السد ، وتم انزال مجموعة من الجنود الاسـرائيليين هناك والتي استطاعت بالفعل اعطاب جزء من الاجهـزة في ذلك المشـروع • وحاولت اسرائيل أيام بناء سد أسوان وعندما كان الخبراء السوفييت يساعدون في بنائه ، تدمير السد ولكن المحاولة الاسرائيلية فشلت وذلك في عـام ١٩٧٠ عندما طلبت الحكومة المصرية من الاتحاد السوفييتي اعطاءهم الامكانيات اللازمة للدفاع عن المشاريع الحيوية للشعب المصري ، وتم بالفعل ارسال الخبراء السوفييت فورا الى منطقة السد • ان مجـرد وجـود المواطنين السوفييت في ذلك المكان سيمنع بالتأكيد اسـرائيل من تنفيـذ مخططاتها الاجرامية ، ولكن هذا العامل الاستراتيجي المصـري تم الغاؤة في زمـن السادات الذي قام بالغاء اتفاقية التعاون والصداقة بين مصر والاتحـاد السوفييتي ، وبدأ السير في طريق التآمر مع الامبرياليـة ضد مصـالح الشعب العربي المصري • وظهرت مصر بعد ذلك مقيدة ومكبلة باتفاقيات

كامب ديفيد وملتزمة مع الحلف المعادي للعرب ولمصـــالحهم • ورغم ذلك لا يجوز أن نلغي النية الاسرائيلية السيئة تجاه سد أسوان من الحساب • وتوجد لدى الشخصيات الاسرائيلية العديد من المخططات الغبية المماثلة ، لم يأت وقت التنفيذ بعد ، ولكنهم بدأوا بلبنان • وكما يقول المثل : فلكل نوع من الخضار موسمه • ولتنفيذ تلك المخططات تستند اسرائيل دوما علـى الدعم الامريكي ••• حتى ولو كانت تلك المخططات تأخذ شكلا تعسفيا بحق دول أوربا الغربية الصديقة •

ان كل هذه العوامل ترتكز على سياسة عدم العقاب الامريكي والذي لا توجد له سابقة في العلاقات الدولية والذي تستغله اسرائيل خير استغلال وتمارس من خلاله أسلوب قطاع الطرق في السياسة •

وجاء في تصريح لوكالة الانباء السوفييتية « تاس » الصـــادر في ٢٢ تموز : « ان المسؤولية عن العدوان الاسرائيلي وكل نتائجه تقع مناصفـــة على اسرائيل وعلى حليفتها الولايات المتحدة الامريكية » •



هزيمـــة «المنتصرين»

بدأ الاسرائيليون عدوانهم الجـديد في السـادس من حزيران : تعالت سحب الدخان فوق سفوح الجبال المنحدرة ، وهذا ما حصل بالضبط في حزيران عام ١٩٦٧ عندما انتصرت اسرائيل على العرب من خلال حربها الواسعة ضدهم .

وقد اختارت القيادة العسكرية الاسرائيلية لاستفزازاتها العسكرية الجديدة أنسب الاوقات من الناحية النفسية . ان توقيت تلك الحرب كـان مطابقا لتوقيت حرب الايام الستة عام ١٩٦٧ التي خاضتها اسرائيل ضـد العرب واحتلت بعدها المساحات الشاسعة من الأراضـي العربيـة . ان هذا التوقيت يذكر الاسرائيليين بالنصر ، ويدفعهم الى «المآثر» الجديدة. وبعد أن انتهى القتال كانت أعمدة الدخان تعلو أرتال المدرعات الاسرائيلية التي بدأت بالتقدم نحو الاراضي اللبنانية . وصدت قواعد المقاومـات الأرضية الفلسطينية واللبنانية المتقدمية الغارات الاسرائيلية المكثفـة مـن الجو والبر والبحر . وبعد أن اجتازت القوات الاسرائيلية منطقة تواجد قوات الامم المتحدة والتي تتمركز على طوال الحدود اللبنانيـة والاسـرائيلية ، أخذت تلك القوات بالتقدم نحو العمق اللبناني .

واعتمدت اسرائيل في القطاع الشرقي من الجبهة على مساعدة القوات المارونية التابعةللعميل الرائد سعد حداد . ولذلك فقد زجت اسرائيل بمعظم قواتها في الجهة الاخرى أي قرب مدينة صور حيث تتواجد هناك مخيمـات اللاجئين الفلسطينيين ، وحيث كان موقف المقاومة الفلسطينية هناك قويا جدا . لقد ظن الجيش الاسرائيلي المدجج بأحدث صنوف الاسلحة ، أنـه

سيتمكن من اجتياح التحصينات الفلسطينية الدفاعية بكل سهولة . هذا ما كانت تؤمن به القيادة الاسرائيلية العليا .

وصرح كل من وزير الدفاع الاسرائيلي الجنرال شارون ورئيس وزرائه مناحيم بيغن ان منظمة التحرير الفلسطينية ستختفي قريبا من الوجود . وقالوا نحن بحاجة الى ثلاثة ايام فقط لحسم الموقف العسكري في لبنان . لم يكن لمركز الحراسة الفلسطيني المتقدم جدا والذي يقع جنوب مخيم الرشيدية الفلسطيني ، اي على الحدود اللبنانية الاسرائيلية مباشرة الوقت الكافي لتلقي أوامر منظمة التحرير الفلسطينية . وكل ما استطاع أن يفعله هذا المركز هواخبار القيادة الفلسطينية العليا بالهجوم المكثف الذي بدأته اسرائيل ، واستطاع كذلك ايقاف حركة ارتال الدبابات الاسرائيلية لعدة دقائق والتي كانت تتقدم باتجاه مدينة صور .

وظهر فيما بعد أن الدقائق القليلة تلك مكنت قواعد منظمة التحرير الفلسطينية من الانتقال الى القواعد المجهزة مسبقا لمثل تلك الحالات . واستطاعت القوات الاسرائيلية بعد عدةأيام من الوصول الى بيروت ، وفرض حصار على تلك المدينة . وأصبحت خسائر العدو تتصاعد خاصة في المناطق التي تم احتلالها . لقد استبسل سكان تلك المناطق في مقاومة الجيش الاسرائيلي ... وفهمت القيادة الاسرائيلية العليا آنذاك أن احتلال جنوب لبنان لن يؤمن لها « السلام » . وقال الكابتن الاسرائيلي آهارون بيرنيا في مذكراته :عندماتلقيت الأوامر بالهجوم على لبنان ، تقدمت قواتي في القطاع الذي تسيطر عليه قوات سعد حداد وذلك في الساعة العاشرة والربع مساء يوم الاحد في السادس من حزيران عام ١٩٨٢ . وكانت معنويات جنودي مرتفعة جدا . لقد بدا على وجوههم المرح والفرح ، وكان الجنود يتبادلون النكات . وأخذوا يتحازرون كم فلسطينيا بين قتيل وأسير سيكون نصيب كل واحد منهم . وقالوا انهم اذا ما امسكوا بياسر عرفات فانهم لن يقتلوه بل سيأخذوه الى الأسر . لقد كنا متأكدين جدا اننا سنلقي القبض على ياسر عرفات .واقترح أحد الجنود أن نربط رأس ياسر عرفات بطائرة

مروحية ونطير به فوق كل مدن وقرى اسرائيل ليتسنى لجميع الاسرائيليين رؤيته .

وبعد ان اجتزنا المنطقة التي تتواجد فيها القوات الدولية ، وصلنا الى المنطقة التي تتواجد فيها فصائل منظمة التحرير الفلسطينية ، ورأينا بسام أعيننا الفلسطينيين وهم يركضون باتجاهات مختلفة وبأيديهم السلاح . لقد ظننت أنهم يهربون من أمامنا . وضحكت بأعلى صوتي ، ولكن هذا الضحك تحول بعد قليل الى مصيبة حيث دوت الانفجارات المرعبة ، وسمعت صراخ جنودي ، لقد دمر الفلسطينيون ناقلتين مدرعتين من قواتنا . وقتل ثلاثة جنود وجرح عشرة آخرين . وكانت معظم جراحهم بليغة وخطيرة . وكانت الدماء تغطي أجسادهم . وبعد ان قمنا باسعاف الجرحى اخذ الفلسطينيون يمطروننا بوابل من النيران ، وزالت عند ذلك معالم الفرحة من على وجوه الجنود ، وانتهت أحاديث الهزار والنكات فورا . وحتى أنا لم استطع أن أضحك . أتذكرت أخيرا ماذا تعني الحرب وبدا الخوف والرعب ينتابني ، وأصبحت أفكر : من أين ستوجه لنا الضربة التالية ؟ دأية دبابة أو قاطرة ستحترق بعد ذلك ؟ لقد انتابني بحق شعور غريب ومخيف ! * .

لقد بحث الاسرائيليون عن مبرر ما لبدء الحرب ضد لبنان . وتم في اسرائيل الاعلان رسميا ان الاجتياح الاسرائيلي للبنان كان ردا على محاولة اغتيال السفير الاسرائيلي في لندن .

ان ذلك الادعاء كذب واضح ، ذلك لأن التحضير للغزو تم ومنذ فترة طويلة ، أي قبل محاولة اغتيال السفير الاسرائيلي في لندن ، ان استغلال اسرائيل لتلك الاحداث ليس سوى تبرير لبدء العدوان الذي تم التحضير له بشكل جيد ومسبق . وعلى الرغم من أن منظمة التحرير الفلسطينية اعلنت

---

* ان اقوال الجنود والضباط والجنرالات الاسرائيليين حول الحرب اللبنانية تم طبعها في اسرائيل ، ومن ثم في مطبوعات منظمة التحرير الفلسطينية تحت اسم « حرب المفاجأة في لبنان » ، دمشق ، عام ١٩٨٣ ، صفحة ١٦ .

رسميا ان لا علاقة لها مطلقا بحادث اغتيال السفير الاسرائيلي ، وان تلك العملية كانت من تدبير وتنفيذ المخابرات الاسرائيلية ، والتي لا تتورع عن فعل أي شيء في سبيل تحقيق أهداف الصهيونية العليا. لقد أعلنت اسرائيل في بداية عدوانها عن الاهداف من هذا العدوان والتي تتلخص في احتلال منطقة بعمق ٢٥ ميلا لتكون بمثابة منطقة منية بالنسبة لحدودها الشمالية ، أي أن اسرائيل تسعى الى طرد الفدائيين الفلسطينيين من هذه المنطقة . ولكن شهية اسرائيل ازدادت فيما بعد ، وأعلنت اسرائيل بأنها تنوي الاستمرار في الحرب الى أن يتم القضاء نهائيا على « التركيبة العسكرية لمنظمة التحرير الفلسطينية » وقياداتها . وفهمت اسرائيل بعد أن تعرضت قواتها لمقاومة جدية من قبل الفلسطينيين والوطنيين اللبنانيين انها لن تستطيع احراز نصر عسكري خاطف . لقد قاتل المدافعون عن جنوب لبنان من بيت الى بيتومنحارةالى حارة . واضطرت القوات الاسرائيلية الى التوقف ، وكانت تتلقى الضربات الموجعة والخسائر الفادحة في الارواح والمعدات . انها ببساطة ليست الحرب التي أرادتها اسرائيل . وبدأت الموجات العصبية تجتاح روح الجنرال الاسرائيلي أرئيل شارون ، مما دفعه الى التهور والتسرع . واستطاعت القوات الاسرائيلية في ليلة الثامن من حزيران الوصول الى مسافة خمسة عشر كيلو مترا من بيروت ، ولم توقف الطائرات الاسرائيلية قصفها لاحياء مدينة بيروت ، والطرق التي يسلكها اللاجئون اللبنانيون المتوجهون الى الشرق والشمال . لقد تم تدمير الجنوب اللبناني ، وتم تدمير قرى الجنوب بشكل شبه كامل وتدمير مدينة صور . وامتنعت قلعة الشقيف في جنوب لبنان على الاعداء ، هذه القلعة التي بناها الصليبيون منذ غابر الازمان .

وقال الجنرال الاسرائيلي شاؤل ناغديمون في تصريح له لاذاعة « صوت اسرائيل » : « بأن ثلاثين طائرة اسرائيلية مقاتلة قامت وعلى ...ال تلك الايام بقصف كثيف ومركز لقلعة الشقيف ، وكنا نعتقد في يوم ١٨ حزيران عام ١٩٨٢ أن القنابل التي ألقيناها على تلك القلعة لن تدمرها

وحسب ، بل ستمحوها من على وجه الارض ، ولن نجـد هنـاك أثـــرا للفلسطينيين • وكنت أول القائلين : « ان طائراتنا لاقت هناك مقاومة جدية مما اضطرها الى القاء حمولتها بعيدا عن القلعة » • وبالفعل فان المقاومة الجدية التي لاقتنا في قلعة الشقيف والخسائر الكبيرة التي تكبدناها هناك أدخلت التشاؤم الى قلوبنا، لقد خسرنا في تلك القلعة خيرة ضباطنا وجنودنا من قوات المظليين • وكان من بين الضباط الذين قتلوا في قلعة الشقيف بعض أقرب أصدقائي وهم الجنرال أفنير شاماكا ، الرائد جوني خادنيك ، الرائد بيسايل ميز راضي ، النقيب ايفتاخ بن خاسو وآخرون كثر غيرهم •

وعندما علمت بحجم الخسائر التي تكبدناها لاحتلال معقل فلسطيني واحد والذي قصفه سلاحنا الجوي لمدة طويلة قلت في قرارة نفسي : « ان هذه الحرب لا تشبه الحروب التي خضناها في السابق ، ولن نستطيع تحقيق أهدافنا بسهولة ، هذه الحرب هي مصيدة وقعنا فيها كما تقع الفـئران في مصيدتها ، واتصلت فورا بالجنرال رافائيل ايتان والجنرال امير دروري وشرحت لهم الموقف وأخبرتهم بأننا نصطدم بمقاومة لم تكن متوقعة وطلبت منهم النجدة المستعجلة • لقد بدأنا الحرب بجيش تعداده ٢٨ ألف جنـدي، وكانوا جميعا من رجال الجيش النظامي وقوات المظليين ، وبعد يوم واحد من الحرب وصل تعداد الجيش الاسرائيلي الى ٣٣ ألف جندي • لقـــد أجبرتنا قوة المقاومة داخل الاراضي اللبنانية على طلب النجدة والامداد • واضطرت القيادة الاسرائيلية العليا الى طلب الاحتياط الاسرائيلي • وأخذ تعداد الجيش الاسرئيلي المشارك في تلك الحرب بالارتفاع • وأعتقد أنـه لم يبق لدينا أي سلاح جديد لم نستخدمه في حربنا ضد لبنان ، اللهم الا القنابل الذرية ، كل هذا من أجل تدمير الفلسطينيين ••• » * •

لقد خاضت القوات الاسرائيلية وبدعم من الطيران الاسرائيلي حربا طاحنة قرب مخيم عين الحلوة جنوب مدينة صيدا مع رجـال المقاومـــة

* حرب المفاجأة في لبنان — دمشق — عام ١٩٨٣ ، صفحة ١٩٦٨ .

الفلسطينية واللبنانية الوطنية ، وتم الحاق الخسائر الفادحة في صفوف الجيش الاسرائيلي • ووقف المدافعون عن مخيمات الرشيدية ، برج الشمالي ، الدامور ، موقفا بطوليا • واستمرت مقاومتهم لجنود الاحتلال حتى بعد الاعلان عن سقوط تلك المخيمات •

وفي نفس الوقت الذي كانت فيه اسرائيل تهاجم مخيم عين الحلوة قرب صيدا ، قامت القوات الاسرائيلية المتواجدة في مدينة بعبدا قرب بيروت بقصف شديد لمخيم برج البراجنة جنوب بيروت ، ومنطقة عين السلوم، وتم في أثناء ذلك قتل العديد من المدنيين في تلك المناطق • وأعلن المذياع عن سقوط مخيم عين الحلوة الذي كان يدافع عنه حوالي ٢٠٠ رجل فقط • وبدأت القوات الاسرائيلية المتواجدة قرب بيروت بالاستعداد لدخول العاصمة اللبنانية ، وباشرت الدعاية الاسرائيلية شن حملاتها المسمومة ضد العرب ، حيث أعلنت تلك الدعاية بأن بيروت الغربية ستسقط اليوم أو غدا بأيدي القوات الاسرائيلية وسيتم هناك سحق المقاومة الفلسطينية كليا • وتزامنت الطلعات الجوية الاسرائيلية مع الحملات الدعائية ، حيث قصف الطيران الاسرائيلي وبتركيز شديد أحياء بيروت السكنية والمخيمات الفلسطينية المجاورة لها • وتم القاء العديد من قصاصات الورق فوق رؤوس المدافعين عن بيروت وكانت تلك القصاصات تحمل نداءات الحكام الاسرائيليين الى المدافعين عن بيروت بضرورة القاء السلاح وتسليم النفس • ووعدت اسرائيل المستسلمين بأنها ستؤمن لهم الحياة • ولم تلق تلك النداءات أي صدى في بيروت الغربية • وكان المدافعون عن بيروت مستعدين تماما للدفاع عن حياتهم وحياة زملائهم •

لقد وعدت اسرائيل بانهاء العملية فورا ، ومرت خمسة أيام، ثم عشرة ثم عشرين ، ولم تسقط أو تستسلم بيروت المحاصرة •

وقال في هذا الصدد الجنرال الاسرائيلي بن تاسكو شرايدر : « لقد ألقينا على بيروت في يوم الاحد الواقع في الاول من آب عام ١٩٨٢ حوالي

عشرين ألف ومئتي قنبلة وقذيفة ، أنا لست جبانا ، ولكن الجيل الفلسطيني الجديد ، وبخاصة الاطفال منهم قد أثاروا القلق في نفسي ، فقد قام طفلان فلسطينيان صغيران بتدمير الدبابة التي كنت أجلس في داخلها، أنا لا أتصور كيف نجوت وكيف لم يأخذاني أسيرا » * •

وكان القادة الاسرائيليون يعطون الاوامر بدخول بيروت ثم يتراجعون عن تلك القرارات والاوامر • لم يكن سبب هذا التراجع الخوف على السكان المدنيين في تلك المناطق ، أو حبا من اسرائيل بحل المسألة سلميا • هذا ما اعترفت به الدعاية الصهيونية وبكل وقاحة • والامر ببساطة هو أن اسرائيل خافت أن تهلك قواتها بين جدران البيوت في بيروت ، وعندها ستنتهي أسطورة تفوقها وعظمتها الى الابد • هكذا كان الوضع في بيروت • لقد ولى الزمان الذي كانت تذهب فيه اسرائيل الى الحرب مع العرب وكأنها تذهب الى نزهة لطيفة ، ففي عام ١٩٦٧ كانت آثار أقدام الجنود الاسرائيليين واضحة على رمال سيناء ، لم يغتسل هؤلاء الجنود من الغبار والدخان الا في مياه قناة السويس • ولكن في عام ١٩٧٣ وخاصة في الايام الاولى لحرب تشرين أدار الجنود الاسرائيليون ظهرهم للجنود العرب ، وفروا هاربين • لقد قتل منهم المئات ، وطافت المسيرات جميع مدن وقرى اسرائيل ، ورفع الاسرائيليون آنذاك شعار : « أعيدوا لنا أولادنا ! » • وبدأ الاسرائيليون يفهمون الحقيقة ، ويفهمون بأنه في الحرب لن يقتل العرب لوحدهم ، بل وسيقتل معهم جنود الجيش الذي أقنع نفسه بأنه لا يقهر • لقد كانت حرب تشرين أضخم الحروب التي خاضتها اسرائيل ، ذلك لأن العديد من الجيوش العربية اشتركت في القتال ضد اسرائيل في آن واحد • واستطاعت اسرائيل الحفاظ لنفسها بقسم من الاراضي التي تم احتلالها عام ١٩٦٧ • لقد رأى الاسرائيليون على خلفية « نجاحاتهم » المحدودة عام

---

* ها آرتس الاسرائيلية ١٩٥٩٨٢ ، حرب المفاجأة في لبنان دمشق عام ١٩٨٢ ، صفحة ١٦٧ •

١٩٧٣ ان تلك الحرب كانت نزهة بالمقارنة مع الحــرب في لبنان ضد رجال المقاومة الفلسطينية والقوى الوطنية اللبنانية ، وعلى الرغم من أن اتفاقيات كامب ديفيد استطاعت اقصاء مصر من مجموع الدول المعادية لاسرائيل ٠

لقد ظنت اسرائيل انها تستطيع الآن ، أي بعد خــروج مصر من الصــف العربي اقامة اسرائيل الكبرى ليس من النيل الى الفرات مؤقتا ، بل حتى نهر الفرات ٠

لقد كانت حركة المقاومة الفلسطينية هي الشوكة التي تقف في حلق اسرائيل وتحول دونها ودون ابتلاع الاراضي العربية ٠ وكانت اسرائيل مقتنعة ان اقتلاع هذه الشوكة غير ممكن دون تصفية قيادة منظمة التحرير الفلسطينية تصفية جسدية ٠

وعندها ستقوم اسرائيل وحسب ظنها بحشر الفلسطينيين في مصيدة « الادارة الذاتية » ، والتي تم نسج خيوطها في كامب ديفيد ، والابقــــاء عليهم من ثم هناك والى الابد ٠ ولن تشهد بعد ذلك الضفة الغربية المحتلة لنهر الاردن أو قطاع غزة المحتل أية مظاهرات أو اعتصامات ٠ وسيصبح كذلك رؤساء البلديات المتمردون في تلك المناطق أكثر مســالمة وهــدوءا ٠ وستتمكن تل أبيب من اسكات الدول العربية المعارضـــة لتلك المخططات ، لأنها ستتعامل معهم كلا على حده وبالتالي ستتمكن م نالتغلب على تضامنهم وتعاطفهم مع منظمة التحرير الفلسطينية ٠

لم ينجح المعتدي الاسرائيلي في كسر شوكة المقاومة الفلســطينية ، ذلك لأن فصائلهم المقاتلة ظلت مغروسة في جسد الجيش الاسرائيلي حتــى بعدأن وصل ذلك الجيش الى مشارف بيروت ، وفشلت اسرائيل في قمــع منظمة التحرير الفلسطينية ، ونشرت الصحافة الغربية تقارير غامضة عن تدمير بعض قواعدهم ٠

لم يرفع الوطنيون اللبنانيون ولا فصائل حركة المقاومة الفلســطينية أيديهم عن السلاح، وعلى الرغم منالحصار الذي فرضه الجيشالاسرائيلي

على مدينة بيروت ، وعلى الرغم من القصف الجوي والبري والبحري لتلك المدينة فقد أصبح واضحا أن الهزيمـــة السياسية قد لحقـــت باسرائيل في لبنان •

ان المشكلة هنا ليست في عجز الجيش الاسرائيلي عن احتلال بيروت . بل في الهزيمة التي لحقت بالمبادىء الصهيونية المعلنة وأهمها «نظرية الامن» والتي بنت اسرائيل كل سياساتها على أساسها • وتتلخص نظرية قطـــع الطريق التي تمارسها اسرائيل انه يجب على اسرائيل وبسرعة شن الحرب على المناطق التي ينشأ منها أي «خطر» على «أمن» اسرائيل، وحسب هذه الخطة على اسرائيل أن تحسم نتيجة الحرب بشكل سريع لصالحها • وتبين بعد حرب لبنان لاسرائيل انها عاجزة عن تمزيق منظمة التحرير الفلسطينية بأسنانها • وانهارت بذلك نظرية التدمير السريع التي أشاعها اسرائيل عن منظمة التحرير الفلسطينية ، مدعية بأن المنظمة ليست سوى « حفنـــة من الارهابيين » ستنهار عند أي صدام عسكري حقيقي •

وأكدت منظمةالتحرير الفلسطينية بصمودها أمام الجيش الاسرائيلي انها ليست مجرد ممثل للشعب العربي الفلسطيني على الورق، بل في ميادين الحرب • ذلك لأن المنظمة وقفت تدافع عن الشعب الفلسطيني الذي تعرض لأعتى هجوم اسرائيلي فيالتاريخ المعاصر • وفهم الاسرائيليون أن دخولهم بيروتالغربية الممتلئة برجال المقاومة الفلسطينية والوطنيةاللبنانية سيكلفهم غاليا • وعجزت اسرائيل عن تصفية المقاومة الفلسطينية والتي تستمد قوتها من مخيمات اللاجئين الفلسطينيين • فعلى الرغم من السيطرة الاسرائيلية التامة على المدن الفينيقية القديمة في لبنان صيدا وصور (سيدون ، تير) بقيت مراكز الثورة الفلسطينية في تلك المناطق تقوم بالعمليات ضد الجيش الاسرائيلي المحتل •

وهبت في جميع الاراضي اللبنانية الحركة الفدائية الشعبية • وعجزت الاحداث اللبنانية عن التأثير على استقطاب القوى داخل اسرائيل ، وتعالت

هناك الصرخات والاحتجاجات ضد سياسة قطع الطرق والارهاب التي تعتمدها الحكومة الصهيونية في اسرائيل •

كما وتعالت صرخات الاحتجاج والاستنكار للغزو الاسرائيلي في جميع بلدان العالم وحتى في أوربا الغربية حيث كانت دولها تتعاطف وتتضامن مع اسرائيل •

ان زوال هيبة اسرائيل في العالم أثار قلق ومخاوف المراكز الصهيونية العالمية ، والتي كانت مهتمة في تقوية نفوذها داخل البلدان التي تسير على الطريق الرأسمالي • واستنكرت الولايات المتحدة روح المجازفة عند قادة اسرائيل ، ووقفت أمريكا في الوقت نفسه خلف العدوان الاسرائيلي ضد لبنان ، والتي لم تجرؤ على اخفاء « ضلوعها » في ذلك الغزو •

ان العدوان الاسرائيلي ضد لبنان قام أصلا بهدف سحق المقاومة الفلسطينية ، وانقلب فيما بعد ليشكل خطرا مباشرا على مصالح الولايات المتحدة الامريكية في الشرق الاوسط • لقد انتصرت المقاومة البطلة التي أبداها المدافعون عن لبنان على غرور الحكام الصهاينة في اسرائيل•وانكشف أمام الجميع الجوهر الاساسي للسياسة الامريكية المعادية للعرب، والمساندة بفاعلية لسياسة الابادة الجماعية التي تمارسها اسرائيل ضد العرب •

ان كل من كان يصدق بالامس ان اسرائيل دولة « صغيرة وضعيفة ولا حامي لها » وأن « العرب المتوحشين » الذين يريدون ابتلاعها يحيطون بها من كل جانب ، رأى اليوم وبعد الابادة الجماعية التي مارستها اسرائيل ضد الشعب العربي الفلسطيني أكثر من آثار الفاشية • ورأى الجميع خلف ظهر بيغن الظل المتوحش للبنتاغون الامريكي والذي ساند اسرائيل في عدوانها ضد لبنان بهدف تحقيق مصالحه الاستراتيجية •

وعندما سال نهر الدم في لبنان من جراء العدوان الاسرائيلي ، انتاب الرعب والخوف حتى أقرب أصدقاء اسرائيل • وأدلى مستشار النمسا (برونو كرايسكي) بهذه المناسبة بتصريح صحفي لمندوب الصحيفة الالمانية الغربية « شتيرن » قال فيه :

« أنا لا أريد اليوم ولا في أي يوم أن تكون لي أية علاقة مع اسرائيل التي شاهدت أفعالها في لبنان ، لقد ارتعد وارتعش العالم أجمع من العواقب التي ستجلبها الافكار المجنونة لزعماء اسرائيل على العالم أجمع . والاسرائيليون لا يعتمدون على شيء كاعتمادهم على قوة السلاح ، لقد ارتكب هؤلاء في لبنان جرائم مرعبة ، وكل انسان يصمت تجاه تلك الجرائم فانه يتحمل وبلاأدنى شك قسما من المسؤولية عنها » .

وانتقد الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران بشدة الجرائم الاسرائيلية في لبنان وقارن الرئيس الفرنسي ميتران التصرفات الاسرائيلية بلبنان بالتصرفات الفاشية في فرنسا ، وذلك عندما أحرق النازيون قرية اورادور وقتلوا جميع سكانها .

وجاء تصريح الرئيس الفرنسي هذا في مؤتمر صحفي عقده في بودابست . لقد أظهرت الحرب الاسرائيلية ضد لبنان ، رغبة اسرائيل في أن تلعب دور المتصرف بمصير الشعوب في منطقة الشرق الاوسط .

وأعطت اسرائيل لنفسها الحق بضرب الدول العربية في أي مكان وزمان تحدده بنفسها . بالامس هددت اسرائيل سوريا ، ثم ضربت العراق ، ودمرت بعد ذلك لبنان ، ثم قامت بتنفيذ سياسة طرد العرب من الضفة الغربية المحتلة وقطاع غزة ، وأخيرا وليس آخرا محاولاتها لشق الصف العربي . وستجد اسرائيل اليوم وغدا وكل يوم الحليف الامريكي الى جانبها ، لأنها تنفذ في آن واحد مصالحها ومصالحه الاستراتيجية .

وسقطت لهذا السبب آمال العرب في الولايات المتحدة ، واصبحوا على يقين بأن أمريكا لن تغير من سياستها تجاه الشعوب المحبة للسلام . ان كل ما حصل من اسرائيل في لبنان أدى الى ترسيخ هذه القناعة .

لقد كان أنور السادات أول العرب الذين قالوا ان مفاتيح الحل تقع في خزائن البيت الابيض الامريكي ، وتبعه في هذا الاعتقاد عدد من الزعماء العرب . لقد قال السادات ان مفاتيح حل المشكلة ما زالت معلقة على

الجدار في احدى قاعات البيت الابيض البيضوي الشكل • ولكن استمرار الحرب في لبنان لمدة طويلة أدى الى كشف وفضح العدوان الاسرائيلي ضد لبنان والى كشف وفضح الدور الامريكي في هذا العدوان •

وكتب **المراقبان الصحفيان** الامريكيان ر • ايفانس ، ر • نوفاك في جريدة « **الواشنطن بوست** » : « ان النفوذ الاسرائيلي على مجريات السياسة الامريكية أدى باسرائيل الى طلب المساعدات العسكرية من الرئيس ريغان ، وخاصة طلبها بارسال الاساطيل البحرية الى الشواطىء اللبنانية لاستخدامها في تحقيق الاهداف الاسرائيلية في لبنان » •

ولم يكن الطلب الاسرائيلي ضروريا بالنسبة لأمريكا ••• ذلك لأن واشنطن كانت تحلم ومنذ زمن طويل بمثل هذه الفرصة التي تسمح لها بالتدخل عسكريا في منطقة الشرق الاوسط •

لقد أثارت نية الولايات المتحدة الامريكية بارسال قواتها الى لبنان موجة من السخط والاحتجاج العالميين • وأصبحت قوات « التدخل السريع الامريكية » فيما بعد مستعدة بالفعل للتدخل في شؤون لبنان والتحرك الى شواطئه •

لقد حذر الاتحاد السوفييتي أمريكا من مغبة ارسال قواتها الى لبنان، ذلك لأن الاتحاد السوفييتي سيبني سياسته في المنطقة اعتمادا على تلك الوقائع • واضطرت واشنطن الى تأجيل خطتها في ارسال الجيش الامريكي الى لبنان ، وبدأت تبحث عن أي مدخل قانوني يسمح لها بالتدخل في شؤون لبنان • وظهر فيليب حبيب في منطقة الشرق الاوسط للبحث عن المدخل المذكور ، والاقناع الفلسطيني بالاستسلام • وبدأ الممثل الشخصي لرونالد ريغان يناقض نفسه، لأنه عجز عن التوفيق بين المهمتين المحليتين اللتين أرسل من أجلهما• وبدأ «الوسيط» الامريكي مباحثاته، وأطلق الوعود بوقف اطلاق النار من الجانب الاسرائيلي • ولكن تل أبيب استمرت في خرق تلك الاتفاقيات مخالفة بذلك اقتراحات حليفتها خلف المحيط ، وهذا ما أراده فيليب حبيب بالضبط •

لقد قصفت الطائرات الاسرائيلية الامــاكن التي حددها فيليب حبيب شخصيا • وطالب حبيب بطرد الفلسطينيين من لبنان •

واستعد البنتاغون للتدخل في لبنان • وتلقت بالفعل حاملة الطائرات العامودية « غوام » ، وأربعــة بوارج تحمل حــوالي ١٨٠٠ بحار الاوامر بالتقدم الى أقرب نقطة ممكنة على الشاطىء اللبناني •

وكان على ظهر البارجة الامريكية « غوام » الطائــرات القاذفة ذات الاقلاع العامودي من طرطاز « هاريــير » والتي اســتخدمتها الحــكومة البريطانية في حربها الاستعمارية جنوبي المحيط الاطلنطي • ووقفت البوارج الامريكية طراز « فورتيال » شرقي البحــر الابيض المتوسط وعــلى متنها الطائرات المقاتلة طراز (ف ــ ٤) لحماية السفن الامريكية ووصلت الاوامر الى ثلاثة من السفن الامريكية الراسية قبالــة الشاطىء اللبناني بمغادرته فورا الى ايطاليا، وذلك بهدف الالتحام مع قوات الجيش الامريكي المتواجدة شرقي البحر الابيض المتوسط •

لقد تعرضت بيروت الغربية الى قصف مستمر من البر والبحر والجو، وخاصة منطقة الرشيدية ، بير حسان والمنارة ، وشارع المزرعة ، ومخيمات اللاجئين الفلسطينيين، واستمر العملاء الاسرائيليون بضرب بيروت الغربية من الداخل • وهزت العاصمة اللبنانية عدة مــرات الانفجــارات الرهيبة والناتجة عن انفجار السيارات المفخخة •

أما في مخيمات صبرا وشاتيلا وبرج البراجنة، حيثلم تكن هناك بيوت لم تصب من جراء القصف الاسرائيلي ، فقد ألقت اسرائيل على تلك المناطق الصواريخ والقنابل الموقوتة (أي التي لا تنفجر فورا ، بل تنفجر بعد مرور وقت محدد) •

وعلى الصعيد السياسي ، استمر المبعوث « الخاص » فيليب حبيب وعن طريق المفاوضات مع المجموعات السياسية المختلفــة في لبنان تمزيق وحدة الاراضي اللبنانية • ورأت أمريكــا الوقت مناسبا والظروف مواتية

لتقوية نفوذها وهيمنتها على الشرق الاوسط وبمساعدة « الوجود العسكري» الاسرائيلي في لبنان •

ولم يطرح المبعوث الامريكي في أثناء لقائه مع الرئيس اللبناني مجرد سحب قوات الاحتلال الاسرائيلي من لبنان، وانما طلب سحب قوات الردع السورية والتي دخلت الى لبنان بطلب رسمي من السلطة اللبنانية وبقرار من جامعة الدول العربية •

واقترح فيليب حبيب على الرئيس اللبناني عندما دخـل المفاوضات بصفة محامي عن اسرائيل جمع الاسلحة من الفلسطينيين وتشكيل منطقة أمنية على الحدود الاسرائيلية بعمق ٤٥ كيلو متر وتتمركز بها قوات الدول « الصديقة » لاسرائيل ولبنان • والمقصود هنا بالطبع القوات الامريكية • ورتب فيليب حبيب الاوضاع لاجبار الحكومة اللبنانية على توقيع اتفاقية « سلام » مع اسرائيل على غرار اتفاقيات كامب ديفيد • لقد وصل الضغط الامريكي على الحكومة اللبنانية الى درجة أن الوفد الامريكي برئاسة فيليب حبيب حضر جلسات اللجنة الوطنية لانقاذ لبنان• ونشرت الصحف تعليقاتها على هذا الحدث ووصفته بأنه تدخل صارخ في شؤون لبنان الداخلية •

وأشار مراسل صحيفة « واشنطن بوست » الامريكية في القدس الى ان « •••• اسرائيل أصـبحت في حالة من النشوى والفرح ، وظنت انها أصبحت قريبة من تحقيق أحلامها المنشودة بالقضاء على منظمة التحـرير الفلسطينية كقوة سياسية وعسكرية في منطقة الشرق الاوسط » •

وافترضت الحكومة الاسرائيلية ان الادارة الامريكية بزعامة رونالد ريغان ستدعم ، أو على الاقل ستوافق على تحقيق الاهداف الاسرائيلية في الشرق الاوسط وعن طريق الوسائل الحربية •

وتجمع مراسلو الصحف العالمية ، ولاحظـوا كيف ان اسرائيل بدأت تفقد امكانية الحل من بين أيديها بالتدريج ، أي كيف تفقد اسرائيل امكانية تحقيق مخططاتها • وأصبح مصير الفلسطينيين المحاصرين في بيروت الغربية

بعد التغطية الاعلامية الكافية دراما عالمية (أي مأساة عالمية ــ المترجم) •

ووافق الفلسطينيون في نهايةالمطاف على الخروج ليس من لبنان وانما من بيروت الغربية فقط • وكانت شروطهم في الخــروج : الخــروج بكامل أسلحتهم ومعداتهم العسكرية ، مرفوعي الرأس ، وأعينهم الى الســماء ، وأعلامهم ترفرف فوق صفوفهم •

لم يخرجوا كمهزومين بل كمنتصرين ، وخرج جميع سكان بيروت بلا استثناء لوداعهم • لقد قاتلوا ودافعوا عن حياتهم الآمنة• لقد وقفوا لانقاذ أهلهم من القصف الاسرائيلي البربري • لقد خرجوا كالفرسان ، وصدقوا كالفرسان أيضا الاتفاق الذي عقدوه مع عدوهم •

وعقد حبيب مع الحكومة اللبنانية اتفاقا ينص على ســحب جــزء من القوات الامريكية في لبنان خلال مدة أقصاها ثلاثين يوما • واستدعاء قوات دولية من ايطاليا وفرنسا ، ذلك لأن الفلسطينيين رفضوا وضع مصيرهم بين أيدي الجيوش الامريكية لوحدها •

وقال ياسر عرفات في حينه بأن : « السلاح والبوارج التي ساعدت في قتل أطفالنا ونسائنا لن تستطيع حمايتنا من القتل » •

ولم تخف الولايات المتحدة الامريكية خططها ونواياها ضــد المقاتلين الفلسطينيين في بيروت الغربية •

لقد أرادت أمريكا ذر المقاتلين الفلسطينيين مثل الغبــار علــى طول البحر الابيض المتوسط ، واستخدمت لهذه الغاية سفن اسطولها السادس• وتنبأت قيادة منظمة التحرير الفلسطينية بالخطط الصهيونية والامريكية •

وبذلت الولايات المتحدة الامريكية قصارى جهودها لاخراج الفدائيين الفلسطينيين من لبنان ولاستدعاء قوات دولية للتحالف معهــا ، وللتحالف بالتالي مع اسرائيل •

واقترحت واشنطن اخراج الفدائيين الفلسطينيين ليس عن طــريق

البحر فقط ، بل وعن طريق البر وبوسائط نقل تنتمي الى جنسيات مختلفة وأصرت منظمة التحرير الفلسطينية على أن يحتـوي الاتفـاق الامريكي الفلسطيني على بند خاص تلتزم من خلاله الولايات المتحدة الامريكية بمنع دخول القوات الاسرائيلية الى بيروت الغربية، أي الى المناطق التي سيخليها الفدائيون الفلسطينيون •

وخرج الفدائيون من بيروت الغربيـة بكل فخر ، رؤوسـهم مرفوعة وساعدت واشنطن تل أبيب في سياستها الهادفة الى شـق الصف العـربي وتعميق الخلافات العربية وغرس شعور عدم الثقة في نفوس العرب • ولقد تصنعت واشنطن في استنكارها لخطط تل أبيب الصداقة للعرب •

وأشاعت أمريكا انها مستعدة للتفـاوض حتى مع منظمة التحـرير الفلسطينية اذا ما فكرت اسرائيل في خرق الأتفاق الذي تم الوصول اليه بمساعدة مبعوثها « الخاص » في المنطقة •

واستمرت أمريكا في الواقع بتقديم مختلف صنوف الدعـم العسكري والدبلوماسي لحليفتها اسرائيل • ولم تكتف واشنطن بارسال أحدث صنوف الاسلحة التي لم تجرب بعد في ميادين القتال الا في لبنان لاسرائيل ، بل تم ارسال المستشارين العسكريين الامريكيين للقتال مع الجيش الاسرائيلي ضد لبنان ، ولمراقبة فاعلية التقنية الامريكية الحديثة والسـلاح الامريكي الجديد في ميادين القتال • ووصل فيليب حبيب مرة ثانيـة الى العاصمـة اللبنانية بيروت وهي مغطاة بكتل كثيفة من الدخان الاسود •

لم يصل حبيب للتفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية ، بل للتشاور مع السلطات اللبنانية ، ذلك لأن أمريكا تسلك طريقا واحدة في المنطقة وهو الطريق المنحاز الى الجانب الاسرائيلي •

لقد رفضت الولايات المتحدة الامريكية الجلوس مع الفلسطينيين خلف طاولة المفاوضات • وكان من الواضح جدا ان المبعوث الامريكي لم يصل الى نتيجة ملموسة ، ذلك لأن منظمة التحـرير الفلسطينية لم تكن تعترف

أصلا بالسلطة اللبنانية • وكانت منظمة التحرير الفلسطينية تمتلك كل الامكانيات والوسائل لتنفيذ خطها السياسي في بيروت ، ولكن الفلسطينيين لم يشعروا في أي يوم من الايام انهم أصحاب لبنان ، لقد كانوا ضيوفا في لبنان ، وكانوا يقدرون دوما ويثمنون غاليا حسن الضيافة التي أبداها الشعب اللبناني لهم• وعلى الصعيد الدبلوماسي فقد اقترحت الدول العربية مشروع قرار على هيئة الأمم المتحدة يقضي بطرد اسرائيل من المنظمة الدولية كعقاب لها على عدوانها ضد لبنان الآمن •

وكان رد وزير الخارجية الامريكي جورج شولتز على هذا الاقتراح أن هدد المنظمة الدولية بانسحاب بلاده منها فيما اذا فكرت تلك الهيئة بطرد اسرائيل من عضويتها • واستمرت حكومة شولتز بتقديم مختلف صنوف الاسلحة لأسرائيل المعتدية •

وهدد جورج شولتز بقطع المعونات المالية التي تقدمها أمريكا الى هيئات الطاقة النووية العالمية ما عدا هيئة الطاقة النووية في اسرائيل •

لقد انحصر السبب المباشر للغزو الاسرائيلي الاخير للبنان في رغبة الصهيونية العالمية بتحقيق المخططات الامبريالية العالمية ، وتبدو اسرائيل بذلك أداة من أدوات الاستعمار الجديد •

وكتب أحد الزعماء « الاستراتيجيين » للحركة الصهيونية عام ١٩٨٠ في صحيفة « دافار » الاسرائيلية : « علينا بتهديد العالم وذلك بشن الحروب التي ستمكننا من الوصول الى الغرب ، ومنعه من التقدم نحو العالم العربي ، ويجب علينا أن نفعل أي شيء يحول بين الدول الغربية والعرب» •

ولم تخف واشنطن في يوم من الايام أهدافها الى السيطرة على منابع النفط العربية •

لقد رحل الفلسطينيون من بيروت الغربية بهدف ايجاد حل عادل

ودائم لمشكلة الشرق الاوسط ـ هذا ما أوردته الصحافة الامريكية • الا أن الادارة الامريكية رفضت تطبيق قوانين الامم المتحدة الصادرة تحت أرقام ٤٢٥ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ بخصوص مشكلة الشرق الاوسط •

وتابع ريغان اطلاق التصريحات المؤيدة لاسرائيل والرافضة لجميع المبادرات والاقتراحات لحل مشكلة الشرق الاوسط سلميا ، ذلك لأن اسرائيل تعتبر مثل تلك المبادرات « تهديدا لأمنها وسلامتها » •

ومن الصعب جدا أن ننتظر من الدولة التي قامت بتسليح اسرائيل بالاسلحة الجرثومية ، والفراغية ، والعنقودية ، والفوسفورية للقضاء على المدنيين الفلسطينيين واللبنانيين الآمنين أية مبادرة جديدة لحل مشكلة الشرق الاوسط •

لقد أخذت واشنطن على عاتقها مسؤولية الجرائم الاسرائيلية البشعة في لبنان ضد الشعبين اللبناني والفلسطيني •

وجاء في الرسالة التي بعث بها رئيس مجلس السوفييت الاعلى في الاتحاد السوفييتي الى الرئيس الامريكي ما يلي : « ••• ان المأساة اللبنانية ، وخاصة مأساة سكان العاصمة بيروت ستبقى والى الابد نقطة سوداء في ضمير الذين كان بوسعهم ايقاف العدوان ولم يفعلوا ذلك » •

كان بوسعهم ايقاف العدوان ولم يفعلوا ذلك •

ان هذه الكلمات هي بحق خير تعبير عن طبيعة الموقف الامريكي ازاء دول الشرق الاوسط • لأن الولايات المتحدة الامريكية كان بامكانها أن ترفع صوتها على صديقها الدموي لكي تمنعه من مقتل آلاف البشر ، وتمنعه من تدمير عشرات المدن والقرى اللبنانية ومن حرق مزارع الفلاحين الآمنين •

أجل ، كان بوسعهم ايقاف العدوان ، ولكنهم لم يفعلوا ••

لم يوقفوا العدوان لأسباب عديدة ، ذلك لأنهم لم يرغبوا بذلك ، ولم يدخل هذا الموضوع أصلا في المخططات الامريكية، ذلك لأن التحضير للعدوان

تم من قبل اسرائيل وأمريكا قبل بدئه بزمن طويل .

وألقى مستشار السكرتير الحكومي الامريكي السابق ميئير راشيش في المؤتمر الامريكي ــ اليهودي الاقتصادي المنعقد في باريس وفي ربيع عام ١٩٨١ خطابا فظا تهجم فيه على العرب بشدة ، وطالب أمريكا بالنظر في علاقاتها مع الحكومات العربية .

ولم يعرف الكثيرون من الحضور ان هذه الشخصية هي واحدة من أربع شخصيات اسرائيلية خبيرة ، اختارها ريغان وأغدق عليها الاموال الطائلة لقيادة حملاته الانتخابية لمنصب رئيس الولايات المتحدة الامريكية.

ابادة الناس بالجملة

تمركز قومندان مدينة صور الجديد جوزيف دانيال فيأحد المنازل التي نجت من القصف الاسرائيلي، وبدأ الجنود الاسرائيليون بنقل الفلسطينيين واللبنانيين الى مقر القومندان الجديد • وتم حشرهم في غرفة كان يتواجد فيها مجموعة من الحراس يحيطون برجل موضوع في كيس له فتحتين عند عيني ذلك الرجل • وكانت تتوضع أمامهم على الطاولة قوائم بالمشتبهين مع صورهم •

وأصبح « الرجل الذي في الكيس » يدل على انتمـاءات الاشخاص الايدولوجية والسياسية اما بتحريك رأسه ، أو باشارة من أصابعه •

وأجبر اللبنانيين على وضع صليب أبيض على ظهورهم ، كما فعـل هتلر مع اليهود عندما أجبرهم على وضع النجمة الصفراء على ظهورهم ؛ ومع اختلاف واحد هو ان وضع الصليب الأبيض على ظهور اللبنانيين كان ــ امتيازا لهم • وبالطبع لم يسمح للفلسطينيين بوضع مثل هذا الصليب •

وقام الجنود الاسرائيليون بزج الفلسطينيين في المعتقلات المزدحمة قرب مدينة صور •

أما الاشخاص الذين لفتوا انتباه « الشخص الذي كان في الكيس » (والذي أسماه أهالي صور بأنه عليم في شؤونهم)، فقد ضربهم الاسرائيليون ضربا مبرحا ، وألقوا بهم في السيارات الاسرائيلية والتي حملتهم وتوجهت بهم الى اسرائيل • وتم نقل القسم الآخر منهم مقيدا ومربوطا بالطائرات المروحية• وحصـلت بعض الحـوادث الغريبـة والمأسـاوية حين قام

الاسرائيليون بربط الأطفال أمام ذويهم وعلقوهم باطائرات المروحيـة ، وانفكت هذه الحبال عندما أقلعت تلك الطائرات نتيجة لشدة الريـح الذي كانت تولده محركات تلك الطائرات وسقط هؤلاء الاطفـال على الارض من ارتفاعات شاهقة حيث تحطمت وتمزقت أجسادهم على الصخور التي نزلوا عليها •

لقد تحدثت الصحف اللبنانية والفلسطينية عن العـديد من الحوادث المشينة والتي اقترفها الاسرائيليون أثناء غزوهم للبنـان ، وتحدث كذلك مراسلو الصحف الاوربية المتواجدين على الساحة اللبنانية في تلك الفترة عن العديد من الحوادث المأساوية والدموية في لبنان •

ان مثل هذه الحوادث كان بالامكان رؤيتها في جميع مناطق الجنوب اللبناني المحتل •

وجاء على لسان عضو الكونغرس الامريكي ماكلوسـكي ، أن رئيس الوزراء الاسرائيلي بيغن كان قد صرح وبكل وقاحة أن : « اسرائيل تمتلك الحق (لا أي شيء ، انما الحق) في تدمير بـيروت ، اذا كانـت كل قذيفة اسرائيلية ستقتل فدائي واحد مقابل عشرة من المدنيين اللبنانيين وخمسة من الفلسطينيين» • ومنعت الرقابة العسكرية الاسرائيلية المراسلين الاجانب من بث أية معلومات عن وحشية المعتدين •

ولسوء حظ اسرائيل فقد كان بين المعتقلين الفلسطينيين والبالغ عددهم خمسة عشر ألف معتقل ، والذين أطلقت اسرائيل عليهم اسم « الفدائيين » العديد من الاطباء الاجانب ، والذين تم الافراج عنهم فيما بعد ، لقد كان هؤلاء الاطباء وبحق الشهود الاوائل على جرائم اسرائيل الفاشية في الجنوب اللبناني •

وتسربت الى الصحافـة العالمية وقائع تدل على اسـتخدام اسرائيل للأسلحة المحرمة دوليا في حربها ضد لبنان • لقد استخدمت اسرائيل الغازات السامة ، والمواد القاتلـة ، والقنابل العنقوديـة والانشطارية المصنعة في الولايات المتحدة الامريكية والمحرمة دوليا •

وكان من بين الشهود على الجـرائم الاسرائيلية البربرية في لبنان ، أعضاء اللجنة الدولية العاملة في قبرص •

وعلى سبيل المثال أيضا فقد جلب ف • ليمب وهو شـخصية امريكية معروفة ، ويعمل في قبرص من جنوب لبنان (قنبلة مسمارية) لم تنفجر ، والمعروف أن مثل هذه القنابل مخصصة أصلا لقتـل الاطفـال • كما وجد الصحفي الفلندي ميكوليوغنيوسكي في بيروت قنابل مربوطة بلعب الاطفال كطعم لصغار لبنان ، ألقتها الطائرات الاسرائيلية على بيروت •

ومن المعلوم ايضا ان مصير الخمسـة عشر الف فلسطيني والذين تم جمعهم في معسكرات الاعتقال أصبح مجهولا تماما • وكان من بين هؤلاء الاسرى المواطن المصري محمـد فرج والذي يعمـل في الصليب الاحمر الفلسطيني • لقد اعتقلته حكومة تل ابيب بغض النظر عن العلاقات الطيبة التي تربطها بالقاهرة • وأطلقت اللجنـة الدولية المخصصـة للتحقيق في الجرائم التي حصلت على الاراضي اللبنانية ، على السياسة الاسرائيلية في الجنوب اللبناني تسمية سياسة الابادة الجماعية للجنس البشري •

لقد قتل وجرح في لبنان عشرات الالوف من البشر ، وتم تدمير المئات من المدن والقرى اللبنانية ، كما وتم تدمير مدينتي صور وصيدا اللبنانيتين الجنوبيتين بشكل شبه كلي •

أرادت اسرائيل أن تجد مبررا لغزوها لجنوب لبنان، وتشدقت الدعاية الصهيونية عن الطابع المعماري الفينيقي القـديم لمدينتي صور وصيدا • وقالت أبواق الدعاية الصهيونية ان العمارة في تلك المدينتين الواقعتين على شاطىء البحر الابيض المتوسط تشبه الى حد كبير العمارة اليهودية• وقامت اسرائيل فور دخولها الى تلك المدينتين بتدمير المعـالم الحضارية الجميلة هناك والتي تعود الى قوميات غير يهوديـة لتثبت بذلـك صحة ادعاءاتها الباطلة •

ودمرت اسرائيل مدينتي صور وصيدا في أثناء قصفها لهما من الجو والبر والبحر • ودمرت اسرائيل قلعة صيدا والتي تم بناؤها في القرنين السابع والثامن على أيدي الصليبيين ، وتم كذلك تدمير المتحف الوطني في بيروت والكثير من المعالم الاثرية اللبنانية القديمة والمعروفة على المستوى العـالمي •

وتم في أثناء ذلك تدمير الجامعة العربية في بيروت الغربية وحرق العديد من الوثائق والمخطوطات الثمينة • ويتضح من تلك الوقـائع التي شاهدها الاشخاص الذين تواجدوا على الاراضي للبنانية المحتلة آنذاك أن اسرائيل كانت تعتمد وتنفذ سياسة الابادة الجماعية ضد اللبنانيين والفلسطينيين • ويتضح كذلك أن الصهيونيـة لم ترغـب فقط من عـدوانها في التصـفية الجسدية لقيادة المنظمات الفلسطينية ، بل التصفيـة الجسـدية للشـعب الفلسطيني كله •

ويشير الى تلك الوقائع بوضوح القصف الاسرائيلي البربري لبيروت الغربية ، حيث عانى هناك الفلسطينيون واللبنانيون المدنيون •

كما وترى الصهيونية العالمية في الشعب العـربي الفلسطيني عدوها الاول ، ذلك لأن الشعب الفلسـطيني هو مصدر قوة حركة المقاومـة الفلسطينية •

وصرح آرون يارين في خطابه الذي ألقاه عام ١٩٨٠ « بأن اسرائيل تنوي طرد حوالي (٧٠٠٠٠٠ ــ ٨٠٠٠٠٠) فلسطيني من الاراضي العربية المحتلة ، ولدينا الوسائل التي تمكننا من تحقيق هذه الخطة » •

جاءت هذه الكلمات قبل غزو لبنان بفترة طويلة ، وأصبح الآن واضحا مغزى تلك الكلمات الايمائية •

ما هي الوسيلة التي أرادت اسرائيل استخدامها لطرد هؤلاء العرب من أراضيهم ؟ لقد تم في الرابع عشر من شهر أيلول ، وفي « مقر حزب الكتائب » اللبناني « بالاشرفية » قتل الزعيم الشيخ بشير الجميل القائـد

العسكري لحزب الكتائب ، والرئيس المستقبلي للبنان ، وذلك عن عمر يناهز ٣٤ عاما •

وقبل أن يدوي انفجار « الاشرفية » المرعب ، أعلنت الصحافة الاسرائيلية عن اللقاء الذي تم بين بشير الجميل ومناحيم بيغن في قرية شارون بالاراضي العربية المحتلة •

وقالت الصحافة الاسرائيلية انه تم ذلك اللقاء للاتفاق على استعداد لبنان للتوقيع على « معاهدة سلام » مع اسرائيل على غرار المعاهدات المصرية الاسرائيلية الموقعة في كامب ديفيد •

وسأل جميع المراقبين للاوضاع في لبنان أنفسهم السؤال التالي :
« لماذا اضطرت اسرائيل الى فضح وكشف الاوراق قبل أن يحين موعدها؟ »
أي لماذا أعلنت اسرائيل عن اللقاء السري الذي تم بين بيغن وبشير الجميل؟ عجزت الصحافة الاسرائيلية وبعد نشرها لوقائع وتفصيلات اللقاء السري بين بيغن وبشير الجميل عن التأثير على النحو المتصاعد لشخصية بشير الجميل في لبنان والعالم العربي • لقد أرادت اسرائيل ببساطة هز صورة الجميل في نظر جميع العرب ، على الرغم من أنها وقبل أيام قليلة ضغطت على البرلمان اللبناني لانتخاب بشير الجميل كرئيس للبنان •

وعجز الجميع آنذاك عن فك اللغز الاسرائيلي ، وتبين فيما بعد الهدف الحقيقي من وراء هذه التصرفات •

اجتمع في ذلك اليوم بشير الجميل مع القيادات العليا في حزب « الكتائب » ، لكي يشرح لهم سياسته وخططه المستقبلية • وتوقع الجميع أن يتحدث بشير الجميل عن صحة ما نشرته الصحافة الاسرائيلية ، وعن الحديث الذي دار بينه وبين مناحيم بيغن • وأصبح فيما بعد معروفا أن بشير الجميل رفض اقتراح بيغن الهادف الى توقيع اتفاقية « سلام » بين لبنان واسرائيل •

لم يكن الوقت كافيا أمام بشير الجميل ليحدث رفاقه في الحزب عن

كل التفصيلات حول لقائه مع بيغن ٠ لم يقل بشير الجميل الا جملة واحدة ، وبعدها دوى الانفجار الرهيب الذي أودى بحياته ٠

ونشرت الصحف اللبنانية والعالمية في اليوم التالي للانفجار تفاصيل كاملة عن الحادث ، وقالت تلك الصحف بأن ٢٠٠ كيلو غـرام من المـــواد شديدة الانفجار دمرت مبنى حزب « الكتائب » تدميرا تاما ٠ ولم تستطع قوات الاسعاف والانقاذ اللبناني من انتشال جثة الرئيس اللبناني الشاب من تحت الانقاض الا في وقت متأخر من الليل ٠

ومن المؤكد أنه كان لبشير الجميل العديد من الاعــداء السياسيين ٠

ولكن من كان بحاجة الى قتل بشير الجميل بعد أن أصبحت لبنان تحت أقدام المحتل الاسرائيلي ، وعندما أصبح الوجــود اللبناني تحــت الخطر الاسرائيلي المباشر ، وبعد ان أصبحت السيادة اللبنانيـــة منتهكة ؟ حاولت الدعاية الصهيونية في البداية القاء مسؤولية الجريمة هذه على كاهل فصائل الثورة الفلسطينية ، والتي كانت قد غادرت بيروت حين وقوع الجريمة ٠

ومن المعروف أن بشير الجميـــل قد وقع ذات مـــرة بين أيدي قوات الثورة الفلسطينية وقوات الحركة الوطنية اللبنانية ؛ عندما كانت الحرب الاهلية في أوجها ، لم يحجز الفلسطينيون واللبنانيون الوطنيون ــ وهــم الاعداء السياسيون التقليديون لبشير الجميل ــ حريته بل أطلقوا سراحه فورا ودون أية شروط ٠

اذا ، لم يبق هناك سوى اسرائيل صاحبة المصلحة الاولى في قتله ؛ ولنتساءل كيف تمت تلك العملية ، اذا كان مقر حزب « الكتائب » يقع تحت الحراسة الاسرائيلية و « الكتائبية » الموثوقة جدا والمشددة جدا ٠

في اليوم التالي وفي الصباح الباكر حلقت فوق ســماء بيروت وعلى ارتفاعات منخفضة جدا الطائرات الاسرائيلية ٠ واخترقت تلك الطــائرات جدار الصوت فوق سماء العاصمة اللبنانيـــة ٠ وأخــذت أرتال الدبابـــات

الاسرائيلية بالتقدم نحو بيروت ، علما بأنه لا يجوز لاسرائيل دخول بيروت الغربية حسب الاتفاق الذي تم بين اسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية •

ولكن جميع المؤشرات كانت تدل على أن القوات الاسرائيلية تتأهب لدخول بيروت الغربية في نفس اليوم الذي قتل فيه بشير الجميل بعد انفجار بيروت الغربية في نفس اليوم الذي قتل فيه بشير الجميل بعد انفجار «الاشرفية» لم يكن هذا الانفجار سوى اشارة لبدء العمليات الحربية الاسرائيلية في بيروت الغربية • لقد تذرع الاسرائيليون بمقتل بشير الجميل لدخول بيروت الغربية ، وبدأوا باحتلال مواقع القوات الوطنية اللبنانية بحجة « الحفاظ على الامن والنظام ادخل المدينة » • لم يكن هناك أي توازن بالقوى بين اسرائيل والقوات الوطنية اللبنانية ، الا ان تلك القوات ابدت مقاومة باسلة للجيش الاسرائيلي •

ودخل الاسرائيليون في الخامس عشر من شهر أيلول بيروت الغربية ، واستمر القتال في شوارعها بعد ذلك عدة ايام •

لم تستسلم القوى الوطنية اللبنانية بسهولة للجيش الاسرائيلي •

وكانت بيروت الشرقية تشهد أثناء تلك العمليات مراسيم دفن بشير الجميل ، ووصل الى هناك وزير الدفاع الاسرائيلي الجنرال شارون لتوديع « ضحيته » الى مثواها الاخير •

واستطاع الاسرائيليون في الخامس عشر من أيلول السيطرة على جميع المعابر والنقاط الحساسة في المدينة • وفرضت حراسة مشددة على الاحياء التي يسكنها الفلسطينيون • وكتب مراسلو الصحف الاجنبية في بيروت عن ذلك الحصار : « لم يستطع حتى الذباب أن يدخل أو يخرج من تلك المناطق » •

وكما أظهرت الايام فيما بعد ، فان مقتل بشير الجميل لم يكن سوى جزء من خطة أوسع وأشمل تم الاعداد والتخطيط لها بشكل متقن • فبعد أن سيطر الاسرائيليون على بيروت الغربية ، أعلنوا عن اتهامهم صراحة

للفلسطينيين واللبنانيين الوطنيين بمقتل بشير الجميل • وبدأت حملات التعسف ضد أهالي بيروت الغربية • وأصبحت القوات الاسرائيلية تسوق أهالي بيروت الغربية يوميا الى المدينة الرياضية المدمرة والتي تحمل اسم كميل شمعون ، وتسوقهم ايضا الى شاطىء البحر والى الساحات العامة • وهناك تقوم السلطات الاسرائيلية بالتدقيق في هوياتهم وشخصياتهم • وتحتجز أي انسان يشتبه به • واحتجزت اسرائيل بالفعل وخلال ثلاثة أيام فقط وحسب ما أورده راديو بيروت الرسمي حوالي ١٥٠٠ شخص • وكانت اسرائيل طيلة فترة سيطرتها على بيروت الغربية تقوم بحملات التفتيش والمداهمة والتمحيص بين صفوف الفلسطينيين واللبنانيين الوطنيين • وسرقت تلك القوات أرشيف مركز الاحصاء الفلسطيني، والوثائق المتواجدة في البنك العربي ، ووثائق مركز الدراسات الفلسطيني • كما وسرق جنود اسرائيل البيوت السكنية والمخازن والمتاجر اللبنانية • ولكن أكثر الجرائم الاسرائيلية وحشية وبشاعة تلك الجريمة التي اقترفتها اسرائيل في مخيمات صبرا وشاتيلا الفلسطينية ، وفي مستشفيات « غزة » و « عكا » حيث كان يتواجد الجرحى والمرضون فقط • ان تاريخ المخيمات الفلسطينية عامة ومخيمات صبرا وشاتيلا بشكل خاص ، يرتبط باليوم الاول لاقامة اسرائيل• ذلك لأن المهاجرين الفلسطينيين الذين طردتهم القوات الاسرائيلية من أراضيهم عام ١٩٤٨ ، ومن مدن يافا ، الناصرة ، والقدس ومن المدن الفلسطينية الاخرى ، استقروا في مخيمات صبرا وشاتيلا • لقد جاء هؤلاء الى لبنان هربا من الموت • ومات معظم ذويهم وأقاربهم على الارض الفلسطينية وبيد اسرائيلية • وأخذ هؤلاء بالتكاثر سنة بعد أخرى ، ووصل عدد السكان الاصليين لمخيم شاتيلا أثناء العدوان الاسرائيلي على لبنان عام ١٩٨٢ الى ٥٢ ألف شخص ، ومثلهم كان يسكن مخيم صبرا • لقد جاء في نص الاتفاق الذي التزم به الفلسطينيون المسلحون عندما خرجوا من بيروت ، والتزم به شارون عندما وقع عليه وبشهادة وضمانة الحكومة الامريكية ممثلة بمبعوثها الشخصي فيليب حبيب ، ضرورة المحافظة على

حياة المدنيين الفلسطينيين الآمنين والأبرياء في المخيمات الفلسطينية بلبنان .

ولكن اسرائيل وكعادتها ضربت فيما بعد بتلك الاتفاقية عرض الحائط . وبثت الاذاعات العالمية في الخامس عشر من أيلول أخبارا عن المجازر الدموية البشعة التي ارتكبها شارون وقواته الغازية في مخيمات صبرا وشاتيلا . وقال الفلسطينيون واللبنانيون الذين نجوا من مذابح صبرا وشاتيلا بأنه « أغار عليهم حوالي ٣٠٠ شخص كانوا يرتدون البزات العسكرية اللبنانية، ولكننا تعرفنا عليهم فورا من لهجتهم ، لقد كانوا جنودا من الجيش الاسرائيلي » .

وشهد بذلك السيد أحمد جرمانسون رئيس اللجنة اللبنانية لتقصي الحقائق حول تلك الجرائم . واضطر وزير الدفاع الاسرائيلي الجنرال شارون فيما بعد الى الاعتراف بأنه كان على علم بالتحضير لتلك المذابح . واعترف شارون أمام لجنة التحقيق التي تم تشكيلها في إسرائيل تحت الضغط الكبير الذي أبدته المعارضة الإسرائيلية والرأي العام الإسرائيلي بأنه سبق وناقش تفاصيل تلك العملية مع السكرتير الحكومي الأمريكي م. داربيير. وأعلن شارون بأنه تلقى الضوء الأمريكي الأخضر للبدء في تنفيذ العملية * .

لقد حاولت اسرائيل في البداية اخفاء آثار جريمتها ، والقاء المسؤولية على كاهل اللبنانيين أنفسهم . ولكننا نملك الآن الوثائق الكافية والتي تمكننا من رسم صورة دقيقة للاحداث التي جرت في بيروت الغربية وفي الفترة الواقعة بين ليلتي الثامن عشر والتاسع عشر من أيلول . لقد سمحت اسرائيل لمجموعات من الجنود المدربين بارتكاب تلك المجازر الدموية وبالدخول الى المخيمات الفلسطينية من خلال الطوق العسكري الاسرائيلي المفروض على صبرا وشاتيلا .

---

* انظر مجلة « ليتراتورنا غازيتا » السوفييتية ، عام ١٩٨٣ ، في الثامن عشر من شباط .

ان الصهاينة لا تنقصهم البراعة في ارتكاب مثل تلك الجرائم • فقبل خمسة وثلاثين عاما أرسلت الصهيونية وحتى قبل الاعلان عن قيام دولة اسرائيل مجموعات من الدمويين اليهود الى قرية ديرياسين العربية ، وارتكبت تلك المجموعات هناك مثل ما ارتكبته في صبرا وشاتيلا تماما • ففي التاسع من نيسان عام ١٩٤٨ ، قامت العصابات الصهيونية المسلحة والمسماة « ايرغون تسفاي ليومي » وعصابة « شتيرن » باحتلال مدينة دير ياسين العربية الصغيرة والتي تقع قرب مدينة القدس ، وذبحوا هناك حوالي ٢٥٧ عربيا من السكان العزل وكان معظم الضحايا من النساء والاطفال والشيوخ• وقاد تلك العملية الارهابية مناحيم بيغن ، والذي نعرفه الآن كرئيس وزراء اسرائيل • واعترف هذا الارهابي أكثر من مرة بمسؤوليته عن مذابح دير ياسين • ويبرر بيغن مجزرته تلك بقوله : « لقد هرب فيما بعد سكان تلك المناطق والتي استولينا عليها وأصبحت جزءا من اسرائيل » • وكان بيغن ورفاقه يحلمون آنذاك باقامة اسرائيل الصغيرة على الاقل •

واستطاعت عصابات بيغن الارهابية وحتى قبل الاعلان عن قيام دولة اسرائيل ، طرد ٤٠٠٠٠ عربي من أراضيهم • وأصبح هؤلاء الارهابيون في وقتنا الحاضر يخططون وينفذون العمليات الارهابية الكبيرة • ذلك لأن التوسع الكبير يتطلب المزيد من الضحايا والمزيد من سفك الدماء • وتتلخص المسألة الصهيونية الآن في اصرارها على قتل وطرد جميع سكان فلسطين• لقد تم قتل الآلاف في صبرا وشاتيلا • هذا هو اليوم حجم الجريمة الاسرائيلية • ان تلك المذابح تذكرنا اليوم بالجرائم الفاشية الهتلرية في مدن أرادور ، تريلبنكي ، بابيوم ياري ، ليدتيسي .... وغيرها •

ان جرائم اسرائيل هي تتمة منطقية لجرائم هتلر • ذلك لأن اسرائيل تعتمد على سياسة القوة والتوسع والارهاب ضد العرب لطردهم من أراضيهم والاستيلاء فيما بعد عليها •

ونشرت وكالة الانباء السوفييتية « تاس » فيما بعد تقريرا حول تلك

الاحداث جاء فيه : « ان اسرائيل لوحدها لا تجرؤ على فعل ما فعلتــه في صبرا وشاتيلا،ان الولايات المتحدة الامريكية هي شريك كامل في تلك الجرائم لأنها تقدم لاسرائيل الدعم غير المحدود ، لتمكنها بالتالي من تنفيذ خططها المشؤومة في المنطقة العربية • ان مذابح صبرا وشاتيلا ليست سوى ثمرة من ثمار وثيقة التفاهم والتعاون الاستراتيجي بين امريكا واسرائيل •• » *

لقد نفذت اسرائيل جريمتها في صبرا وشاتيلا ببرودة دم عجيبة • ان اناسا عاديين لا يستطيعون اقتراف تلك الجرائــم ، انهم عصابة ارهابية مدربة بشكل جيد على ارتكاب مثل تلك العمليات الوحشية البشعة •

وكتب مراسل صحيفة « باري ــ ماتش » في لبنان يقول : « لقــد خرج الفلسطينيون في البداية من بيوتهم وهم يحملون الرايات البيضـــاء لمقابلة جزاريهم ، لقد بدت عليهم دلالات الثقة والخوف في آن واحد ، وقام الجزارون من ثم باطلاق النار عليهم ، وانفتحت بعد ذلك شهيتهم على المزيد من القتل ، تقدمت « البلدوزرات » وأخذت بتدمير البيوت على رؤوس من فيها ، وقامت الجرافات بحمل القتلى وحطام السيارات مع بعضهم بعضا والقائهم في الحفر الكبيرة ، لقد دخلوا الى البيوت وذبحوا أسرا بأكملها» •

وتابع ذلك الصحفي الذي تمكن من الوصول الى مكان الجريمة يقول : «ان وحشية المجرمين في صبرا وشاتيلا يمكن رؤيتها في كيفية قتل ضحاياهم التي لم يتمكنوا من اخفائها • لقد كان الشيوخ والعجزة والنساء هم ضحايا صبرا وشاتيلا ، لقد رأيت أما مقتولة وهي تحتضن بذراعيها طفلا صغيرا ميتا » •

وقال مراسل صحيفة «ليومانيتيه» الفرنسية : « لقد رأيت في جنوب مخيمات صبرا وشاتيلا أسرة تتكون من ٢٤ شخص ، تم ذبحهم جميعا . لقد قتلوهم ومثلوا بأجسادهم ، فكانت هناك فتاة مقتولــة ومقطوعــة من خاصرتها بواسطة أدوات حادة ، وقطعت أرجل الشباب وأيديهم بعد أن تم

* صحيفة « زاروبيجوم » السوفييتية ، عام ١٩٨٢ ، رقم ٤١ ، ص ٦.

ذبحهم ، ورأيت امرأة مقتولة وعلى صــدرها طفلان صغيران تم تهشيم رأسيهما بالبلطات » •

وتابع الصحفي الفرنسي يقول :

« لقد استمرت عمليات الذبح في المخيمات الفلسطينية أكثر من ٣٦ ساعة » وحاصر هؤلاء القتلة المستشفيات الفلسطينية الرئيسية « عكــا » و «غزة» ـــ هذا ما قاله الفرنسيون في مستشفى «عكا» • ان اشارة الصليب الاحمر الدولي لم تفلح في دفع الموت عن المرضين اللبنانيين ، وعن ممرضة فلبينية ، حيث قام القتلة بذبحها بالسكاكين •

وجاء على لسان الدكتور دافيد كريفا العامل في مستشفى « غزة » الفلسطيني : بأن الجزارين ذبحوا ما تبقى لدينا من الكادر التمريضي • ولم يسلم حتى الاجانب من الذبح ، بعد أن وصفهم القتلة بأنهم «أعداء» لهــم ، وقتــل على الفــور أحــد الاطبــاء عندمــا اعترف بجنســيته الفلسطينية ••• » *

لقد جاءت تلك المجازر بناء على الرغبة الصهيونية في تفريغ الاراضي العربية المحتلة من أصحابها الاصليين ، وذلك اما عن طريق القتــل أو عن طريق التهجير والتخويف •

ولم تردع تلك الجرائم سلطات اسرائيل عن الاستمرار في تنفيــذ مخططاتها التوســعية • لم يمض أكثر من شهرين على اقتراف اســرائيل لمجازرها في صبرا وشاتيلا ، حتى أعلنت عن عزمها لزيادة عدد المستوطنات اليهودية في الاراضي العربية المحتلة ، وتم بالفعــل انتزاع ملكيــة نصف الاراضي التي تعود للعرب في الضفة الغربيــة المحتلــة ، وذلك لاقامــة مستوطنات يهودية جديدة عليها • ويطلق الاسرائيليون على العرب أصحاب

---

* صحيفة « زاروبيجوم » السوفييتية الصادرة عام ١٩٨٢ ، رقــم ٤١ ص ٦ •

الارض الشرعيين اسم « خيف » في دولة اسرائيل • لقـد كانت اسرائيل تخطط لطرد العرب من أراضيهم وممارسة الابادة الجماعية ضدهم فيما بعد •

وكان قادة الصهيونية عى علم يقين بأنهم لن يستطيعوا تنفيذ تلك المخططات مادامت منظمة التحرير الفلسطينية موجودة على وجه الارض ، ذلك لأنها وباعتراف جميع الفلسطينيين الممثل الشرعي والوحيد لهم •

لقد أرادت اسرائيل في لبنان القضاء على منظمة التحرير الفلسطينية بشكل كلي لأن جميع الشرفاء في الوطن العربي يتضامنون ويتعاونون معها• وكانت لدى جنرالات اسرائيل التي أمرت بالهجوم على لبنان رغبات أخرى كثيرة • لقد كانت لبنان تمثل بالنسبة لهؤلاء الجنرالات مختبرا لنظريتهم في تحقيق الهيمنة على المنطقة العربية بأسرها ، وذلك عن طريق تقسيم المجتمع العربي اذا أمكن الى دويلات صغيرة على أسس طائفية ودينية وعشائرية •

لم يكتف الصهاينة بتلك المخططات المتهورة ، وان ما كتبوه على جدار الكنيست الاسرائيلي « حدودك يا اسرائيل من الفرات الى النيل » لم يعد يكفيهم ، انهم يطمحون الآن بحدود أبعد من تلك بكثير • لم تعـد تكفيهم الامبراطورية الاسرائيلية التي تمتد على ربوع جميع الـدول المحيطـة باسرائيل •

وأشار الحزب الشيوعي الجزائري في مؤتمره السابع عام ١٩٨٢ الى « احتلال اسرائيل لجنوب لبنان ، وقمعها للفلسطينيين هناك يشير الى أن الامة العربية تمر في أزمة لم تشهد مثلها عبر التاريخ المعاصر ، ان العدوان الاسرائيلي على لبنان يشير الى رغبة الصهيونية العالمية في تحطيم جميع الحكومات العربية ، واقامة من ثم الامبراطورية الاسرائيلية على أنقاض تلك الدول ، مبتدئة بذلك من الشرق وستنتهي في المغرب العربي » •

ان مثل هذا التصريح واقعي وغير مبالغ فيه ، اذا ما تذكرنا الغـارة الاسرائيلية على المفاعل النووي العراقي قرب بغداد ، وتهديدات اسرائيل

المستمرة ضد الجماهيرية الليبية ، والعملية الاسرائيلية ضد مطار آوغندا الدولي (انتي بي) ٠

ان عدم احترام اسرائيل لجميع معايير العلاقات الدولية ، وتنكرها لمبادىء الانسانية ومبادىء العدل الدولي ، وممارستها لسياسة الابادة الجماعية ضد العرب ، انها تضع نفسها بذلك كعدو غادر يجب استنكاره وادانته عالميا ٠

ان اسرائيل لا تعتمد تلك السياسة في حالات الحرب فقط ، بل انها تعتمدها كايديولوجية سياسية ثابتة ، وكمنهاج تربي عليه أطفال اسرائيل ٠ « ان أكثر ما يغضب اليهودي ، هو أن تقول له بأنه لا يتجزأ من هذا العالم » * ٠

ان هذا الكلام يؤكد التطابق التام بين الايديولوجيتين الصهيونية والفاشية ، ذلك لأن كليهما يتحدث عن التفوق العرقي لشعبيهما ٠ لقد تعلم اليهودي على الايدي الصهيونية أنه أفضل من كل الشعوب الاخرى ٠ وأصبح هذا الاعتقاد يسري في دمه ٠

وأشار حتى الباحثين البورجوازيين الى تطابق النظريتين الصهيونية والفاشية الهتلرية ٠٠٠

وكتب المؤرخ الانكليزي المعروف توينبي عام ١٩٥٥ ما يلي : «ان شعار الرايخ الالماني الثالث « المانيا فوق الجميع » يطابق تماما الشعارات الصهيونية المعلنة كشعار « الارض الموعودة » و « شعب الله المختار » ٠

ذلك لأن الشعارات الصهيونية تدعي أن الشعب اليهودي حافظ على دمه وحضارته نظيفة على مر العصور » ٠

وكما يظهر فان الصهاينة لم يتعلموا من الدرس الالماني المرير ٠ وسار حكام اسرائيل على الطريق الذي سلكه أسلافهم في تطبيق النظريات

* صحيفة «بيتسوفوت خاغولا» الصادرة عام ١٩٧٥ ، تحت رقم ٧٥/٧٦٠

العرقية والعنصرية ، والتي تعني التفوق على الآخرين • كما ويعتبر التمييز العرقي والعنصري أساسي جدا في النظريات الايدولوجيــة الصهيونيــة ، وتظهر تلك المبادىء في التطبيقات العمليــة التي تمارســها الحكومــة الاسرائيلية يوميا •

لقد استطاع الرآي العام العالمي معرفة جوهر السياسة العرقيــة العنصرية الصهيونية والتي أخذتهــا اسرائيل من هتلــر ، على الرغم من ادعاءاتها اليوم حول « ديمقراطية » المجتمع الاسرائيلي •

واتخذت هيئة الامم المتحدة عــام ١٩٧٥ قرارا يقضــي باســتنكار الصهيونية وادانتها واعتبارها شكلا من أشكال العنصرية والتمييز العنصري •

ولكن الاسرائيليين قاموا « بتطبيق » النظريات الهتلرية بشكل عملي • فاذا كانت الفاشية تقوم بأعمالها بصورة محرمة دوليا ، وبصورة وقحة في معاملتها لسكان الاراضي التي تحتلها كالعقاب الجمــاعي ، والقهر والضغط والاستبداد ، فان السلطات الاسرائيلية تفعل نفس الشــيء ، ولكن تخلق دوما لتصرفاتها بعض الاسس والمبررات القانونية • انهم يكررون الجرائم الهتلرية نفسها ولكن تحت ذريعة « الدفاع عن النفس » ويعتبر هذا القانون ساريا ليس فقطفي الاراضي العربية المحتلة ، وانما على العرب المتواجدين في اسرائيل ذاتها •

ويصنف العرب داخل اسرائيل « كمواطنين من الدرجة الثالثة » أي بعد ما يسمونهم « باليهود الزنوج » القادمين من افريقيا والدول العربية • وبدأت اسرائيل بعدعام ١٩٦٧ بمعاملة المواطنين العرب فيالاراضي العربية المحتلة على أنهم « غرباء » أي طبقا للقانون الاسرائيلي الســابق • وتــم حرمانهم من جميع الحقوق السياسية ، وكان محرما عليهم تشكيل الاحزاب أو المنظمات السياسية الخاصة بهم •

وتعامل اسرائيل العرب فيالضفة الغربية المحتلة وقطاع غزة، وبخاصة الذين تجد عندهم السلطات الاسرائيلية أي كتاب من اصدار منظمة التحرير

الفلسطينية في اثناء بحثها وتفتيشها في بيوتهم ، معاملـة وحشية جـدا • « ان العرب أصحاب الارض الحقيقيين يعتبرون في اسرائيل « أجانب » بالنسبة لها ولمصيرها ، ويجب عليها معاملتهم حسب القواعد التي كانـوا يتعاملون بها في غابر الزمان • « علينا أن نقاتلهم •• » •

ويمكننا أن نقرأ على صفحات المجلة الاسرائيلية « معاليم » الطبعـة الرسمية الصادرة بهذا الخصوص عن وزارة الدفاع الاسرائيلية •

ان معرفة جوهر القاعدة « التي كانوا يستخدمونها في الماضي » يمكن في الاطلاع على مجلة أوري افنيري الاسرائيلية المعروفة الصادرة في التاسع عشر من شهر أيار عام ١٩٨٠حيث نشرت تلك المجلة أقوال أحد الجنـود الاسرائيليين أمام الكنيستالاسرائيلي حيث قال : « لقد تلقيت الايضاحات والاوامر من الضباط في القيادة العليا وجاء فيهـا انه علينا اخراج الاسر بكاملها من البيوت ، وعلينا قتل الابرياء أمام أطفالهم ، وعلينا أن لا نشعر بأن تلكالاعمالهي مجازر أو ما شابه ذلك فبالعكس عليكم أن تشعروا بأنكم تؤدون واجبكم ، وان هذه التصرفات هي امتياز لكم •••••

واذا ما ألقى على دورياتكم حجر أو ما شابه ذلك فعليكم أولا تكسير عظام المشتبه بهم والقاؤهم في سيارات الشـرطة وارسالهم الى المراكـز العسكرية ، ويجب أن تفهموا بأنه عندما يدخل عربي الى سيارة الشرطة فانه أصبح معتقلا ،وسيختفي فيما بعد والى الابد • هيا نفذوا الاوامر » •

ان ادراك حقيقة المستوطنات الاسرائيلية المبنية على الاراضي العربية التي تم اغتصابها من أصحابها الحقيقيين ، يعني أن اسرائيل لا تتوخى من ذلك الكسب المادي والاقتصادي فقط •

وخلص البرفسور الامريكي « اين ليش » والمتخصص بدراسة تأثير سياسة بناء المسـتعمرات الاسرائيلية على الزراعة العربيـة الى النتيجة التالية :

يجب أن لا ننظر الى التأثير العام لتلك المستوطنات كعدد من فدانات

الارض المسروقة فقط » • ذلك لأن سياسة سحب الارض التي تمارسها اسرائيل تثير في نفوس أصحابها اليأس مما يدفعهم بالتالي الى هجرها وتركها • ان مواطن الضفة الغربية المحتلة لنهر الاردن عندما يفكر في مصير الاراضي الفلسطينية ضمن حدود اسرائيل ، ويفهم ان اسرائيل لا تملك الحق في فرض انتخابات جائرة ، حيث ستزيد اسرائيل من قبضتها « القانونية » على تلك الاراضي ، أو تطرد السكان الذين يتمتعون بشخصية وطنية وقومية » ❋ •

ان سياسة الجريمة تحت غطاء انساني سمة مميزة من سمات الصهيونية ، فلقد أدارت الانتقادات العسكرية الاسرائيلية عام ١٩٦٧ رأس الصهاينة • وأخذوا بعد ذلك التاريخ باطلاق التصريحات التي تشير على عظمتهم وقوتهم ومطامعهم •

وانهالت المدائح الصهيونية على اسرائيل بعد عام ١٩٦٧ ، وأرادت اسرائيل أن تخلق عند الجميع في هذه المنطقة انطباعا بأن تصرفاتها هي من خياراتها ولم تفرض عليها من الخارج ، وأدلى لهذا السبب رئيس المنظمة الصهيونية العالمية السابق ناحوم غولدمان بتصريح استنكر فيه بعض العمليات التوسعية الاسرائيلية ، وقام بعض الصهاينة بذرف دموع التماسيح على « ضحايا العدوان الاسرائيلي المدنيين في لبنان » •

وتجلى هدف التكتيك الصهيوني هذا في غرس الفكرة البائدة عن اسرائيل الصغيرة التي يحيطها العرب من كل جانب ويريدون القاءها في البحر وعليها لذلك القيام بالحروب للدفاع عن وجودها وكيانها •

والهدف الثاني موجه لاضعاف المقاومة الدولية لسياسة الابادة الجماعية التي تمارسها اسرائيل ضد العرب ، وغرس الشعور في نفوس الشخصيات الرسمية الدولية بأن أمريكا لا علاقة لها بالاعتداءات الاسرائيلية مطلقا •

وفي واقع الحال فان الصهيونية العالمية والامبريالية الامريكية تتحملان

❋ « Palestine human rights bulletien » No 22 .

بصورة مباشرة المسؤولية عن جميع التصرفات الاسرائيلية • ان جميع العمليات العسكرية الاسرائيلية في الشرق الاوسط تتم بتنسيق مسبق مع القيادات الصهيونية العليا والمتواجدة في واشنطن •

وعلى سبيل المثال فان « خطة دروبلسا » الهادفة الى تثبيت مشروع ضم الاراضي العربية المحتلة الى اسرائيل تمت الموافقة عليها عام ١٩٧٨ مع المنظمة الصهيونية العالمية ، وكذلك تمت الموافقة على مشروع « الحكم الذاتي » في الضفة الغربية المحتلة والذي ورد ذكره في اتفاقيات كامب ديفيد •

ولم يعترف أي دبلوماسي آخر كما اعترف وزير الخارجية الاسرائيلي شامير بأن غزو لبنان كان بموافقة أمريكية تامة •

ان الولايات المتحدة الامريكية هي الطرف الوحيد الذي يقوم بتسليح اسرائيل ، ودعم خططها الرامية الى ابادة العرب بالجملة • لقد أمنت واشنطن لاسرائيل الدعم السياسي في مجلس الامن الدولي ، وكانت على الدوام تصد القرارات الدولية الداعية الى انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي اللبنانية دون شرط ، وذلك باستخدامها حق النقض « الفيتو » • لقد سعت اسرائيل بعد احتلالها لمساحات واسعة من الاراضي اللبنانية الى « استثمار » تلك الاراضي • وكانت تسير خلف الجنود الاسرائيليين أنواع مختلفة من الخبراء الاقتصاديين لدراسةامكانية استغلال تلك الاراضي من الناحية الاقتصادية • هذا بالضبط ما فعله هتلر عندما احتل جنوده الاراضي السوفييتية •

ان استمرار العدوان الاسرائيلي ضد لبنان ، يعني أن الجيش الاسرائيلي سيبقى في لبنان لفترة طويلة من الزمن ، وقد تطول هذه الفترة الى الابد • ذلك لأن هذا العدوان هو جزء من المخطط الصهيوني الكبير والقديم • ان تحطيم منظمة التحرير الفلسطينية والقوى الوطنية اللبنانية والتصفية الجسدية للشعب العربي الفلسطيني هي أيضا من صلب المخطط الصهيوني القديم •

ان اسرائيل تتذرع الآن بتمسكها بالاراضي اللبنانية وعدم انسحابها منها بقولها : ان عليها « رسالة حضارية » في منطقة الشرق الاوسط وعليها أن تؤديها ٠

يتعلم الاسرائيليون وينشؤون على المبادىء الفاشية٠ فقد صور حاييم وايزمن للورد بلفور العرب في رسالته التي بعث بها له عام ١٠١٧ بأنهم : « أناس أذكياء جدا ، ومدركين جدا ، الا أنهم خونة » ٠ أما العقيد ايرون دافيد قائد قوات المظليين في اسرائيل فوصف العرب في تصريحه لجريدة « معاريف » الاسرائيلية ، مطورا بذلك استريوتيب حاييم وايزمـــن حيث قال : « لم يكن في تاريخ العرب ابن سينا ، ولا ابن خلدون ، لم يكن عندهم أي فيلسوف عظيم ، ولا علماء ، ولم يعط كتاب القرون الوسطى أي انتاج ذي قيمة ٠٠ والعرب هم أقل المجتمعـــات وعيا في العالم ، انهم ببساطة يبيعون النفط ٠٠٠ انهم يتنفسون ٠٠٠ انهم مخـــربون ٠٠٠ ويجب على اسرائيل أن تحاربهم كطليع حضاري عالمي » ٠

ان مجازر وأحداث لبنان دليل ساطع على كيفية تصرف ذلك الطليع الحضاري ــ اسرائيل على أرض الواقع ٠

وتصور الدعاية الصهيونية احتلال أراضي الغير بأنه عودة الى الوطن بعد احتلال دام ٢٠٠٠ سنة من قبل العرب ٠

وجاء في أحد مقالات الكاتب الاسرائيلي المعروف (بن يامين تاموز) والذي نشر تحت اسم (يوجد ظل لشجرة الزيتون) :

« بأن رجوع أصحاب الارض الشرعيين الى « أراضيهم » عام ١٩٤٨ أثار دهشتهم وتعجبهم من أن عدم معرفة العرب لقيمة الارض كانت واضحة جدا والى درجة أن حبات الزيتون في فلسطين أصبحت مرة الطعم ، لقـــد جاء صاحب الارض الجديد وعرف قيمتها ، فصنع من جذوعهـــا التماثيـــل الجميلة وباعها للسواح الاجانب ، لقد رعى أشجاره فتطاولت حتى غطت

غصونها جنوب لبنان ، أي حتى غطت غصونها المنطقـة التي طرد اليهـا صاحبها القديم » •

بعد مرور ٣٤ سنة أصبحت بساتين الزيتون التي كان الفلسطينيون يفخرون بها في وقت من الاوقات أحراجا ومن ثم قطعت تلك الاشجار •

وكتب بهذا الخصوص.أحد الصحفيين الاسرائيليين « الزيتون هـو رمز التخلف ، انها كأعمدة التلغراف » لقد دخلت اسرائيل الى لبنان لتبني عليه حاجياتها « الجمالية » وتركت بدلا من القرى العامرة ليس فقط أعمدة التلغراف ، بل جثث البشر الملقاة على الطرق وفي المدن والقرى المدمرة ، وعلى بطاح المخيمات الفلسطينية في صبرا وشاتيلا •

قنابل النابالم بدلا من أغصان الزيتون

أعارت الولايات المتحدة الامريكية للصهيونية العالمية اهتماما بالغا منذ أن بدأت تلك الحركة نشاطاتها الاولى ، وبالمقابل فان الصهيونية العالميـــة كانت مهتمة جدا بالولايات المتحدة الامريكية • ففي شهر آذار عام ١٩١٥ اقترح غربيرت لويس صموئيل عضـــــو الطائفــة اليهوديــة الاول والذي استطاع الدخول الى مكاتب الحكومة الانكليزية حيث تسلم منصب وزير الداخلية البريطاني ، وهو صاحب مشروع ــ المذكرات الحكوميـــة حـــول مستقبل فلسطين على أساس البروتوكول البريطاني •

وكتب لويس صموئيل عن خطـــة « المركز اليهـــــودي » بخصوص فلسطين : « يجب أن تلاقي هذه الخطة الاستحسان عند اليهود الامريكيين وسنستطيع من خلالهم أيضا ارغام الولايات المتحدة الامريكية على الدعوة في الحرب ضد المانيا » * •

ان اهتمام الصهيونية العالمية بفلسطين ، وخاصة اليهود الامريكيين لم يأت فجأة ، ذلك لأن الحاخامات اليهود كانوا قد أعلنـــوا في مؤتمرهـــم المركزي الذي عقـــدوه عام ١٨٩٦ انهم يؤيـــدون « أية محاولة » لاقامة دولة خاصة باليهود •

لقد تمسكت تلك المنظمة برأيها حتى بعد الاعلان عن وعد بلفور • وفي تلك الفترة بدأت الولايات المتحدة الامريكية تهتم بالشرق الاوسط ، حيث استطاعت المنظمات الصهيونية لفت الانتباه الامريكي •

---

* مصادر الأزمات الخطرة ، موسكو ، عام ١٩٧٣ ، صفحة ٥٣ .

وبعد الاعلان عن وعد بلفور مباشرة ، والذي تضمن تعاطف اللورد بلفور « مع اقامة وطن قومي لليهــود في فلسطين » ، قام وزير الخارجية الامريكي في ذلك الوقت باجراء مناقشات مع اللورد بلفور حــول المشاكل التي ستنشأ عن الاستعمار اليهودي لفلسطين •

ومن المعلوم أن وزير الخارجية البريطاني في ذلك الوقت كان يشغل الى جانب منصبه منصبَ السفير البريطاني المفوض في واشنطن •

لقد أثارت الاعمال الارهابية ضد العرب في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية والتي قامت بها العصابات الصهيونية الدمويةابتهاجا وفرحة لا حدود لها داخل الولايات المتحدة الامريكية •

وفي اللحظة التي وصلت بها النشاطاتالارهابية الصهيونية ضد العرب نقطة الاوج ، نشرت صحيفة « نيويورك هيرالد تريبيون » رسالة موقعة من مؤلف السيناريو الشهير بن خيتشيوم ، جاء فيهــا ما يلي : « ان يهود أمريكا معكم ••• انكم أبطالهم وانتم البسمة التي يحملونها على وجوههم، انتم الريشة على قبعاتهم » **

ولم يمض وقت طويل على نشر تلك الرسالة ، حتى أصبحت الولايات المتحدة الامريكية لا تهتم فقط بالارهاب الاسرائيلي ، بل أخــذت تعمل كل شيء من أجل مساعدته ومساعدة اسرائيل لتوسيع نطاق ارهابها حتى يصبح جزءا من السياسة الحكومية الاسرائيلية الرسمية •

وطورت أمريكا فيما بعد علاقاتها باسرائيل الى مستوى التحــالفات الاستراتيجية والعسكرية معها • واعتمدت اسرائيل ضــد السكان العــرب سياسة القتل والتخويف بهدف قمع ارادتهم في المقاومة • ان كثرة ضحــايا الصهيونية في المنطقة العربية أدى الى نشوء حركــة المقاومــة الفلسطينية المسلحة •

وقامت الصهيونية بأكثر من أربعين محاولــة لاغتيــال الشخصيات

** « New York Herald Tribunery » 15 May , 1947 .

القيادية في منظمة التحرير الفلسطينية • وكانت وكالة المخابرات الاسرائيلية « الموساد » هي الطرف المخطط والمنفذ لتلك العمليات •

لقد بدأت اسرائيل حملتها الهادفة الى قتل الفلسطينيين في الاراضي العربية المحتلة ، وفي لبنان ، في أوربا ، وفي أفريقيا •

لقد شنت الطائرات الاسرائيلية العديد من الغارات الجوية على أماكن تواجد المنظمات الفلسطينية وذلك قبيل الغزو الاسرائيلي الاخير للبنان •

وعلى الصعيد الآخر فقد تم التخطيط لقتل ممثلي منظمة التحرير الفلسطينية في العواصم الاوربية •

وبكلمة واحدة نستطيع القول ان الصهيونية رفعت شعار قتل الفلسطينيين في أي مكان وفي كل زمان وبأية وسيلة •

فبعد ان اعتمدت الحكومة الاسرائيلية الارهاب كسياسة ثابتة لها ، أصبح من الطبيعي ان تستخدم اسرائيل الطرق الارهابية في التعامل مع الآخرين على أوسع نطا ق• ولم تعد « الموساد » هي الطرف الوحيد الذي ينفذ الارهاب ضد العرب ، بل أصبح الجيش الاسرائيلي بأكمله أداة لتنفيذ المخططات الارهابية الكبيرة •

ولم تعد اسرائيل مهتمة بتنفيذ أهدافها فقط ، بل وأخذت على عاتقها تنفيذ المخططات الامبريالية الكبرى •

ونشرت جريدة « يديعوت احرنوت » الاسرائيلية ذات مرة التصريح الذي أدلى به شارون ، حيث بدا مفتخرا بجيشه الى درجة الغرور — « الجيش الاسرائيلي هو أقوى الجيوش في حلف الناتو ، واذا ما اقتضى الامر فاننا نستطيع احتلال المنطقة الواقعة من الخرطوم حتى بغداد الى الجزائر » •

وبعد ذلك التصريح بقليل طلب عضو مجلس الشيوخ الامريكي ف •

فولبرايت ورئيس لجنة الشؤون الخارجيـــة في المجلس من وزير الخارجية الامريكي روجرس ايضاحات حولحقيقة النوايا الاسرائيلية في احتلال منابع النفط العربية بمنطقة الخليج ٠

لقد حاولت الولايات المتحدة الامريكية وعبر سنين طويلة اشـــاعة الدعايات التي تفيد ان مصـــير اقتصادها غير متعلق بالثروات الباطنية في الشرق الاوسط وخاصة بالنفط العربي ٠

ويراد من الاعلان رسميا عن هـــذه القضية ، اضعاف يقظة الشعوب العربية تجاه الطبع العدواني الذي تتسم به السياسة الامريكية تجاههم . واقناع العرب بالسير في طريق كامب ديفيد ، وتصـــويره للعرب وكأنه لا يهدد سيادتهم ٠ وواقع الامر أن كامب ديفيد هو خرق واضـــح لســيادة واستقلالهم ، وان أمريكا تطمع منذ زمن بعيد في خيرات الشرق الاوسط . وتكثيف وجودها في هذه المنطقة البعيدة والتي تقع على بعـــد آلاف الكيلو مترات من حدودها ٠

لقد كان النفط العربي على الدوام هو الشغل الشاغل للولايات المتحدة الامريكية ٠

ان مجرد حديث الولايات المتحدة حول استقلال اقتصادها عن النفط العربي غير كاف لاقناعنا بصحة هـــذه الاقـــاويل ، وعلينا أن ننظـــر الى الاحتياطي الهائل من النفط الذي يكمن في باطن الارض العربية ٠ وصحيح ان اسعار النفط العربي تباع بالمقارنة مع الاسعار العالمية وأسعار السوق الامريكية ، الا أن تلك الاسعار تتعلق بشكل مباشر بحجم استخراج النفط في منطقة الشرق الاوسط ٠ وأشار مساعد وزير الخارجية الامريكي لشؤون الشرق الاوسط ، وجنوب آسيا غ ٠ ساندرس في تصريح له في ١٢ تموز عام ١٩٧٨ ، الى أن : « كمية البترول المستوردة من الشرق الاوسط غطت حوالي ٣٢٪ من مجموع الاحتياجات النفطية الامريكية في الفترة الواقعة قبل عام ١٩٧٧ وفي ذلك العـــام غطت حوالي ٥٠٪ من تلك الاحتياجـــات ، ووصلت النسبة عام ١٩٧٣ الى ٢٩٪ » ٠

هذه الارقام تدل على الارتباط المتصاعد للولايات المتحـدة الامريكية بالنفط العربي • لقد أعلنت الدول العربية وبالاجماع عام ١٩٧٣ أي خلال حرب تشرين عن فرض حصار نفطي على جميع الدول التي تساند اسرائيل في عدوانها ضـد العرب ، وأظلمت شوارع المدن الاوروبية نتيجـة لذلك الحصار النفطي ، لقد خففوا من الاضاءة في شوارع مدنهم تفاديا لصرف وهدر الطاقة • وبدأوا يتحدثون عن عدم نفع العلم ، وعدم الجدوى من حضارة النفط ، وأعلنوا بأن تلك الحضارة وصلت الى طريق مسدود •

لقد أصبحت حياة المواطنين الاوربيين سوداء ، بطيئة ومملة وباردة •

وعلى سبيل المثال فقد لاحظ رئيس الوزراء الاسرائيلي خلال زيارته للرئيس الفرنسي فاليري جيسكار ديستان بأن قاعة الطعام في قصر الاليزية الفرنسي كانت باردة جدا ، مما اضطرهم الى نقل الطعام الى قاعة المكتبة •

ولاحظ رئيس الوزراء الاسرائيلي انطفاء الانوار في شوارع باريس ، وقلة الراغبين في شراء السيارات ، والاجهزة الكهربائية المتنوعة •

أما في صيف عام ١٩٨٢ ، أي خلال الغزو الاسرائيلي للبنـان ، وعلى الرغم من النداءات العديدة التي أطلقها قادة منظمة التحـرير الفلسطينية لفرض حصار نفطي جديد ، فان الدول العربية لم تتخذ أية عقوبة اقتصادية بحق الولايات المتحدة الامريكية والحلفاء الآخرين لاسرائيل •

ان للتصرفات العربية السلبية تلك اسبابا عديدة ، ففي نتيجـة زيادة تصدير النفط من الشرق الاوسط ، تكدست عند العـرب مئات الملايين من الدولارات والتي تسمى بالمبالغ « الفائضة » عن الحاجة •

وخلص ساندرس الى النتيجة التالية :

« لقد احتل الشرق الاوسط في الحسابات « الامريكية » وخاصة فيما يتعلق باحتياطي القدرة ، وموازين المدفوعات ، واستقرار الدولار دورا لم يكن معقولا ولا متوقعا أن تلعبه تلك المنطقة بهذه الصورة » •

هذا الاستنتاج دفع الولايات المتحدة الامريكيـــة الى تكثيف وجودها العسكري في الشرق الاوسط •

لم تكن المسألة مطروحة على انها اتفاقيات تعـــاون اقتصادي متكافئة بين العرب وأمريكا وتلبي في الوقـت نفسه المصالح الامريكيــة • وأصبح واضحا أن جوهر المسألة يتلخص في أن أمريكـــا تحـــاول تعزيز وجودهـــا العسكري في الشرق الاوسط وشق الصف العربي وتشكيل حلف عسكري في هذه المنطقة الغربية عنهم • زد على ذلك ان العديد من الدول النفطية العربية والتي تحكمها أنظمة محافظة قامت بايداع أموالها الهائلة في البنوك الامريكية وبنوك أوربا الغربية ، حيث أصبح رأس المال يتزايد باستمرار •

ومن الصعب جدا أن نفترض أن الدول العربيـــة ستستطيع مرة ثانية فرض حصار نفطي على أوربا الغربية كما حدث في عام ١٩٧٣ •

ان الخطر الذي يمكن أن يشكله رأس المال العربي على الدول الاوروبية قد فقد أهميته ، ذلك لأن العرب ربطوا مصير تلك الاموال بالولايات المتحدة الامريكية ، وأصبحت تلك الاموال أسيرة السياسة الامريكية •

وتسعى الولايات المتحدة الامريكيـــة الى اشاعة ما يسمونه بالخطر السوفييتي في المنطقة العربية ، وذلك بهدف جر الدول المذكورة الى تحالفات عسكرية مع امريكا ، وللانتقاص بالتالي من سيادة تلك الدول على أراضيها ؛ أي موافقة تلك الدول على اقامة قواعد عسكرية أجنبية على أراضيها •

ان مثل هذه السياسة ستؤدي برأي الولايـــات المتحـــدة الى زيادة نفوذها وسيطرتها على المنطقة العربية •

ومن المعروف ان مؤتمر الشمال والجنوب قد فشـــل منذ عدة سنوات خلت ، لأن الدول الامبريالية العـــظمى وخاصة حكومة الولايـــات المتحدة الامريكية حاولت أن تؤمن لنفسها السيطرة على الثروات الطبيعية في دول العالم النامية •ويتضح الآن الهدف من الصراخ الامـــريكي على مسمع من العالم كله حول الخطر السوفييتي ، وهو أن أمريكا تريد بذلك تقوية موقفها

العسكري ــ الاستراتيجي وفي المناطق التي تشتهر بثرواتها الباطنية تحديدا. ان مثل تلك المناطق تعتبر ضرورية لاحتكاراتها • ومن المعـروف أيضا بأن منطقة الشرق الاوسط هي أكثر مناطق العـالم غنى • ان مثل تلك المواقف الامريكية ، لن تساعد الا في اعاقة حل المشكلة الشرق أوسطية والتي تعتبر من أكثر مشاكل العالم خطرا بالتفجر •

ونشرت صحيفة « اسرائيل ــ فلسطين » اليهودية ، والتي تصدر في باريس وذلك قبيل حرب عام ١٩٧٣ بعدة أيام مقالا تحدثت فيه عن خطـة اسرائيلية لاحتلال منابع النفط العربية تم الاعداد لها بشكل دقيق وتحـت موافقة البنتاغون عليها •

وحسب هذه الخطة : يلتزم الجيش الاسرائيلي باحتلال تلك المناطق ثم ينسحب منها ويسلمها الى الجيش الامريكي •

وتم معرفة تفاصيل هذه الخطة واعلانها عام ١٩٧٣ * •

انفكرة احتلال منابع النفط العربية قديمة وترجع الى فترة الخمسينات من هذا القرن ، وهناك العديد من الوثائق التي تثبت صحة هذه المقولة •

ان العدوان الاسرائيلي ضد لبنان كان يقع ضمن هذه الخطة ، ولأول مرة في التاريخ يقوم الجيش الاسرائيلي باحتـلال الاراضي العربيـة ثم يتراجع عنها ويسلمها للجيش الامريكي •

امريكا تتدلل وتتاجر أحيانا في تطبيق تلك الخطة :

كم من القوات عليها أن ترسل الى تلك المناطق ؟ وهل لديها متسع من الوقت ؟ لقد تعلم التلاميذ من أساتذتهم الى درجة انهم قد تفوقوا عليهم •

وتلتزم أمريكا بتنفيذ سياسـة مزدوجة • ففي حين تقـف الولايات

---

* صحيفة « الوطن » ، عام ١٩٨١ ، رقم ٩ ، شهر نوفمبر .

المتحدة في هيئة الامم المتحدة لصد هجوم ممثلي شعوب العالم على السياسة الاسرائيلية العدوانية ــ (أمريكا ضد شعوب العــالم قاطبة ، ان صورتها هذه لا تبدو جميلة) • أما في الشرق الاوســط فيتابع فيليب حبيب الممثل للرئيس الامريكي ريغان جولته في المنطقــة وهو يطبع على وجهه ابتسامة مصطنعة •

وتشكل حكومات الشرق الاوسط على الولايات المتحــدة الامريكيــة بامكاناتها المادية وهيبتها ونفوذها العالميين ضغطا من أجــل أن تحل لهم مشاكلهم •

الولايات المتحدة تتحدث مع لبنان وكأنها تتحدث مع الاطفال ، حيث تقول لهم : فيليب حبيب يحمل اسم عربي ، انه لبناني الاصل ، ولم ينس حتى لغته العربية الام ، أنظروا أيها اللبنانيون كيف يثق الرئيس الامريكي شخصيا بمواطن لبناني •

لماذا تعجزون عن الاتفاق مع ابنكم ؟ لا يوجد أحد غريب • اتفقوا مع بعضكم بعضا ــ (اتفقوا مع فيليب حبيب) •

واستمرت وساطة فيليب حبيب على الساحة اللبنانية اشهرا طويلة، في حين استمرت الطائرات الاسرائيلية بحصد الاحياء اللبنانية واحدا تلو الآخر، وفي تدمير العاصمة اللبنانية بيروت •

لقد كان الاسرائيليون يعرفون جيد المناطق التي يجب قصفها ، وكانوا يعرفون بكل دقة الطريق الذي يسلكه فيليب حبيب داخل العاصمة اللبنانية بيروت بالسنتيمتر • وكان مدى تأثير الصواريخ والقنــابل الاسرائيلية في بيروت محددا بدقة متناهية ، ذلك لأنة لم تسقط شــعرة واحدة من رأس الدبلوماسي الامريكي حبيب الذي كان يتجول أثناء القصف داخل بيروت ، في حين كانت رؤوس اللبنانيين تتطاير من فوق أجسادهم •

طلب لبنان انعقــاد مجلس الامــن الدولي ، وناقش ذلــك المجلس تفصيلات القرار الذي أدان العدوان الاسرائيلي لاقراره ، الا ان المندوب

الامريكي الدائم لدى مجلس الامن الدولي استطاع افشال القرار المذكور وذلك باستخدامه حق النقض « الفيتو » •

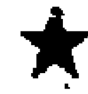
لقد طالب مشروع القرار بوقف جميع أنواع العمـليات الحربية على الاراضي اللبنانية خلال ست ساعات، والى سحب القوات الاسرائيلية بشكل فوري وغير مشروط من جميع الاراضي اللبنانيـة حتى الحـدود الدوليـة المعترف بها •

لقد دأب الوفد الامريكي في مجلس الامن الدولي الى اعاقة وافشال عملية التصويت على مشروع القرار الذي يدين العدوان الاسرائيلي •

وبالفعل فقد أفلحت أمريكا في تأخير عملية التصويت لمدة ١٢ ساعة ، وذلك بعد استدعاء أعضاء مجلس الامـن الدولي للاجتماع وبطلب من لبنان ، وللمرة الثالثة على التوالي •••

وصرح المراقب الدائم لمنظمـة التحرير الفلسـطينية زهدي الطرزي ان : « الولايات المتحدة الامريكية هي شريك مباشر لاسرائيل في عدوانها على لبنان ، وان « الفيتو » الامريكي يعني بشكل واضح استمرار العدوان الاسرائيلي ضد لبنان ، وليس من قبيل الصدفة أن يعلن المندوب الامريكي الدائم في الهيئة الدولية عن موافقة الادارة الامريكية على تقديم صفقة من الاسلحة المتطورة جدا لحليفتها اسرائيل وبمبلغ اجمالي قدره مليار دولار • وبذلك يعطي الامريكيون للمعتدين الاسرائيليين الاشـارة للاستمرار في اعتداءاتهم ، ويلمحون لهم بأنهم لن يدفعوا أي شيء فيما اذا ساروا علـى طريق تنفيذ السياسة الامبريالية القرصنية في المنطقة •

هكذا كانت البداية •••

وتم الاعلان في واشنطن عن استئناف مهمة المبعوث الامـريكي فيليب حبيب حتى قبل أن تتم مراسم دفن ضحايا صبرا وشاتيلا •

ورافقت تلك الحملة الدبلوماسية حملة دعائية مسعورة مفادها أن الولايات المتحدة الامريكية حريصة على تحقيق « السلام » و «الاستقرار» في المنطقة العربية •

ولم يتغير الخط السياسي العدواني الامريكي تجاه شعوب الشرق الاوسط •

ولم تتضمن تلك المبادرة أي شيء جديد أو اقتراح عملي جدي •

لقد انكرت تلك المبادرات حق الفلسطينيين في العودة وتقرير المصير واقامة دولتهم المستقلة • واستمرت واشنطن بتقديم الشحنات الكبيرة من الاسلحة الفتاكة الى حكومة تل أبيب ، وكان ذلك بحجة الحفاظ على « أمن » اسرائيل ، وأمن اسرائيل يعني بالنسبة للامريكيين تفوق اسرائيل المطلق على جميع الدول العربية مجتمعة •

وكانت الادارة الامريكية جادة لتقوية نفوذها الشخصي في الشرق الاوسط • وعلى صعيد الانسحابات العسكرية من لبنان ، أيدت الولايات المتحدة الامريكية الموقف الاسرائيلي الداعي الى سحب القوات السورية والفلسطينية من لبنان ، وعدم اعطاء الجانب العربي أية ضمانات لسحب قواتها •

وأشارت الصحافةالعربية ــ وهي محقة بذلك ــ الىأن لبنان لن يستطيع الاعتماد على تأكيدات فيليب حبيب للعرب، والمتضمنة تعهده بسحب القوات الاسرائيلية المحتلة من جميع الاراضي اللبنانية •

حضروا للجريمة سوية

ان مرور أي وقت مهمـا طال على ارتكاب اسرائيل لجرائمهـا ضـد المدنيين الآمنين في بـيروت وفي مخيمات صبرا وشاتيلا وفي المستشفيات الفلسطينية « يافا » و « عكا » ضد الجرحى هناك لن ينسوا تلك الجرائم المرعبة والنذلة .

ويجب أن نتذكر هنا بأن اسرائيل والولايات المتحدة الامريكية حضرا للجريمة سوية ، وتم توزيع الادوار بشكل دقيق بينهما .

اسرائيل هي المنظم والمنفذ للجريمة ، وأمريكا كانت توجـه تحركات القتلة وتحمي ظهرهم ، ولهذا السبب لم ترغب كل من اسرائيل وأمـريكا في في اجراء تحقيق موضـوعي حول الجريمـة ، ذلك لأن مثل هذا التحـقيق سيكشف عن النوابض الداخلية لميكانيك الاغتصاب والارهاب الصهيوني .

هذا الميكانيك مازال يفعل حتى الآن ، والمبلغ الذي يقدر بحوالي ٨ر٢ مليار دولار والذي يتحتم على أمريكا نقله الى تل أبيب قبل نهاية عام ١٩٨٣ يكشف هذه الحقيقة .

ان تلك الدولارات تعني ان دما عربيا جديدا سيهدر في هذه المنطقة . ولكي يشبع مصاصو الدماء الصهاينة ظمأهم منه ، وليحققوا بالتالي أفكارهم المجنونة حول بناء « اسرائيل العظمى » .

وارتعش العالم أجمع عندما سـمع بجرائم ومذابح دير ياسين . عندها أي في عام ١٩٤٨ كانت جرائم هتلر القذرة مازالت حديثة العهد .

وظن الكثيرون بأنه قد حصل خطأ مأساوي جديد ، وأن عصر الفاشية

قد رجع مرة ثانية • وبالفعل فقد رأى العالم أجمع في دير ياسين جرائم أكثر بشاعة حتى من جرائم هتلر •

ويظهر من جديد شبح بيغن خلف بحار الدم في صبرا وشاتيلا ، لم يكن عدد القتلى بالعشرات كما كان في دير ياسين بل بالآلاف •

ومهما يكن الماضي ثقيلا بذكرياته عن الفاشية ، فان الضمير البشري ينظر دوما بقلق وخوف الى المستقبل • و لايستطيع الضمير الحي أن يسكت ازاء حرب الابادة الجماعية التي تمارسها اسرائيل ضد العرب والتي تستند على الدولارات الامريكية وعلى قطع أشجار البرتقال العربية من جذورها • ويجب أن يخلص الضمير الى النتيجة التالية : « الجريمة التي تقع اليوم يمكن أن تتكرر غدا بصورة أكثر وحشية ونذالة ووقاحة ، لأنه لم تكن هناك جريمة استطاع الروبت* الاسرائيلي أن يقف دونها ، لأنه قد تمت عملية برمجته من قبل « الحلف الاستراتيجي » الامريكي الاسرائيلي لتأمين المصالح الامريكية في المنطقة وخاصة تأمين الوقود والمواد الاولية» • ويعرف الجميع في الشرق الاوسط هذه الحقائق •

ولن يكون هناك أدنى شك بعد اليوم بحقيقة النوايا الامريكية السافلة في هذه المنطقة • ويظهر اليوم كما لم يكن من قبل ان الاعتماد على أمريكا التي تحتضن اسرائيل على مرأى م نالعالم أجمع ، هي خيانة للامة العربية ومصالحها •

ويخص هذا الكلام بصورة مباشرة أولئك الذين يراهنون على كامب ديفيد •

ان طريق الوعود المرة يشكل في واقع الحال استفزازا للعرب ،بهدف المناورة وعدم حل المشكلة المعقدة في الشرق الاوسط بشكل جذري •

---

* كلمة روبت تعني الانسان الالي الذي يطيع الاوامر بشكل أعمى — (المترجم) •

واستغلت أمريكا هذه المشكلة لنشر قواتها في منطقة الخليج وسيناء والقاء لبنان تحت أقدام اسرائيل ، ومن ثم دخول قواتها الى ذلك البلد • وكيف يمكن للحديث أن يدور في ظل هذه الظروف عن ان مفاتيح الحل تقع في الايدي الامريكية ؟

لقد تدرب جلاد بيروت الجنرال شارون ومنذ زمن بعيد على العمل في الأراضي التي تم « تنظيفها » من العــرب ، والتي داستها أقدام الجنــود الجنود الاسرائيليين • وشارون هو نفس الشخص الذي شــكل مجموعات « الطوافين الخضر » المسلحة والتي أوكلت لها مهمــة « تنظيف » منطقة النقب الفلسطينية من العرب بعد الحرب الاسرائيلية الفلســطينية الاولى عام ١٩٤٨ • لقد قتل شارون قطعان الماشية العربية ، وســرق كل شيء صادفه في الطريق ، وردم آبار المياه العربية ، وحشر الفقراء في مخيمــات خاصة بهم •

وأخذ الاسرائيليون يطبقون تلك السياسة في الاراضي العربيــة التي تم احتلالها عام ١٩٦٧ • فشــنوا حملات الارهاب ضدهم بهدف طردهم من أراضيهم •

وبدأت اسرائيل ومنــذ عام ١٩٦٧ ببناء المستوطنات اليهــودية على الاراضي العربية المحتلة •

ووضعت الوكالة اليهودية ، والمنظمات الصهيونية الاخرى خطة تقضي بانشاء المستعمرات الاسرائيلية على الاراضي العربية المحتلة بحيث تغطي حتى عام ١٩٩٥ منطقة نهر الاردن ، لاستغلال مياه ذلك النهر بالاضافة الى مصادرة الاراضي الزراعية الخصبة المحيطة به لصالح اسرائيل والمهاجرين اليهود الجدد •

لم تعجب هذه الخطة مصاص الدماء مناحيــم بيغن ، وسبق ان صرح ومنذ اليوم الاول لتسلم كتلة « الليكود » الحكم في اسرائيل : « بأن يهودا والسامرة هي أراض اسرائيلية محررة » ، وأصدرت الحكومة الاسرائيلية

عام ١٩٦٩ التي يترأسها مناحيم بيغن قرارا يقضي باعطاء اليهود الحق في امتلاك الاراضي التي تسيطر عليها اسرائيل ، وتم تقسيم أراضي الضفة الغربية المحتلة بناء على هذا القرار الى احياء وقطاعات عديدة محاطة بالمستعمرات العسكرية الاسرائيلية •

وشرعت اسرائيل في تنفيذ سياسة تخفيف الكثافة السكانية العربية داخل تلك الأراضي • وحسب القرار الذي اتخذته حكومة بيغن ، كان على اسرائيل تخفيف عدد السكان العرب في الضفة الغربية وقطاع غزة من (١٢٠٠٠٠٠ نسمة الى ٥٠٠٠٠ نسمة) ، وتقضي الخطة الاسرائيلية بطرد هؤلاء السكان الى الدول العربية المجاورة •

ولم تستطع أية قوة ، التأثير على حكومة بيغن للعدول عن برنامجها •

واتخذت تلك الحكومة خطوات استيطانية جديدة ، واستولت حكومة بيغن على القسم الشرقي من مدينة القدس •

وأحاط الاسرائيليون الجزء الشرقي من القدس ببنايات عالية جداً • ويتلخص هدف الخطوة المعمارية الاسرائيلية المذكورة في تخفيف التزايد السكاني والمعماري العربي في تلك المنطقة •

فبدا الفلسطينيون وكأنهم في الغيتو ، وشعروا بضرورة الخروج من المدينة • وخرقت اسرائيل بذلك وضع المدينة المعترف به دوليا عبر القرارات الصادرة عن هيئة الامم المتحدة عام ١٩٤٨ •

وأعلن الصهاينة بأن القدس هي عاصمتهم الابدية •

لم تكتف حكومة بيغن بذلك ، بل أعلنت عن ضم مرتفعات الجولان السورية المحتلة والتي تقدر مساحتها بحوالي (١٠٠٠) كيلو متر مربع ، والتي تم احتلالها بعد عدوان عام ١٩٦٧ • وفرضت اسرائيل سيطرتها على سفوح جبل الحرمون ، وعلى منابع نهر الحاصباني وبانياس ، وعلى بحيرة طبريا السورية والتي تحتوي على كمية من الماء تقدر بحوالي (٣٧٥) مليون

كيلو متر مكعب • ولهضبة الجولان الســورية بالاضافــة الى الاهميــة الاقتصادية ، أهمية استراتيجية عظمى •

وقامت الحكومة الاسرائيلية وبالاعتمــاد على اتفاقيات كامب ديفيد بتوزيع السلطات المدنية والعسكرية في الضفة الغربية المحتلة وقطاع غزة •

ويتلخص الهدف من وراء هذه الخطة في ترسيخ الاحتلال العسكري الاسرائيلي لتلك المناطق ، وللسير نحــو ما يسمونه « بالحــكم الاداري الذاتي » للفلسطينيين في تلك المناطق •

ان رجال الحرب الاسرائيليين لا يهددون فقــط الشعب الفلسطيني ، بل وينوون اقامة امبراطوريتهم العظمى ، والتي رسموا حدودها على الشكل التالي : الصين من الشرق ، والاتحاد السوفييتي من الشمال ، والجزائر والمغرب العربي من الغرب ومن الجنوب كينيا وجمهورية جنوب أفريقيا • وينفذ الصهاينة بذلك الحجز الاجتماعي الذي وضعه الامريكــان ، والذين يعتبرون بحق حماة الصهاينة وسندهم •

أصدر البيت الابيض الامريكي في نهايــة عام ١٩٨١ تقريرا شاملا حول نشاطات الادارة الامريكية في عهد الرئيس رونالد ريغان * • وتــم تعريف سياسة واشنطن في تلــك الفترة تجاه الشرق الاوســط على النحو التالي :

لقد حقق « التوازن الاستراتيجي » السلام في تلك المنطقة من العالم، وبغض النظر عن التعاون « الامني » مع دول أخــرى في منطقــة الشرق الاوسط • ويمكن أن نلاحظ هنا محاولات أمريكــا المكشوفة لجــذب بلدان الشرق الاوسط الى فلك تحالفاتها العســكرية ومخــططاتها الاستراتيجية الهادفة الى ترسيخ الهيمنة الامريكية على تلك الحكومات •

---

* تقرير البيت الابيض عن نتيجة النشــاطات التي مارســتها الادارة الامريكية في الشرق الاوسط ، عام ١٩٨١ ، « بداية جديدة : صورة النشاطات الامريكية في عام ١٩٨١ » .

وتحدث التقرير عن اتخاذ الولايات المتحدة الامريكية اجراءات كثيرة تهدف الى « توسيع التعاون الاستراتيجي » بين مجموعة من الدول العربية واسرائيل • « وقامت الولايات المتحدة الامريكية بتشكيل قيادة عسكرية في تلك المنطقة ، بهدف الدفاع عن المصالح المصيرية للولايات المتحدة الامريكية• فأعطى الرئيس الامريكي الاوامر بتوسيع التعاون الاسرائيلي مع كل من مصر والسودان وعمان والاردن بالاضافة الى اسرائيل » • وتبقى اسرائيل حسب هذه الخطة الحليف المتميز لامريكا •

وتحدث التقرير الامريكي عن الدعم الامريكي المطلق « لكل من يسعى الى السلام على أساس اتفاقيات كامب ديفيد» • وتم اتخاذ القرار باشتراك القوات الامريكية المسلحة في ما يسمى « بالقوات المتعددة الجنسيات » المتواجدة في شبه جزيرة سيناء •

ويمكن أن نجمل « النجاحات » التي حققتها السياسة الامريكية في الشرق الاوسط والتي جاءت في التقرير الامريكي على النحو التالي : «أدت مهمة فيليب حبيب في بيروت في شهر أيار عام ١٩٨١ الى « وقف » النزاع المستمر في لبنان • علما بأن سبب هذه الاحداث يعود أصلا الى العدوان الاسرائيلي المستمر على لبنان ، ارسال طائرتي تجسس امريكيتين الى الاجواء المصرية بعد مقتل السادات ، والضغط على مصر بهدف اجبارها على توسيع علاقاتها مع اسرائيل ، واستطاعت الولايات المتحدة الامريكية كذلك « صد الاقتراح المقدم الى الامم المتحدة بهدف طرد اسرائيل من عضويتها» • بالاضافة الى احباط أي قرار دولي يدين التصرفات الاسرائيلية العدوانية•

ان السياسة الامريكية المعلنة في عهد الرئيس ريغان ، لا تترك لدينا أدنى شك بأنها تسير في طريق معاد للأهداف والمصالح العربية الاساسية • يتجلى تدخل الولايات المتحدة الامريكية في شؤون لبنان الداخلية في مشاركتها العسكرية الفعالة في النزاع هناك » وخاصة في تمركز بوارجها في البحر الابيض المتوسط في صيف عام ١٩٨١ • وأسقطت تلك البوارج عددا من الطائرات اللبنانية •

لم تعد أمريكا تكتفي بالاعتماد على اسرائيل ، فباشرت بنشر « قوات التدخل السريع » في منطقة الخليج لاقامة رأس جسر لها في تلك المنطقة مما يسهل عليها بالتالي احتلال منابع النفط هناك اذا اقتضى الامر ذلك • وتلقت اسرائيل خلال غزوها للبنان، وتحت شعار القضاء علىمنظمةالتحرير الفلسطينية كل الدعم والتأييد اللازمين من ادارة ريغان •

وكانت الولايات المتحدة ترسل مع وفودها الدبلوماسية الى الشرق الاوسط بعض الشخصيات العسكرية • ثم ظهر فيليب حبيب في المنطقة مرة أخرى • عجزت الصهيونية العالمية والولايات المتحدة الامريكية حتى نهاية عدوانهما ضد لبنان عن تحقيق أي هدف من أهدافهما المعلنة في تلك المنطقة• أجل — لم يكن أحد يعتقد بأن جيش اسرائيل الذي « لا يقهر » سيتعثر على تخوم بيروت الغربية • وتبين وقتها للجميع بأن الجمل يستطيع أن ينفذ من ثقب الابرة ولكن اسرائيل لن تستطيع النفاذ الى بيروت الغربية •

وفهم العالم أجمع الحقيقتين المترابطتين مع بعضهما بعضا وهما :

أولا : لا يمكن أن يتحقق السلام في الشرق الاوسط دون حل المشكلة الفلسطينية ، وذلك باعطاء الفلسطينيين حق تقرير المصير واقامة دولتهم المستقلة على تراب وطنهم •

ثانيا : ان أمن اسرائيل ، والذي تتذرع به الفاشية الاسرائيلية لارتكاب المزيد من الجرائم والمذابح والابادة الجماعية، لن يتحقق الا بعد حل المشكلة الفلسطينية حلا عادلا وشاملا • فكلما ازداد نزيف الدم في لبنان بسبب العدوان الاسرائيلي وظهيرته الولايات المتحدة الامريكية ، كلما أصبحت تلك الحقائق أكثر وضوحا •



ماذا حصدت اسرائيل عندما توقف هجومها على مشارف بيروت الغربية ؟ هل أفلحت في طرد المقاتلين الفلسطينيين ؟

كلا ، فقد أعلنت منظمة التحرير الفلسطينية بعد خروجها من بيروت مباشرة بأنها ستتابع كافة سبل النضال (بما فيه النضال العسكري) لبناء الدولة الفلسطينية المستقلة ٠

وتصاعدت في لبنان حركة المقاومة الوطنية اللبنانيـة ضد اسـرائيل والتي أخذت فيما بعد طابعا معاديا لاسرائيل وامريكا في نفس الوقت ٠

ما الذي حصلت عليه اسرائيل اذا ؟

هل استطاعت أن تفرض على لبنان نظام الحكم الذي تريده ؟

كلا، لأن وحشـية الاسرائيليين في لبنـان أثرت بعمـق في نفوس المواطنين ٠ وكانوا على استعداد تام لقمع واسقاط أي نظام ينوي التعامل مع اسرائيل بعد كل ما فعلته في لبنان ٠ فقاد اللبنانيون النضال ضد اسرائيل بهدف توحيد وطنهم والحفاظ على سيادته ووحدته ٠ وتعقـد الوضـع في الشرق الاوسط بعد الغزو الاسرائيلي للبنان الى درجة أن المصالح الامبريالية في هذه المنطقة أصبحت في خطر جسيم ٠ وليس من قبيل الصدفة أن تعلن الولايات المتحدة الامريكية عن عزمها بالتواجد في هذه المنطقة وبأي شكل من الاشكال ٠

وخافت حكومة واشنطن أن ينتبه العرب الى خططهم في المنطقة والهادفة الى دعم العدوان الاسرائيلي المستمر ضدهم ٠ وظهرت «مبادرات التسوية» الامريكية الواحدة تلو الاخرى لتحقيق الاهداف المعلنة وهدفت المناورات الدبلوماسية الامريكية الى تقوية الموقف الامريكي في العالم العربي ، ودفع المزيد من الدول العربية للسير في طريق كامب ديفيد الخياني ٠

لقد عجزت اسرائيل عن تثبيت الاوضاع في الاراضي اللبنانية المحتلة لصالحها ٠ وان اعتماد اسرائيل على الطائفة المارونية في لبنان لم يؤد الا الى تأزيم الاوضاع في لبنان وبشكل خطير جدا ٠ ذلك لأن مثل هذا التعامـل دفع بنار الحرب الاهلية الى الاشتعال والتوهج من جديد ٠ ولم تسـتطع اسرائيل عزل سـوريا التي أعلنت انها ستستمر في تقـديم الدعـم الى

اخوتها في لبنان حتى النصر ، وأنها لن تسحب قواتها من سهل البقاع مادام يتواجد على أرض لبنان جندي اسرائيلي واحد .

وحتى الدول العربية المحافظة ، لم يكن بمقدورها التضامن مع سياسة امريكا في المنطقة . واذا كانت أمريكا تضغط على الدول العربية للسير في طريق كامب ديفيد ، فانها الآن وبعد التجربة اللبنانية ظهرت على حقيقتها ، وتكشفت للعرب الحقيقة القائلة ان أمريكا مستعدة لتخويفهم ، وشن الحروب العسكرية المباشرة ضدهم ، بهدف ربطهم معها بأي شكل من أشكال الاتفاقيات والتحالفات التآمرية الخيانية . وفي الوقت نفسه فان طريق الارهاب — هو طريق مسدود لامحالة . لقد أظهرت أحداث لبنان من جديد بأن السلام في الشرق الاوسط لن يتحقق بدون حل المسألة الفلسطينية والتي تعتبر محور الصراع العربي الاسرائيلي برمته . ولن يتم حل المسألة الفلسطينية بدون منظمة التحرير الفلسطينية . ان حق منظمة التحرير الفلسطينية في تمثيل الشعب العربي الفلسطيني أمر مبتو تفيه، لأنه مسجل في جميع الوثائق الدولية ومثبت في قرارات الامم المتحدة .

وتم الاعتراف بهذا الحق من قبل مؤتمر القمة العربي الذي انعقد في مدينة فاس المغربية في ربيع عام ١٩٨٢ . وتم في ذلك المؤتمر صياغة قرار أجمع عليه كل العرب لحل المشكلة الفلسطينية بالطرق الدبلوماسية . ويدخل الاقتراح السوفييتي لحل مشكلة الشرق الاوسط في صلب ذلك القرار .

ان عدد الدول التي تحتفظ بعلاقات دبلوماسية مع منظمة التحرير الفلسطينية يفوق بكثير عدد الدول التي تربطها علاقات دبلوماسية مع اسرائيل . ويقع اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية بين تلك الدول التي أعطت لمنظمة التحرير الفلسطينية حق التمثيل الدبلوماسي الكامل والتي لا يمكن بدونها حل مشكلة الشرق الاوسط .

لقد أعلن الرئيس المصري السابق أنور السادات في يوم من الايام بأن مفتاح الحل لجميع مشاكل النزاع العربي الاسرائيلي تقع في أيدي

امريكا ، وعليه فقط أن يرجو أمريكا لوضعه في المغلاق كي ينفتح باب المشكلة وتنحل بالتالي أسرارها • ويتابع الآن أتباع أنور السادات في العالم العربي خداع الرأي العام العربي وذلك بطرحهم الحل وكأنــه بين أيدي الادارة الامريكية • كما انهم يحـــاولون جر العـــرب الى مصر ، ويقولون انهـم مستعدون للعودة الى مصر اذا ما رغبت هي بذلك وما عليها الا التنويه لهم؛ ذلك لأن الحوار بين مصر وتلك الانظمة لم ينقطع أبدا •

وكان الهدف من تلك المناورات يقضي ببيـــع القضية العربيـــة وذلك بالقضاء على المعارضين لاتفاقيات كامب ديفيد داخل بلادهم ، وشق الجبهة العربية المعادية لتلك الاتفاقيات • ان مثل تلك المناورات تساعد على اضعاف العرب وتعقيد الاوضاع في الشرق الاوسط ، وتقوية المعتدي الاسرائيلي • ان الطروحات العملية تلك كانت تصدر بشكل مباشر عن الدول التي تسعى الولايات المتحدة الامريكية الى ربطها بفلك كامب ديفيد •

والعرب الذين يراهنون على سياسة كامب ديفيد ويعلنون في الوقت نفسه عن دعمهم لاقامة الدولة الفلسطينية المستقلة ، انما يذرون الرماد في العيون • ونسمع في بعض الدول العربية الاعلان عن الرغبة بحل المشـــكلة الفلسطينية في « روح واطار كامب ديفيد » على الرغم من أن كامب ديفيد يحمل طابع التمييز والاضطهاد للشعب الفلسطيني • ذلك لأن حل المشكلة الفلسطينية على طريقة كامب ديفيد لا يسمح بانشاء دولة فلسطينية مستقلة ولا يعطي للفلسطينيين حق العودة وتقرير المصير •

تحاول اسرائيل بناء على اتفاقيات كامب ديفيد زج الفلسطينيين في ما يسمنوه « بالادارة الذاتية » • ووصف الدكتــور فايز الصـــائغ الباحث الفلسطيني المعروف هذه الخطة على النحو التالي : « جزء قليل من الشعب الفلسطيني لا يتجاوز الثلث على مساحة ضيقة من أرضهم الام ، موعــودة بقليل من الحقوق، باستثناء الحقوق الطبيعية في تقرير المصير واقامة الحكومة الوطنية المستقلة • ان هذا الحق القليل لا يعطى فورا للفلسطينيين ، بـــل بعد سنين كثيرة ، أي من خلال المراحل المتتالية وتكون اسرائيل في ظل تلك

الظروف قادرة ومتمكنة من وضع « فيتو » على أية اتفاقية لا تناسبها • وسيفقد العديد من الفلسطينيين حقهم في الوجود ، وحقهم في أن تكون لهم حكومة خاصة بهم ، وحقهم في فلسطين نفسها — أي أن الحياة تحت ظل « الحكم الذاتي » ستكون بلا معنى وبلا أمل » * • ولا توجد في مخازن شهرزاد أية ساحرة تستطيع أن تبرىء السادات من مسؤولياته عن كل ما جرى في منطقة الشرق الاوسط ، بعد توقيعه على اتفاقيات كامب ديفيد الخيانية واتفاقية « السلام » المنفردة مع اسرائيل ولا حتى مسؤوليته عن الاحداث التي تمت بعد موته •

لقد استمرت القاهرة في تأدية الواجب والالتزامات أمام حكومة تل أبيب حتى بعد أن قامت الحكومة الاسرائيلية بضم مرتفعات الجولان السورية المحتلة والجزء العربي من مدينة القدس ، وحتى بعد أن دمرت الطائرات الاسرائيلية مدينة بيروت ، وبعد الاستفزازات العسكرية الاسرائيلية في الجنوب اللبناني • وبعد أن سالت دماء الاطفال الفلسطينيين الذين قتلتهم اسرائيل خلال مظاهرات الضفة الغربية المحتلة لنهر الاردن ، استمرت القاهرة بتأدية الواجب تجاه تل أبيب •

لقد صمتت حكومة القاهرة أمام تلك الاستفزازات ، ذلك لأن دستور كامب ديفيد يلزمها بذلك الصمت ، ويلزمها بخرق جميع التزاماتها السابقة أمام العرب وخاصة اعترافها بأن منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب العربي الفلسطيني ، ودعمها للدول العربية المحاربة ضد اسرائيل ، ان جوهر الاحداث التي تدور في الشرق الاوسط يكمن في الرغبة الامريكية لاقامة قواعد عسكرية لها في هذه المنطقة •

يقع العالم العربي الذي يملك ثروات باطنية هائلة ، وقوى بشرية عظيمة ومساحة شاسعة من الارض ، اليوم أمام خيارين لا ثالث لهما اما الاستسلام أو متابعة النضال •• طريق الاستسلام هو طريق الصفقات

---

* فايز الصائغ ، فلسطين واتفاقية كامب ديفيد ، عام ١٩٨٠ ، صفحة ١٠

الانفرادية الذي بدأه السادات وهو طريق تآمر الفئات العربية التي تفضل مصلحتها الخاصة على مصلحة الوطن •

طريق النضال ــ هو طريق توحيد قوى كل العرب الذين يقفون ضد المخططات الامبريالية في المنطقة العربية ، وضد الموقف الامريكي المساند لاسرائيل •

وللعرب حلفاء أقوياء في نضالهم ضد الامبريالية الامريكية وهم : الدول الاشتراكية والدول النامية أما بعض العرب الذين تربوا في الاحضان الامريكية فلا يستطيعون فهم تلك الحقائق • وهم عاجزون عن النضال ضد المخططات الاسرائيلية بهدف تحرير أرضهم المحتلة واقامة الحقوق الفلسطينية الثابتة في حق تقرير المصير •

ان تجربة النضال التي خاضتها الشعوب العربية عامة والشعب المصري خاصة تبين بأن كل من يريد أن يقف ضد الاتحاد السوفييتي سينحرف بالتأكيد الى طريق الخيانة ضد مصالح الشعوب العربية بشكل عام ويخون مصالح شعبه بشكل خاص •

ويفهم جميع السياسيين الآن انه دون الاتحاد السوفييتي لن تحل مشاكل الشرق الاوسط أبدا ، ولن تحل المشكلة الفلسطينية • ويرى العالم العربي اليوم أن كل قرارات الامم المتحدة ، وقرارات مجلس الامن الدولي لم تستطع تحريك المشكلة من النقطة الميتة التي تقف عندها الاوضاع حاليا •

زد على ذلك أن العديد من الدول العربية تتعاون مع الامبريالية العالمية بشكل مباشر • ان تجربة التعاون بين الاتحاد السوفييتي والحكومات العربية أثبتت بأن الاتحاد السوفييتي التزم على الدوام بعدم التدخل في الشؤون الداخلية لتلك الحكومات •

وتجب الاشارة الى أن العلاقات السوفييتية ــ العربية لا تتحكم بها أو تقودها الانفعالات ، بل تقودها التصورات المبدئية والمصالح المشتركة

لكلا الطرفين في النضال ضد الامبريالية والصهيونية كما وينتقد الاتحاد السوفييتي العرب السائرين على طريق كامب ديفيد ويؤكد الشعب السوفييتي بأن مستقبل العلاقات المصرية ــ السوفييتية يتعلق بتحسين مصر لعلاقاتها مع اشقائها العرب •

هذا الطريق هو طريق النضال المشترك ضد الصهيونية والامبريالية وهو طريق طرد المستعمرين الاسرائيليين من الاراضي العربية المحتلة واقامة السلام العادل والثابت في منطقة الشرق الاوسط وهو طريق رفض اتفاقيات كامب ديفيد •

ويناضل الاتحاد السوفييتي دائما من أجل ايجاد حل عادل وسلمي لمشكلة الشرق الاوسط • ويقف الاتحاد السوفييتي ضد تأزيم المشكلة • لقد طرح الحزب الشيوعي السوفييتي في مؤتمره السادس والعشرين مبادىء لحل الصراع العربي الاسرائيلي • ودعا الاتحاد السوفييتي الى اشراك العديد من الدول التي تقع بعيدة عن المنطقة في المؤتمر الدولي لحل مشكلة الشرق الاوسط •

ان انعقاد المؤتمر الدولي لحل مشكلة الشرق الاوسط يتناسب مع طبيعة الخلاف الذي وصل الى حالة خطرة جدا في الآونة الاخيرة • اذا كان تصور حل مشكلة الشرق الاوسط عن طريق مؤتمر جنيف وبمشاركة محدودة من الدول « اسرائيل والدول العربية ومنظمة التحرير الفلسطينية» وبحضور ممثلين عن الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفييتي ، فقد أصبح هذا التصور غير ممكن بعد توقيع السادات على اتفاقيات كامب ديفيد ودخوله في تحالفات عسكرية مع امريكا واسرائيل ، ذلك لأنه قد عمق الخلاف وعقد المشكلة •

لقد كانت عملية الغزو الاسرائيلي للبنان ، واقامة حكومة مارونية هناك بقيادة الرائد العميل سعد حداد ، بالاضافة الى ضم مرتفعات الجولان وقصف المفاعل النووي العراقي وتحدي اسرائيل للحكومات العربية هو

نتيجة مباشرة لاتفاقيات كامب ديفيد الخيانية والتي أصبحت مصدرا للاستفزاز بالنسبة لجميع دول آسيا وافريقيا ٠

ان مأساة الحرب العراقية ـ الايرانية قد شتتت طاقات وقوى شعوب الشرق الاوسط أمام الخطر الذي يهددهم وهو المعتدي الاسرائيلي ٠ ان اشعال نار تلك الحرب له علاقة وثيقة بالصراع العربي الاسرائيلي ٠

يهدف التدخل العسكري في تشاد الى احداث ازعاجات للثورة في ليبيا ٠ لم يكن هذا التدخل من قبيل المصادفة ٠ ان ذلك التدخل يهدف الى الضغط على الحكومة الليبية التي تقدم العون والمساندة لجميع القوى في الشرق الاوسط والتي تناضل ضد الاحتلال الاسرائيلي وضد الهيمنة الامبريالية ٠

هذه الامور تشير الى أن مشكلة الشرق الاوسط أصبحت معقدة جدا ٠ ويجب لانهاء الصراع العربي الاسرائيلي تجميع كل القوى الفاعلة على هذه الساحة وتوحيد قوى الدول العربية التي تسعى الى تحقيق تلك التسوية ٠ هذه الاهداف تتطابق مع مبدأ اللجنة الدولية المقترحة من قبل الاتحاد السوفييتي في المؤتمر السادس والعشرين للحزب الشيوعي السوفييتي ٠

لقد انعقد مؤتمر القمة العربي كما هو معروف في شهر أيلول عام ١٩٨٢ بمدينة فاس المغربية ٠ وتم في ذلك المؤتمر الموافقة على المبادىء العامة لحل مشكلة الشرق الاوسط ، تلك المبادىء والتي تتضمن المبادىء التالية :

ـ انسحاب القوات الاسرائيلية من جميع الاراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧ وما بعدها ٠

ـ انسحاب القوات الاسرائيلية من مدينة القدس العربية ٠

ـ قيام الدولة الفلسطينية المستقلة بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي والوحيد للشعب العربي الفلسطيني ٠

وتم في ذلك المؤتمر الموافقة على ارسال مندوبين عنه الى دول العالم المهتمة بمشكلة الشرق الاوسط وذلك بهدف شرح بنود المبادرة العربية لانهاء

الصراع العربي الاسرائيلي • وقام هؤلاء المندوبون في الثالث من شهر كانون الاول عام ١٩٨٢ بزيارة للعاصمة السوفييتية موسكو واستقبلهم هناك السكرتير العام للحزب الشيوعي السوفييتي ورئيس رئاسة مجلس السوفييت الاعلى يوري فلاديميروفتش آندروبوف • وتشكل هذا الوفد من : الملك حسين بن طلال ملك الاردن ، ونائب رئيس مجلس الوزراء السوري ووزير الخارجية عبد الحليم خدام، وزير خارجية العربية السعودية سعود الفيصل، وزير خارجية الاردن مروان القاسم ، وزير خارجية تونس باجي قائد السبسي ، وزير خارجية الجزائر أحمد طالب الابراهيمي ، عضو اللجنة المركزية في منظمة التحرير الفلسطينية عباس والامين العام لجامعة الدول العربية الشاذلي القليبي •

ورحب أندروبوف بالوفد العربي في العاصمة السوفييتية ، وأشار الى أن مجرد وصول هذا العدد الكبير من ممثلي الحكومات العربية هو بحد ذاته أمر هام للغاية •

وقال أندروبوف : « اننا ننظر الى هذه الزيارة كخطوة هامة على طريق تطوير وتعميق العلاقات السوفييتية العربية والتي وصلت منذ زمن بعيد الى مستوى جيد • ونسعى الى أن تكون علاقاتنا أكثر من جيدة وأكثر نفعا للشعوب التي تناضل من أجل التحرر والاستقلال والسلام في الشرق الاوسط والعالم كله » •

وتبين من خلال المباحثات تطابق وجهات النظر السوفييتية مع بنود المبادرة العربية التي تم اتخاذها في مدينة فاس ، والهادفة الى اقامة سلام دائم وعادل في الشرق الاوسط • وأيد الاتحاد السوفييتي المبادرة العربية لأنها تتضمن الاسس والامكانيات الموضوعية لحل مشاكل المنطقة •

وأشار الاتحاد السوفييتي الى أن المبادرة الامريكية المطروحة في شهر أيلول عام ١٩٨٢ غير عملية ، ذلك لأنها تهدف الى ربط العالم العربي بعجلة الامبريالية العالمية ، ولأنها لا تؤيد قيام دولة فلسطينية مستقلة على

التراب الوطني الفلسطيني • وتم في ذلك اللقاء لفت انتباه الحكومات العربية الى ضرورة عقد مؤتمر دولي لحل مشكلة الشرق الاوسط بشرط أن تشـارك فيه جميع الاطراف المعنية بالصراع وخاصة منظمة التحرير الفلسطينية • واستنكر الجانبان العربي والسوفييتي الغزو الاسرائيلي لارض لبنـان ، وطالبا بالانسحاب الفوري والكامل وغير المشروط لجميع القوات الاسرائيلية من جميع الاراضي اللبنانية المحتلة • وتشكل المبادرة المذكورة منظورا جيدا لكل من يريد ايجاد حل شامل ودائم وعادل لمشكلة الشرق الاوسط •

كما وتستطيع المبادرة السوفييتية تخليص مصر من قيود اتفاقيـات كامب ديفيد المذلة ومن بنود معاهدة « السلام » المصرية الاسرائيلية ، لأن تلك الاتفاقية ستكون من وجهة النظر العالمية ملغية في حال موافقة مصر على تلك المبادرة •

تستطيع تلك المبادرة أيضا ترسيخ السيادة اللبنانية على جميع آراضي لبنان • وتستطيع جميع الاطراف المتنازعة في المؤتمر السلمي الذي اقترحه الاتحاد السوفييتي تبادل وجهات النظر حول مختلف المسائل المتنازع عليها • ان ذلك المؤتمر بصعوبته ، وطول مدته سيكون أفضل من الاتفاقيات الانفرادية لأنه سيتحدث عن حل شامل للمشكلة وليس عن حلول جزئية مؤقتة • وسيمكن هذا المؤتمر وضع القرارات الدولية بخصوص الشرق الاوسط موضع التنفيذ العملي • ان أي نجاح يحققه ذلك المؤتمر هو نجاح لمن يريد السلام العادل والدائم في الشرق الاوسط • وسيصعب على اسرائيل ممارسة استفزازاتها ضد العرب ، ولن تستطيع الولايات المتحـدة الامريكيـة دعم وتغطيـة الاعتداءات الاسرائيلية • وسيتمكن العرب الاعتماد بشكل أفضـل علـى حلفائهم الطبيعيين ــ الدول الاشتراكية ودول عدم الانحياز •

ان تلك الظروف تستطيع تجميع كل القوى المحبة للسلام والراغبة في حل مشكلة الشرق الاوسط ، وستستطيع تلك القوى الضغط على اسرائيل لاجبارها في نهاية المطاف على سحب قواتها من جميع الاراضي العربيـة

المحتلة ، واجبارها على الاعتراف بحق الفلسطينيين في تقرير المصير واقامة دولتهم المستقلة بناء على قرارات هيئة الامم المتحدة •

ان أســباب الاستفزازات الاســرائيلية ضد العرب ستستمر الـى ما لانهاية اذا لم تحل المشكلة بشكل جذري • وتجبر اتفاقيات كامب ديفيد مصر على الموافقة ، أو الصمت على الاقل حيال تلك الاستفزازات • والغاء تلك الاتفاقيات يعني الحد من المناورات الامبريالية في منطقة الشرق الاوسط ، وضرب المعتدي الاسرائيلي • كما يقود السكان الفلسطينيون في الاراضــي العربية المحتلة النضال من أجل اسقاط اتفاقيات كامب ديفيد جنبا الى جنب مع الدول المشاركة في جبهة الصمود والتصدي ، والوطنيين المصريين الذين يناضلون ضد التواطؤ والتآمر مع الامبريالية من خلف ظهر العرب ، وتقوده أيضا القوى الوطنية التقدمية في لبنان •

المصير المخزي

اضطر مناحيم بيغن رئيس الوزراء الاسـرائيلي وبضغط من الرأي العام العالمي ، والمجتمع الاسرائيلي الى تشكيل لجنة تحقيق لتقصي الحقائق حول مجازر المخيمات الفلسطينية في صبرا وشاتيلا • وترأس هذه اللجنة رئيس المحكمة الاسرائيلية العليا (اسحق كاهانا) • وبالطبع لم تعط الحكومة الاسرائيلية لتلك اللجنة أية استقلالية في عملها •

حددت حكومة بيغن للجنة الاطر التي يجب أن تتحرك ضمنها ، والتي تتلخص في تبرئة القيادة الاسرائيلية من المسؤولية المباشرة عن تلك المذابح اللا انسانية ، وانقاذ هيبة الصهيونية المنهارة •

وتبين فيما بعد أن تنفيذ تلك المهمة ليس بهـذه السـهولة ، ذلك لأن اللجنة تلقت سيلا من المعلومات الموثقة والتي تشير بمجمـلها الى اشتراك وزير الدفاع الاسرائيلي اريئيل شارون وريئس وزرائـه مناحيم بيغن في مذابح المخيمات الفلسطينية وفي جميع الجرائم البشـعة الاخـرى التي ارتكبتعلى الاراضي اللبنانية المحتلة •

ولاضفاء طابع من الموضوعية علىالتحقيقات ، قامت تلك اللجنـة باستدعاء وزير الدفاع الاسرائيلي شارون أكثر من مرة لاستجوابه ، وتم كذلك استدعاء رئيس الوزراء الاسرائيلي شخصيا للتحقيق معه •

هذا ما نشرته الصحافة الاسرائيلية عمدا ، لاثارة ضجة مفتعلة حول التحقيقات الاسرائيلية ، وحول ما يسمونه بالديمقراطية الاسرائيلية • وتم في نهاية المطاف اصدار التقرير الختامي لاعمال تلك اللجنة ، والذي جاء في

مائة وثماني صفحات وباللغتين العبرية والانكليزية • وحاول أعضاء تلك اللجنة ، وكما كان متوقعا بالضبط بذل كل ما يستطيعون بذله لطمس معالم المذابح الجبانة التي تم تنفيذها في المخيمات الفلسطينية •

كانت هناك العديد من الوثائق المهمة التي لم تستطع لجنة التحقيق الاسرائيلية تجاوزها ، فأضيفت لهذا السبب الى الملاحق السرية لذلك التقرير • وعلى الرغم من كل ذلك ، لم تستطع اللجنة الاسرائيلية تبرئة القيادة السياسية والعسكرية في اسرائيل كليا من المسؤولية عن المذابح الدموية في صبرا وشاتيلا •

وبالفعل فقد قبلت بعض الشخصيات الاسرائيلية على نفسها أن تكون كبش الفداء من أجل تبرئة رئيس الوزراء الاسرائيلي مناحيم بيغن، بل وتبرئة النظام الاسرائيلي الحاكم كله من المسؤولية عن تلك الجرائم • ووقع اختيار لجنة التحقيق الاسرائيلية على وزير الدفاع الاسرائيلي الجنرال آرييل شارون ليكون هذا الكبش • علما ان شارون سبق وان صرح للصحفيين قبل عدة أيام من انجاز التقرير الختامي للجنة التحقيق الاسرائيلية انه أعطى الضوء الاخضر للقتلة في صبرا وشاتيلا • ووصف التقرير الختامي الذي أصدرته لجنة التحقيق دور شارون في تلك المذابح على النحو التالي : (يتحمل شارون قسطا من « المسؤولية غير المباشرة » عن تلك المجازر الدموية في صبرا وشاتيلا) • كما ألقت لجنة التحقيق الاسرائيلية بالمسؤولية كاملة عن تلك المذابح على كاهل رئيس قسم الاستخبارات في الحزب المسيحي اليميني اللبناني – «حزب الكتائب» •

وعلى كل حال فان أي دور لعبه ذلك الشخص أو غيره من الشخصيات اللبنانية في تلك المذابح ، لن يكفي لتنفيذ مثل تلك العملية الكبيرة ، دون التعاون والتشاور مع السلطات العسكرية الاسرائيلية التي كانت في تلك اللحظة تسيطر عمليا على بيروت الغربية وعلى المخيمات الفلسطينية • كما وصفت لجنة التحقيق الاسرائيلية رئيس قسم الاستخبارات في حزب

« الكتائب » بأنه الرأس المنظم لتلك العملية ، ومنفذ الخطة التي رسمتها له وكالة الاستخبارات الاسرائيلية « الموساد ، علما بأنه كان على صلات طيبة جدا معها ومنذ عام ١٩٧٦ .

تجاهلت لجنة التحقيق الاسرائيلية شهادات الشهود الذين قالوا انهم رأوا بأم أعينهم الجنود الاسرائيليين مع القتلة في المخيمات الفلسطينية وسمعوا بآذانهم الاوامر التي كان يعطيها هؤلاء الجنود باللغة العبرية .

وتمت تبرئة رئيس الوزراء الاسرائيلي مناحيم بيغن نهائيا من المسؤولية عن تلك الجرائم . وأدلى هذا الاخير بتصريح قال فيه : «العرب يذبحون بعضهم بعضا في صبرا وشاتيلا ، ولا علاقة لنا نحن الاسرائيليين بذلك » .

لم يتطرق التقرير الاسرائيلي الى دور بيغن في تلك المذابح نهائيا ، اللهم الا في جملة واحدة : « ان رئيس الوزراء الاسرائيلي لم يتلق أي بلاغ حول القرار الذي تم اتخاذه بشأن تلك المذابح ، ولهذا السبب لم يهتم بيغن بماجرى فيما بعد في تلك المخيمات، أي بعد السادس عشر من ايلول ».

وتم تقديم اقتراح رسمي الى بيغن يدعو الى طرد شارون من وزارة الدفاع الاسرائيلية ، فيما اذا لم يقدم شارون بنفسه على الاستقالة . ولكن شارون لم يتسرع بتقديم تلك الاستقالة ، لأنه كان يعرف عن توصيات وقرارات تلك اللجنة ، التي كانت تقيم في مزرعته بالنجف . لم يعر شارون في بداية الامر أي اهتمام لتلك القرارات ، وكان يعتقد ان عليه « القاء السياسيين الذين يكتبون مثل تلك التوصيات في أكياس القمامة » .

شعر شارون في الليل بهواجس مرعبة تنتابه ، وعندما انبلج الصباح اتصل شارون برئيس وزرائه بيغن هاتفيا .

أعلم سكرتير الحكومة الاسرائيلية دان ميريدور رئيس وزرائه بيغن بنصائح لجنة التحقيق حول طرد شارون من وزارة الدفاع .

عندها غضب بيغن وقال :
ما هذا الذي تقوله ؟ ما الذي حدث ؟ هل يجب أن تنتهي خدمة أبطال اسرائيل بهذه الصورة ؟

وتم تعليق هذه المسألة البلاغية في الهـــواء ، وكان بيغن في حالـــــة لا تسمح له بتفهم المعنى الحقيقي للنصيحة ، التي قدمتها له لجنة التحقيق والتي تشكلت أصلا بأمر منه •

وبدأ يفكر بعمق ، ما العمل في مثل هذه الحالة ؟ هل يجب أن أضحي بصديقي الوفي شارون ؟

مرت لحظات قليلة واستيقظ بيغن من شروده على رنين جرس الهاتف•

آلو •••

(سمع بيغن صوت شارون في سماعة الهاتف) •

ـ أنا لن أقدم استقالتي ، فاذا كنتم ترغبون في خروجي من الوزارة، فأنتم تملكون الحق في طردي منها •••

لم يرغب بيغن بطرد شارون من الوزارة ••• ولكن حتى تلك الساعة لم يستطيع ايجاد مخرج له من تلك الورطة •

ثم سمع بيغن ومن خلال النوافذ صياح المتظاهرين ، طالبت مجموعة منهم باستقالة شارون ، وطالبت المجموعة الثانية « بتنصيب شارون ملكا على اسرائيل » •

النداء الاخير أخاف رئيس الوزراء الاسرائيلي ، وبدأ يسأل نفسه :
« لماذا يطالبون بتنصيب شـــارون ملكا على اســـرائيل ما دمـــت أنا موجودا ؟••

وطالب مجلس الوزراء الاسرائيلي في جلسته تلك وبالاجماع باستقالة شارون من وزارة الدفاع، ولكن شارون استمر في التصدي لتلك المحاولات•

وبدأ يطرح التساؤلات التالية :
« لماذا اضطر لوحدي الى تقديم رأسي كقربان عن اسرائيل، في الوقت

الذي سيبقى فيه زملائي المسؤولون مسؤولية مباشرة عن تحديد السياسة في مقاعدهم الناعمة والمريحة ؟ •

لماذا أدفع أنا الثمن بدلا عن الجميع ،

وسمع الوزراء الاسرائيليون في تلك اللحظات انفجـارا بالقرب من أماكن اجتماعهم ، ودب الرعب والخوف في قلوبهم •

تم الاتصال على الفور بمجلس الوزراء الاسرائيلي لابلاغهـم حول حقيقة الانفجار •

لقد ألقى مواطن اسرائيلي بقنبلـة على المتظاهـرين الذين طالبوا باستقالة شارون من منصبه• وكانت النتيجة قتيلا واحدا وعشرة جرحى ••

ومن ثم تابع مجلس الوزراء الاسرائيلي مناقشـاته ••• لقد خفف الانفجار المذكور من فرصة بقاء شارون على رأس وزارة الدفاع •

وقرر الوزراء الاسرائيليون وبالاجماع عدم شرعية الغـاء توصيات لجنة التحقيق ، وصوت الجميع ضد بقاء شارون في وزارة الدفاع •

حاول وزير الداخلية الاسرائيلي يوسف بورغ اقنـاع زميله شارون بالاستقالة قائلا : « اذا أخذتم على عاتقكم مسؤولية كل ما جرى في صبرا وشاتيلا ، فهذا سيساعد حتما اصدقاءك الجنرالات الآخرين في التهرب من المسؤولية عن تلك المذابح » •

غضب شارون من زميله يوسف بورغ ، ولم يثق به ، ذلـك لأن ابن بورغ كان يقود المتظاهرين الذين طالبوا باستقالته ، وتمت اصابته بجروح نتيجة لانفجار القنبلة التي ألقيت عليهم • ان كل من طالب باستقالة شارون كان يهدف الى الحفاظ على هيبة النظام الحاكم في اسرائيل • ولكن شارون لا يهمه أمر الوزارة التي لن يكون عضوا فيها ، ولم يرغب شارون لنفسه أن يصبح « كبش الفداء » •

وعلى الفور أسرع بيغن لانقاذ زميله شارون • لقد كان شارون متأكدا على الدوام ان بيغن سيسارع لانقاذه •

وكان شارون متأكدا من صرامة وحزم الارهابي العتيد بيغن ، والذي يضع مبدأ الانقاذ المتبادل فوق أية اعتبارات أخرى •

لقد كان بيغن مؤمنا بهذه الاهداف حتى قبل قيام اسرائيل ، أي عندما كان يتزعم عصابة « آرغون تسفاي ليوهي » الارهابية والتي نفذت العديد من الجرائم والمذابح بحق العرب مما أجبرهم بالتالي علىالهرب من وطنهم طلبا للنجاة •



وفهم شارون فجأة كل شيء • فبعد ثلاثة ايام من المداولات الوزارية الساخنة اقتنع شارون بضرورة تركه لوزارةالدفاع، وتم تعيينه فورا كوزير بلا وزارة في حكومة بيغن ، وتم تعيين الجنرال موشي أرنز في منصب وزير الدفاع الاسرائيلي بدلا عنه •

لم يكن تعيين موشيأرنز في منصب وزير الدفاعلمجرد المصادفة • ذلك لأن أرنز كان يشغل منصب سفير اسرائيل لدى واشنطن • واستطاع أرنز خلال فترة عمله من توثيق علاقاته الشخصية مع الشركات الحربية الامريكية المصنعة لأسلحة الدمار الشامل •

ان تعيين أرنز في منصب وزير الدفـاع الاسرائيلي يعـني تمـتين العلاقات العسكرية بين الولايات المتحدة واسرائيل •

والمعروف عن موشي أرنز بأنه كان يعارض عقد اتفاقيات كامب ديفيد، حيث قال بهذا الصدد في كلمة له أمام الكنيست الاسرائيلي : « لن تستطيع اسرائيل اقامة علاقات سلمية مع القوى الاسلامية فيالعالم العربي، واقترح أرنز في كلمته تلك ، اقامة علاقات سلمية مع القوى غير الاسلامية في العالم العربي والاجهاز من ثم على العرب من خلال تلك التحالفات » •

ويتضح من هنا ان تعيين أرنز في منصبه الجديد يعكس سوء النوايا الامريكية تجاه العرب •

وعلى الرغم من ذلك فان شـارون لم يطـرد من المسـرح السياسي الاسرائيلي نهائيا • ولعب فيما بعد دورا في السياسـة الاسرائيلية لا يقل عن الدور الذي كان يلعبه في السابق • ولم يمض أكثر من اسبوع على عزل شارون حتى بدأ يستعيد نفوذه في أوساط الجيش الاسرائيلي ، وتم تعيينه من جديد كعضو في اللجنة الحكوميـة لشؤون الامـن ، وتم تكليفه بادارة المباحثات مع لبنان •

شنت الصحافة الحكومية المؤيدة لاسرائيل في الدول الرأسمالية حملة دعائية كبيرة حول التقرير الصادر عن لجنة التحقيق بمذابح صبرا وشاتيلا، ووصفته تلك الصحافة على انه « انتصار كبير للديمقراطية في اسرائيل » •

وصرحت صحيفة « نيوزويك » الامريكيـة بأن اسرائيل تعطي بذلك درسا « في الديمقراطية » حتى للولايات المتحـدة الامريكية • بالطبع فقد كانت ردة الفعل في الصحافة الغربية معاكسة تماما لتلك النظرة •

وأدلى الممثل الرسمي للحكومة السعودية بتصريح لمراسـل صحيفـة « تايمز » الامريكية قال فيه : « لقد كان من الواجب تشكيل محكمة دولية للتحقيق في تلك المذابح » •

نشرت الصحف الكويتية مقالات تذكر فيها الرئيس الامريكي رونالد ريغان بكلماته عن وجوب معاقبة الجزارين في صبرا وشاتيلا قائلة :
« هيا عاقبهم يا ريغان ! انكم ايهـا الامريكيون تتحمـلون قسطا من المسؤولية عن تلك المجازر » •

ونستطيع اليوم أن نقول بكل ثقة ، ان الولايات المتحدة لا تتحمل فقط قسطا من المسؤولية عن تلك المجازر ، بل وعن المأسـاة التي تعيشها شعوب الشرق الاوسط قاطبة ، ذلك لأن السياسة الامريكية موجهة أصلا الى تشكيل شبكة دفاعية عسكرية لها في هذه المنطقة من العـالم • وتتحمـل الولايات المتحدة الامريكية المسؤولية كاملة عن كل ما يجري ، نعم ، كل ما يجري في هذه المنطقة من مآسي وكوارث •

والغزو الاسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢ ، لم يكن سوى أمر أمريكي يتحتم على اسرائيل تنفيذه حسب وثيقة « التعاون الاستراتيجي » الموقعة بينهما •

ان كل الدلائل في المنطقة العربية ابتداء بالسلاح الامريكي الذي تقاتل به اسرائيل ومرورا بالموقف الامريكي في المنظمات الدولية والمؤيد لجميع الاعمال الاسرائيلية ، بالاضافة الى الموقف الدبلوماسي المراوغ تشير الىأن كلا من اسرائيل وأمريكا تقتسمان الادوار فيما بينهما بشكل محدد ، والى انهما يسيران باتجاه واحد لتحقيق هدف مشترك •

والاحتلال العسكري للبنان هو خير دليل على ما نقول ،خاصة وان الاساطيل الحربية الامريكية لا تترك مكانا في العالم الا وتتحرش به كما حصل في فيتنام ولبنان وأماكن أخرى من العالم •

وتشير الى تلك الحقيقة المباحثات اللبنانية الاسرائيلية في ظل البنادق الاسرائيلية وبوجود « الوسيط » الامريكي والممثل الشخصي للرئيس رونالد ريغان فيليب حبيب • ان هذا الشخص لم يتعود أن « يحترم » تواقيعه التي يضعها على الاتفاقيات الدولية وخاصة على الاتفاقية التي تم التوصل اليها بين الفدائيين الفلسطينيين واسرائيل بخصوص بيروت الغربية ، حيث تعهد فيليب حبيب من خلال تلك الاتفاقية بالحفاظ على أرواح المدنيين الابرياء في تلك المنطقة بعد خروج القواتالفلسطينية منها •

لقد تعود العرب على أ نقدوم فيليب حبيب الى المنطقة يعني أن أمريكا تحضر لاستفزاز جديد ضدهم •

ظهر فيليب حبيب على شوارع بيروت عندما كانت القوات الاسرائيلية تحاصرها ، وعندما كانت أنهر الدماء تسيل فيها • ووصف جولته في بيروت على انها « تضامن » مع مدينته ، وبالطبع لم تسقط أية قنبلة اسرائيلية على بيروت عندما كان حبيب يتواجد بداخلها •

لقد دمرت اسرائيل كل مخازن المياه في بيروت ، وكادت المدينة تموت

من العطش ، فأمر حبيب بجلب الماء ، فسالت في أنابيب المياه كمية ضئيلة جدا دفعت الموت عن الاطفال الذين كانوا يحتضرون من شدة العطش •

« وأوقف » فيليب حبيب اطلاق النار ، مما مكن ذوي القتلى من نقل جرحاهم الى المستشفيات ، والبحث عن الضحايا الآخرين تحت الانقاض •

ووصفت الصحافة الامريكية زيـــارات فيليب حبيب الى المنطقة انها تحمل « طابعا انسانيا » •

اتسمت زيارات فيليب حبيب للمنطقة عام ١٩٨٢ بأنها كانت للتباحـــث مع الانظمة العربية المحافظة ، بهدف تأمين تأييدهم للسياسة الامريكية في هذه المنطقة المهمة من العالم •

لم يأت فيليب حبيب وهو فارغ اليدين • لقد جلب معه وثيقة ، قال عنها بأنها ستجعل الشعر على رؤوس الزعماء العرب يقف عندما يقرؤونها •

وجاءت في تلك الوثيقة « تأكيدات » بأن الشرق الاوسط سيقع قريبا في القبضة السوفييتية ، « وان الاتحاد السوفييتي والشيوعية العالمية » تحضران المكائد للعرب • وكان على العرب حســب رأي المبعوث الامريكي الاستنجاد بالقوات الامريكية لحمايتهم ، والدخــول في الحــلف الامريكي الاسرائيلي ، والموافقة على مبادرة السلام التي طرحها الرئيس الامريكي رونالد ريغان في كلمته التي ألقاها في الاول من ايلول عام ١٩٨٢ •

لقد تصرف فيليب حبيب كما تصرف سلفه ايزنهــاور في الخمسينات عندما قال للعرب : « انكم تعيشون في « الفــراغ » وعــليكم ان تملؤوه بالقواعد العسكرية الامريكية » •

لم يجد الملوك والرؤســاء العرب في طريقة فيليب حبيب لحل المشكلة أي شيء جديد على الاطلاق، وكانت حقيبة حبيب فارغة أيضا من أي اقتراح مبدئي لحل المشكلة اللبنانية •

ماذا كان على فيليب جبيب أن يقدم للحكومة اللبنانية •

هل يقدم الاحتلال العسكري الامريكي ؟ أم التكتيك المفلس لصفقات كامب ديفيد الانفرادية ؟ هل هي المساعدات العسكرية للبنان ؟

ان المصالح اللبنانية لم تشغل المبعوث الامـريكي حبيب في يوم من الايام ، لقد كانت تشغله أمور اخرى ـ كيف يمكنه أن يساعد اسرائيل ؟ لم يكن تصريح السفير الاسرائيلي السابق لدى واشنطن، ووزير دفاعها الحالي موشي أرنز اعتباطيا حيث قال : « لقد بدأنا الحرب أصـلا من أجل اقامة حزام أمني حول منابع النفط العربيـة ولحمايـة تلك الثـروات من الغزو السوفييتي لها » *

لقد كانت المباحثات بين فيليب حبيب والدول العربيـة وسيلة للتدخل الامريكي في الشؤون الداخلية لتلك الدول . حيث تم فيما بعد انزال الجيش الامريكي على الاراضي اللبنانية .

استقبل اللبنانيون عام ١٩٥٨ التدخل الامريكي في بيروت بالمتاريس والتحصينات، أما اليوم فقد تم تحضير كل شيء لاقناع البورجوازية اللبنانية بأن التدخل الامريكي في بيروت هو وسيلة لايقاف الزحف الاسرائيلي على الاراضي اللبنانية .

وفي واقع الحال لم يكن أحد معنيا بالتدخـل الامريكي في بيروت الا الامريكيين أنفسهم ، وأصبحت أمريكا تسعى الى تقوية نفوذها العسكري في لبنان ، لكي يتحول مع الزمن الى أمر واقع ، ولكي يصبح العلم الامريكي الذي يرفرف في أجواء بيروت حقيقة واقعة وغير مستهجنة .

أعلنت اسرائيل في بداية عدوانها على لبنان ، بأنها تهدف الى حمـاية حدودها الشمالية من الهجمات الفلسطينية ، وعلى انها ستتقدم فقط لمسافة ثلاثين كيلومترا داخل الاراضي اللبنانية ، ولكن الـذي حصـل هـو ان الشهية الاسرائيلية في الاحتلال والتوسـع ازدادت كلما توغـلت القوات الاسرائيلية أكثر داخل الاراضي اللبنانية .

---

* « اليسار العربي » عام ١٩٨٢ ، رقم ٤٩ ، ديسمبر .

فأكد الرئيس اللبناني الياس سركيس لزعيم القوى الوطنيــة وليد جنبلاط في أول لقاء لهما بعد معركة بيروت بأن اسرائيل أقسمت له ، وأمريكا وعدته بأن تنسحب القوات الاسرائيلية من لبنان ودون أية شروط • **

ومرت الايام دون أن تبدي اسرائيل رغبة في تنفيذ قسمها ووعودها •

وكثرت المطالب الاسرائيلية في لبنـان بعـد خروج فصائل المقاومـة الفلسطينية المسلحة من بيروت الغربيـة • وأصبحت اسرائيل تطـرح في المفاوضات شروطا جديدة وجديدة • وحاولت بحجة «أمنها» الغاء السيادة اللبنانية على الجنوب اللبناني ، ولم تكتف بتحديد «السيادة» اللبنانية على تلك الاراضي ، بل حاولت توقيع معـاهدة مع لبنان تتمكن من خـلالها من تقسيم الدولة اللبنانية الى دويلات صغيرة على أساس المبـادىء الدينية والطائفية • وباختصار فان اسرائيل حاولت دفع لبنان الى طريق الخيانة الذي سلكه أنور السادات• ان ما أرادته اسرائيل في لبنان يتلخص في رغبتها باستخدام لبنان كوسيلة لتمرير سياستها في العالم العربي ، والاقتراب من منابع النفط العربية بهـدف احتلالها ، وتأمين سـوق لتصـريف بضاعتها ومنتوجاتها ، وكذلك من أجل احتلال المزيد من الاراضي العربية الاخرى •

لم تتوقف الاعتداءات الاسرائيلية بعد انسحاب القـوات الفلسطينية من بيروت الغربية ، فقد تفرغت اسرائيل للاعتـداء على القوات السورية المتواجدة في منطقة البقاع شمال لبنان ، وأصبحت الدبابـات الاسرائيلية تقع على بعد (٢٥ ــ ٣٠) كيلو متر من العاصمة السورية دمشق • وبدأت اسرائيل تهدد سوريا علانية •

بعد ذلك تغيرت مهمة القوات السورية على الاراضي اللبنانيـة ، لقد دخلت تلك القوات عام ١٩٧٦ الى الاراضي اللبنانية من أجل الحفـاظ على لبنان من مشاريع التقسيم ، وحماية السيادة اللبنانية على أراضيها •

** ماذا جرى ؟ لماذا ؟ حوار فكري وسياسي صريح مع جورج حاوي ؛ جريدة « الطريق » ، شهر كانون عام ١٩٨٢ .

أما بعد الاحتلال الاسرائيلي للبنان ، فقد تغيرت مهمة تلك القوات حيث أخذت بتجميع صفوفها لتشكل مخفرا أماميا بهدف ردع القوات الاسرائيلية المتقدمة نحو دمشق •

ولا نستطيع بهذه الصورة عزل المشكلة اللبنانية عن مجمل الصراع العربي الاسرائيلي •

ان حسابات اليمين اللبناني حول ما يسمونه بالضغط الامريكي على اسرائيل لاجبارها على وقف عدوانها وسحب قواتها من لبنان تناقض السياسة الامريكية في الشرق الاوسط ، ولهذا السبب لن تتحقق تلك الحسابات أبدا • وبدلا من أن تضغط امريكا على اسرائيل ، أخذت تضغط على لبنان لجره الى طريق الاتفاقيات الخيانية • وسقطت امكانية حل المشكلة من بين الايادي اللبنانية •

وفي نفس الوقت الذي قدم فيه الجنرال شارون استقالته من منصبه كوزير للدفاع الاسرائيلي ، حصلت في لبنان مشاكل كثيرة ، وكانت مجمل هذه المشاكل تشير الى النوايا الاسرائيلية الخسيسة تجاه لبنان • وتتلخص هذه المشاكل في استمرار ضغط المخابرات الاسرائيلية « الموساد » على لبنان لاجباره على توقيع معاهدة سلام مع اسرائيل، ولم تأخذ تلك العناصر بعين الاعتبار الجزئيات الميلودرامية في تلك المسرحية استقالة الجنرال شارون مثلا) •

وفي نفس اليوم الذي قدم فيه الجنرال شارون استقالته ، قامت القوات المارونية بقيادة سعد حداد في توسيع رقعة حدود « دويلتها » حيث أرسل سعد حداد قواته الى ثالث مدينة لبنانية من حيث الحجم وهي مدينة صيدا • وكانت الحسابات الاسرائيلية بسيطة : الرأي العام العالمي كان موجها الى استقالة شارون ، ولن يصحو العالم الا بعد أن تمتد سيطرة سعد حداد على ربع مساحة لبنان ، أي على المنطقة التي أعلنت عنها اسرائيل في بداية غزوها على انها منطقة ضرورية « لأمنها » •

وفي اللحظة التي كانت بها امريكا تدفع اسـرائيل الى الاستمرار في العدوان ، أعلنت الحكومة الامريكية عن استعدادها لضمـان الحـدود الدولية بين لبنان واسرائيل • فلم تتطاول اسرائيل لوحدها على جنوب لبنان، بل قامت أمريكا شخصيا بالاعتداء على تلك المنطقة •

لقد تم التحضير المشترك بين اسرائيل وأمريكا في الجنـوب اللبناني للبدء في الزحف نحو سوريا • وبالطبع فان الادوار هنا محددة بشكل دقيق لكل منهما •

وتلتزم حسب تلك الخطة بخلق الدعاوى والمبررات لشن الحرب ضد سوريا • وتقوم أمريكا بسند ودعم الموقف الاسرائيلي •

فشكلت القوات الاسرائيلية خطرا حقيقيا على سوريا ، وحاولت خلق الحجج والمبررات لتكريس احتلالها للبنان ، وصـارت تربـط انسحابها بالانسحاب السوري من البقاع •

واستغلت الولايات المتحـدة الامريكية هذه الحجـة لدعـم نفوذها العسكري في تلك المنطقة الاستراتيجية من العالم •

وبدأت اسرائيل وأمريكا تشنان الحملات الدعائية ضد سوريا ، وأرادتا بذلك الايقاع بين سوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية بهـدف القضاء على منظمة التحرير الفلسطينية ، ذلك لأن اسرائيل لم تستطع تحقيق هذه الغاية بالطرق العسكرية أثناء غزوها الاخير للبنان • واعتقدت أمريكا ان منظمة التحرير الفلسطينية وبعد خروجها من بيروت الغربية ستغير خطها السياسي وتتجه الى عقد الصفقات الانفرادية مع واشنطن وتل أبيب •

انعقدت الدورة السادسـة عشـرة للمجلس الوطني الفلسـطيني في الجزائر وذلك في شهر شباط عام ١٩٨٣ • وكان لتلك الجلسـات أهميـة تاريخية ومصيرية بالنسبة للفلسطينيين • وحضر الوفد السوفييتي البرلماني برئاسة رئيس مجلس القوميات الاعلى في الاتحاد السـوفييتي ف • ب •

روبينوم جميع جلسات المؤتمر الوطني الفلسطيني • وأكدت جميع الكلمات التي ألقيت على تلاحم الشعب الفلسطيني مع منظمة التحرير الفلسطينية وعلى وحدة الشعب العربي الفلسطيني وعى ضرورة استمرار الكفــــاح المسلح • وأجمعت الوفود العربية والاجنبية على الاشادة ببطولة وشجاعة الشعب العربي الفلسطيني خلال الغزو الاسرائيلي للبنـــان • وأشـــارت الكلمات الى أن القوات الفلسطينية والوطنية اللبنانية استطاعت أن تعيق تقدم الآلة الحربية الاسرائيلية المدججة بأحدث صنوف الاســـلحة الامريكيــة لعدة أيام •

وبلغت الحرب ذروتها في المعركة قرب بيروت • وأثبتت تلك الحرب بأن القوات السورية والفلسطينية واللبنانية الوطنية المتواضعة والمتواجدة في تلك المنطقة ، قد أبدت من الشجاعة والبطولة الشيء الكثير والذي استطاع اسقاط المقولة الاسرائيلية عن الانتصار المفاجيء الذي ستحققه في لبنان • لقد تبين لتلك القوات بأن النصر على المعتدي ممكن جدا ، ولا يتطلب سوى قوة الارادة والاصرار على الدفاع عن الحرية حتى الرمق الاخير • وناقش المجلس الوطني الفلسطيني الاوضاع في الضفة الغربية المحتلة لنهر الاردن وقطاع غزة المحتل • لقد ثمن المؤتمرون عاليا الموقف الوطني الذي وقفــه المواطنون الفلسطينيون في الاراضي العربيـــة المحتلـــة ، ودعمهم لاخوتهم الفلسطينيين في لبنان أثناء الغزو الاسرائيلي له ، ودعمهم لنضال منظمــة التحرير الفلسطينية من أجل تقرير المصير وبنـــاء الدولـــة الفلســـطينية المستقلة •

وتم اتخاذ العديد من القرارات في ختـــام أعمـــــال المجلس الوطني الفلســـطيني في الجزائر ، ومن أهم تلك المقررات ضرورة توحيـــد صفوف الشعب العربي الفلسطيني والاستمرار في طريق الكفاح المسلح ، واستنكر المجلس المحاولات الامريكية الاســـرائيلية الدنيئـــة لتمزيق صفوف القوى المناضلة ضد الامبريالية والصهيونية • ودعا المجلس الى تضامن منظمـــة التحرير الفلسطينية مع جميع حركات التحرر الوطنية في العـــالم العربي ؛

لتتمكن بالتالي من التصدي للهجمات الصهيونية والامريكية في المنطقة . واستنكر المجلس الوطني الفلسطيني اتفاقيات كامب ديفيد و « مبادرة ريغان » .

وجاء في التقرير السياسي الذي صدر في ختام المؤتمر السادس عشر للمجلس الوطني الفلسطيني تعليق على « مبادرة ريغان » جاء فيه : ان خطة ريغان باتجاهاتها ومحتواها لا تلبي طموحات الشعب العربي الفلسطيني . لأن تلك المبادىء تنكر على الفلسطينيين الحق في العودة وحقهم في اقامة دولتهم المستقلة على ترابهم الوطني ، وتنكر على منظمةالتحرير الفلسطينية حق التمثيل الشرعي والوحيد للشعب العربي الفلسطيني ، وهي تناقض اصلا القوانين الدولية المتعارف عليها » .

اشار المؤتمر الى أن من أهم واجبات الثورة الفلسطينية في هذه الفترة الزمنية هو مساندة الشعب العربي اللبناني وقواه الوطنية والتقدمية لتحرير لبنان من المحتلين الاسرائيليين . وركز المجلس الوطني الفلسطيني على ضرورة تمتين العلاقات الاستراتيجية التي تربط سوريا بمنظمة التحرير الفلسطينية ، ذلك لأن سوريا تقف على خط النضال الاول ، ضد اسرائيل والامبريالية العالمية . وأشار المجلس الوطني الفلسطيني من جديد الى رفضه لاتفاقيات كامب ديفيد ودعمه للقوى الوطنية المصرية من أجل اسقاط تلك الاتفاقيات للعودة بمصر الى موقعها النضالي الاول .

وأشاد المجلس الوطني الفلسطيني في مؤتمره السادس عشر بالدعم الذي تقدمه الاتحاد السوفييتي لمنظمة التحرير الفلسطينية . وقدر المؤتمر عاليا « المبادرة السوفييتية حول الشرق الاوسط لأنها تلبي الطموحات الفلسطينية في حق تقرير المصير ، واقامة الدولة الفلسطينية المستقلة بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية وحق العودة » . وأشار المؤتمر الى أن المبادرة السوفييتية تتطابق مع مشروع القرار العربي الذي تبناه العرب بالاجماع في مؤتمر قمتهم بمدينة فاس المغربية . وأشار المؤتمر أيضا الى ضرورة

تنسيق نشاطات منظمة التحرير الفلسطينية مع جميع القوى المعادية للامبريالية في العالم •

لقد ظهرت نوايا الامبريالية في الشرق الاوسط بهيئتها الحقيقية : لم تستطع « عناصر » الدعاية الصهيونية والامبريالية المتورطة في سياسة الابادة الجماعية التي مارستها اسرائيل ضد الآمنين في لبنان من القاء المسؤولية عن تلك الجرائم على عاتق ما يسمونه « بالطبع الانتقامي عند العرب » أو على « حب الثأر عند العرب » أو على ما يسمونه «بالمكائد الشيوعية » •

ان تلك الادعاءات تعكس النوايا الامريكية الخبيثة في المنطقة العربية ان المصلحة الامريكية تكمن في تفجير الاوضاع في المنطقة العربية ، ونعرف انها أعطت لاسرائيل الضوء الاخضر لارتكاب المجازر الدموية في مخيمات صبرا وشاتيلا الفلسطينية • وأمريكا هي السند الرئيسي لاسرائيل في جميع اعتداءاتها على العرب • وتساند امريكا في القضاء على كل من يقف في طريق مخططاتها ،حتى ولو أدى ذلك الى حرب عالمية جديدة •

لم يردع الضمير أمريكا عندما ألقت قنابلها الذرية فوق هيروشيما ونغازاكي • وان العزم الامريكي على نشر صواريخ متوسطة المدى في اوربا ليس مجرد تسلية أو خطة لا هدف ولا غاية من ورائها •

الشرق الاوسط ـ ليس مجرد منطقة تحاول الامبريالية العالمية احتلالها والسيطرة عليها ، بل أصبحت مختبرا عمليا لتجريب أسلحة الدمار الشاملة التي تنتجها المصانع الحربية الامريكية •

والولايات المتحدة ليست مجرد مراقب ازاء تلك الاحداث ، بل هي شريك مباشر فيها • والولايات المتحدة الامريكية هي الطرف المنظم والمخطط والممول لاحداث العنف في الشرق الاوسط • وتأخذ اسرائيل على عاتقها دور المنفذ المباشر لتلك المخططات •

ان الاهداف الامريكية والاسرائيلية لا تنحصر في احتلال الاراضي اللبنانية ، وضرب سوريا ، بل تتلخص تلك الاهداف في فرض الزعامة الامريكية على منطقة الشرق الاوسط بأسرها • وتعني المواقف الامريكية في الواقع تأييد الادارة الامريكية لاسرائيل في تنفيذ هيمنتها على المنطقة الممتدة من الهند الى افريقيا الغربية • ان المعاهدات التآمرية كاتفاقيات كامب ديفيد ، واتفاقية التفاهم الاستراتيجي بين أمريكا واسرائيل تسهل تحقيق تلك الاحلام •

والمطلوب من العرب في نهاية المطاف هو التسليم بوجود مصالح لامريكا في منطقتهم • ولا تخفي الولايات المتحدة حقيقة أهدافها في الشرق الاوسط ، وحقيقة أنها تنظر الى تلك المنطقة على أنها خط مواجهة مع قوى التحرر العالمية ومع النظام الاشتراكي ، وكونها رأس جسر تستطيع من خلاله ضرب الاتحاد السوفييتي والدول الاشتراكية الاخرى فيما اذا « تعقد » الموقف في أوربا • وتنظر الولايات المتحدة الامريكية الى منطقة الشرق الاوسط على أنها مستودع للوقود اللازم لتحركات جيوش حلف الناتو • والولايات المتحدة الامريكية مستعدة لحماية تلك الآبار النفطية في المنطقة حتى ولو اضطروا من أجل ذلك الى استخدام القنابل الذرية ــ هذا ما صرحت به العديد من الشخصيات الامريكية الرسمية • ونشير الى أن الولايات المتحدة الامريكية مستعدة لاستخدام القنابل الذرية في حالة نشوب صراع حقيقي في منطقة الشرق الاوسط ، أي أن تلك الاسلحة ليست مخصصة فقط لمحاربة الاتحاد السوفييتي ، بل ولمحاربة دول أخرى مهما كانت صغيرة • ولن تتوانى الولايات المتحدة عن البدء في اشعال نار حرب نووية « محدودة » في أوربا اذا ما اقتضت الامور ذلك • وباختصار فان الولايات المتحدة تسعى الى تجريب أسلحتها النووية بغض النظر عن المكان ، سواء في الشرق الاوسط ، أو في أوروبا ، أم في غيرهما •

وبالطبع فان امريكا تفضل أن تتم تلك التجربة في الشرق الاوسط ، لأن هذه المنطقة أكثر مناطق العالم حساسية • كما وتحاول امريكا تعميم

سياستها القرصنية على دول عد مالانحياز .

أشارت لصحف العربية — وهي محقة في ذلك — الى ان « لبنان لا يستطيع الاعتماد على وعودالمبعوث الامريكي فيالشرق الاوسط، القائلة ان اسرائيل ستسحب قواتها من لبنان ، ذلك لأنه لم « تتعهد » أيـــة شخصية سياسية كما سبق وتعهد فيليب حبيب بضمان أمن الفلسطينيين في بيروت الغربية بعد انسحاب القوات الفلسطينية المسلحة منها » . وفي واقع الامر فان ضمانات فيليب حبيب لم تؤد الا الى سفك دماء الآلاف العديدة مـــن المدنيين الابرياء في صبرا وشاتيلا .

وبقيت مساعي فيليب حبيب وقتا طويلا دون أن تعطي أية نتيجة، ذلك لأن الشعب اللبناني رفض أن يسير كالدواب المربوطةأمام‌اسرائيل من خلال توقيع الاتفاق التآمري المقترح مع الحكومة اللبنانية . واستمرت واشنطن وتل أبيب في ممارسة الضغط على الحكومة اللبنانية . وأقنعوا الحكومـــــة اللبنانية بأن زمام الامور ستفلت من أيديها اذا لم توقع علىالاتفاقالمقترح، وأمرت اسرائيل قواتها المتواجدة على الاراضي اللبنانية بالتقدم نحو سهل البقاع ، أي الى الاماكن التي تتمركز فيها قوات الردع السورية .

بدأت اسرائيل تهدد سوريا لاظهار مودتها وصداقتها للبنان . أما على القنال الآخر فباشرت امريكا بالضغط على لبنان وبكل السبل والوســـــائل لاقناعه بالتوقيع على اتفاقية سلام مع اسرائيل على غرار اتفاقيـــات كامب ديفيد . وبلغت ذروة تلك الضغوط عندما قام وزيـــر الخارجيـــة الامريكي جورج شولتز بزيارة الى المنطقة .

لقد أشارت الصحف العربية خلال زيارة جورج شولتز الى المنطقـــة بأن اسرائيل تحضر لشن هجوم واسع النطاق على سورية ومن خـــــلال ثلاثة محاور : المحور الاول باتجاه العاصمة دمشق ، والثاني باتجـــاه مدينة حمص ، والثالث عبر الاراضي الاردنية . وتلقت اسرائيل قبيل تلك الزيارة مجموعة من الاسلحة الامريكية المتطورة جدا . وكانت التقارير الصحفيـــة

العربية موجهة لتعرية نفاق وزير الخارجيه الامريكي الذي اعلن في حينـه آن واشنطن معنية بتحقيق السلام في منطقة الشرق الاوسط •

وقام بعد ذلك كل من جورج شولتز ورئيس ادارة المخابرات المركزية الامريكية وليم كيسي « بزيارة عمل » الى تل أبيب •

أذاع « صوت اسرائيل » دون أية مواربـة الى ان المحـادثات بين الجانبين الامريكي والاسرائيلي تمحورت حول الوضع في جنوب لبنان • وأشار الراديو الى أن الجانبين توصلا الى «حل المسألة» التي تتعلق بمصير الرائد اللبناني الخائن سعد حداد • ويمكننا آن نستخلص من التصريـح الاسرائيلي النتيجة التالية : لقد تم التحضير للاتفاق الانفرادي بين لبنان واسرائيل وأن الولايات المتحدة الامريكية ترتب لآخر خطوة لتنفيذه •

وتم فيما بعد الاعلان عن توقيع الاتفاق الاسرائيلي اللبناني في مدينتي خلدة اللبنانية وكريات شمونه الاسرائيلية • وبادرت جميع الصحف اللبنانية الوطنية والتقدمية الى العمل على فضح الاتفاق اللبناني الاسرائيلي على أنه خيانة عظمى للبنـان • وسارعت على الفور الشـخصيات اللبنانيـة التقدمية أمثال رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي اللبناني وليد جنبلاط ، ورئيس الحزب الشيوعي اللبناني جورج حاوي ، والرئيس اللبناني الاسبق سليمان فرنجية ، ورئيس الوزراء اللبناني الاسبق رشيد كرامي ، وآخرون كثر الى الاجتماع في مدينة زغرتا ، واستنكروا بشدة نص الاتفاقية وأعلنوا انها تعارض المصالح القومية والوطنيـة اللبنانية ، وتهدد بشكل مباشر استقلال لبنان وسيادته وأمنه • ومن الصعب جدا أن نجد في التاريـخ البشري اتفاقية موقعة بين بلدين مستقلين تماما كالاتفاقية اللبنانيـة الاسرائيلية ، اللهم الا معاهدة الذل المصرية الاسرائيلية •

يجعل الاتفاق اللبناني الاسرائيلي معظم الاراضي اللبنانية « منطقة آمنية » لاسرائيل • لأنها تحرم على القوات اللبنانية التواجد في تلك المنطقة. وتحرمها أيضا من السيطرة على أجوائها ، وتمنع حتى الطائرات المدنيـة

التابعة لشركة الملاحة الجوية اللبنانية من التحليق فوق هذه المنطقة الا بعد أخذ الموافقة من تل أبيب • وجاء في الاتفاقية موافقة الجانب اللبناني على نشر اسرائيل لقواتها في المناطق اللبنانية الجنوبية •

ولا يحق للبنان حسب بنود الاتفاقية طلب النجدة أو المعونة من أية دولة لا تربطها باسرائيل علاقات دبلوماسية ، فيما اذا أصبح أمن اسرائيل مهددا من خلال تلك المنطقة •

ليس هذا هو كل شيء ، فقد وردت أنباء موثوقة تشير الى أن الجانبين اللبناني والاسرائيلي وقعا على الملحقات السرية لتلك الاتفاقية في كل من خلدة وكريات شمونه • كما وقام المبعوث الامريكي فيليب حبيب خلال زيارته لتل أبيب واجتماعه بوزير الخارجية الاسرائيلي اسحق شامير بالتوقيع على ما يسمونه « بالمذكرة حول الاتفاقية » • لقد تم ربط لبنان نهائيا بعدتوقيعه على الاتفاقية مع اسرائيل ، ذلك لأن نص تلك الاتفاقية لم يتطرق الى الزام اسرائيل بسحب قواتها من لبنان •• وربطت اتفاقية السابع عشر من أيار الانسحاب الاسرائيلي من لبنان بانسحاب القوات السورية والفدائية الفلسطينية ، وتم بذلك وضع القوات الاسرائيلية المحتلة والقوات السورية التي دخلت الى لبنان بطلب من سلطتها الشرعية وبقرار من جامعة الدول العربية بمستوى واحد •

تعتبر اتفاقية السابع عشر من أيار خرقا واضح «للسيادة اللبنانية» وترسيخ الاحتلال الاسرائيلي ، بل والامريكي الذي يختفي تحت غطاء « القوى المتعددة الجنسيات لحفظ الامن في لبنان » • ومن الواضح جدا أن تنفيذ بنود تلك الاتفاقية على أرض الواقع ، يعني أن الاراضي اللبنانية تحولت الى رأس جسر للاعتداءات الاسرائيلية على الدول العربية الاخرى وخاصة ضد الجارة سورية •

لقد رفضت جميع القوى التقدمية والوطنية في العالم أسلوب « التسوية » الذي فرضته امريكا واسرائيل على لبنان من خلال اجبارها

على توقيع الاتفاق مع اسرائيل • وأكد الرئيس السوري حافظ الاسد خلال استقباله لممثلي القوى الوطنية والتقدمية اللبنانية تأييده المطلق لموقف تلك القوى في معارضتها للاتفاقية اللبنانية الاسرائيلية ، ذلك لأنها تسعى الى فرض الهيمنة الاسرائيلية على لبنان وعزله عن عالمه العربي •

واستنكرت جبهة التحرير الجزائرية بشدة تلك الاتفاقية ، وطالبت بالانسحاب الاسرائيلي الفوري وغير المشروط من جميع الاراضي اللبنانية المحتلة، وأعلنت جبهة التحرير الجزائرية عن تضامنها مع الموقف السوري الذي يشكل السد المنيع في وجه الهجمة الاسرائيلية الشرسة على الامة العربية •

وأعلن الاتحاد البرلماني العربي عن استنكاره للاتفاق ، ودعا الى تسوية عادلة وشاملة لجميع قضايا المنطقة على أساس مبادرة السلام العربية التي أقرها مؤتمر القمة العربي المنعقد في مدينة فاس المغربية •

وأشارت صحيفة « الانباء » الكويتية الى أن « مبادرة ريغان » فشلت تماما في المنطقة ، وأكدت تلك الصحيفة بأن قضايا الشرق الاوسط لن تحل الا من خلال مؤتمر دولي خاص » * •

وأشارت الصحيفة الى أن حل المشكلة بدون مشاركة فعالة من الجانب السوفييتي أمر مستحيل •

أجل ــ لقد فشلت خطة ريغان ولم تمر في المنطقة ، ولم ينته الوضع المتفجر في منطقة الشرق الاوسط • وأصبحت منطقة البقاع اللبنانية أكثر المناطق تفجرا في الشرق الاوسط ، ذلك لأن اسرائيل صعدت تواجدها العسكري هناك بشكل خطير •

حاولت امريكا التأثير بشتى السبل على سوريا لأنها تقف كسد منيع أمام جميع المخططات الامبريالية والصهيونية العالمية في هذه المنطقة •

---

* صحيفة « برافدا » السوفييتية ، عام ١٩٨٣ ، ٢٦ أيار .

واستغلت اسرائيل غياب الموقف العربي الموحد بخصوص اتفاقيه «السلام» اللبنانية ــ الاسرائيلية لاشعال الفتنة داخل أكبر المنظمات الفلسطينية المسلحة « فتح » والجدير بالذكر أن القوات الوطنية اللبنانية لم تترك السلاح بعد خروج اخوتهم الفلسطينيين من بيروت الغربية • فأجمعت الاحزاب الشيوعية والعمالية العربية في مؤتمرها الذي عقدته بتلك الفترة على أن العدوان الاسرائيلي هو جزء من العدوان الامريكي الشامل ضد الامة العربية بهدف فرض هيمنتها وسيادتها على الشرق الاوسط كما وتعتمد اسرائيل في جميع اعتداءاتها على « الحليف الاستراتيجي لها ــ الامبريالية الامريكية التي تمدها بالعون المادي والعسكري ، وبالتهديد العسكري والمعاهدات الدبلوماسية التآمرية ، وبالضغط الاقتصادي على الدول المستهدفة ، وبطرق أخرى متعددة •

ان توقيع ما يسمونه « باتفاقية السلام » بين اسرائيل ولبنان في السابع عشر من أيار بمشاركة امريكية فعالة ، وتحت ظل الاحتلال العسكري الاسرائيلي وتحت تهديد الدبابات الاسرائيلية ليست سوى تتمة لنهج كامب ديفيد ، وخطوة جديدة لترسيخ الوجود العسكري الامريكي في لبنان • كما وتخرق الاتفاقية المذكورة سيادة لبنان ، وتقطع العلاقات التاريخية التي تربط لبنان بسوريا ، وتسهل الطريق للاعتداء على سوريا وتهدف اتفاقية آيار الى نزع لبنان من محيطه العربي ، ومن منظومة دول عدم الانحياز ، ولصقه بالحلف الامريكي الاسرائيلي ، وتخدم اتفاقية أيار الاهداف الامبريالية الاستراتيجية المعادية للاتحاد السوفييتي ومنظومة الدول الاشتراكية الاخرى وجميع الحركات لتحررية والوطنية في العالم • وأعلنت اسرائيل في شهر أيلول عام ١٩٨١ عن سحب قواتها من منطقة الشوف الجبلية حتى نهر الاولي في الجنوب اللبناني • وتبينت فيما بعد نوايا اسرائيل من « انسحابها الطوعي » والتي تتلخص في ترسيخ احتلالها للجنوب اللبناني • وأرسلت اسرائيل جزءا كبيرا من جيشها المنسحب الى منطقة البقاع لمواجهة القوات السورية العاملة ضمن قوات الردع العربية•

زد على ذلك أن القوات الفرنسية والامريكية قامت باحتلال تلك المنطقة ـ جبال الشوف بهدف زيادة تدخلها العسكري في لبنان تحت غطاء ما يسمونه « بالقوات الدولية المتعددة الجنسيات » .

بعد خروج القوات الاسرائيلية من منطقة الشوف ، قامت القوات اليمينية الكتائبية بمحاولة احتلال الشوف وبدعم مباشر من « القوات المتعددة الجنسيات » . ولكن القوات الدرزية بزعامة الحزب التقدمي الاشتراكي منعت الجيش اللبناني بقيادة الكتائبيين من دخول المنطقة . وقامت الحركة الاسلامية الشيعية « أمل » والمنظمات الاسلامية الاخرى بمنع الكتائبيين من السيطرة على بيروت الغربية. وعندها تدخلت الاساطيل الحربية الامريكية لدعم الكتائبيين ، وتدخلت امريكا بصورة مباشرة في الحرب ضد الشعب اللبناني . وتم اطلاق النار على مراكز الاحزاباللبنانية التقدمية من بوارج الاسطول الامريكي السادس الراسية على الشواطىء اللبنانية .

وصرح البنتاغون علانية بأنه تم في ليلة العشرين من أيلول عام ١٩٨٣ اطلاق ٣٠٠ قذيفة من البوارج الامريكية على المواقع الوطنية اللبنانية .

وكتبت صحيفة « تايمز » اللندنية المتتبعة للاحداث اللبنانية بأن «الحرب في لبنان دخلت مرحلة خطيرة جدا » . وبالفعل فان الحرب اللبنانية هي الحرب الثانية بعد الفيتنامية التي تتشارك فيها القوات الامريكية بكل ثقلها .

لقد سبق وصرحت واشنطن منذ عام تقريبا بأن قواتها لن تمكث في لبنان أكثر من شهر واحد ، وارتفع يوما بعد يوم تعداد القوات الامريكية المتواجدة في لبنان . لقد اشتركت بوارج الاسطول الامريكي السادس والمدمرة الامريكية « نيوجرسي » بالعمليات العسكرية الامريكية ضد لبنان ، ومن المعلوم أن « نيوجرسي » ذاتها كانت قد قامت في الستينات بتدمير القرى والمدن الفيتنامية .

وتدخلت الى جانب القوات الامريكية في لبنان الجيوش الحليفة لها

في حلف الناتو • وشارك الاسطولان الفرنسي والبريطاني حليفهما الامريكي في قصف بيروت والمناطق اللبنانية الاخرى •

الاسطول البريطاني هو نفسه الذي شارك في حرب الفوكلند • كما وشاركت الطائرات البريطانية والفرنسية بالغارات على الاراضي اللبنانية • وتمركزت القوات الامريكية في وزارة الدفاع ورئاسة الاركان اللبنانيــة ، لقد أراد الامريكيون من ذلك الاشراف على عمليــات الجيش اللبنـــاني الطائفي الفاشي أثناء عملياته ضد السكان المسلمين والقوى الوطنية اللبنانية الاخرى • ووصل تعداد الجيش الامريكي في لبنان الى خمسة عشر ألف جندي وبذلك أخذت الولايات المتحدة الامريكية على عاتقها تنفيذ المهام التي عجزت حليفتها اسرائيل عن تنفيذها: القضاء على منظمة التحرير الفلسطينية والقوى التقدمية اللبنانية • لقد تم قتل المئات وجرح الالوف من الابريــاء نتيجــة للتدخل الامريكي السافر في المنطقة • وتم الحاق الاذى الفادح بالاقتصاد اللبناني • وتتلخص أهداف التدخل الامريكي في لبنان بما يلي ـ تقويــة نفوذها وتواجدها العسكري على تلك الاراضي ، الضغط العسكري ضــد سوريا • ويعتبر التدخل الامريكي والاوربي الغربي العسكري في لبنــان ذروة المشكلة اللبنانية ، ذلك لأن النوايا الامريكية الخسيسة والدنيئة تجاه لبنان قد ظهرت بشكل واضح ، وأصبح الامريكيــون شــركاء مباشرين في الحرب النذلة ضد الشعب اللبناني •

لقد ازداد سيل الدم الجاري في لبنان ، وتدخلت سوريا والعربيــة السعودية كوسطاء للتفاوض مع الجانب اللبناني والقوى المعادية للبنــان لايجاد تسوية سلمية للمشكلة اللبنانية • وتم نتيجة لتلك المفاوضــات وفي الخامس والعشرين من أيلول عام ١٩٨٣ التوصل الى اتفاق لوقف الاشتباكات الدموية في لبنان • واستمر هذا الاتفاق صامدا لأكثر من ثلاثة أســابيع • وتم الاتفاق على تشكيل لجنة الانقاذ الوطني المؤلفة من : حركة « أمل » ، جبهة الانقاذ الوطني ، الجبهة اللبنانية ، الاحزاب المسيحية اليمينية • وقدم رئيس الوزراء اللبناني شفيق الوزان استقالته من الحكومة ، وأعلن الوزان

عن هدف استقالته قائلا : انها جاءت لتسهيل « الحوار الوطني » ولتشكيل حكومة ائتلاف وطنية تضم جميع القـوى والاحزاب السياسية في لبنان • وصرح وزير الخارجية السوري عبد الحليم خدام أن : اتفاق وقف اطلاق النار هو مجرد بداية للحوار الوطني في لبنان • وناشد عبد الحليم خـدام اخوته اللبنانيين وقف الاشتباكات الدموية لاعادة بناء لبنان ، وكان الجميع في الشرق الاوسط على يقين بأن اتفاقية وقف اطلاق النار في لبنان لن تصمد طويلا • لقد كان المصير اللبناني مثالا واضحا على رغبة الادارة الامريكية في تمرير « مبادرتها السلمية » في المنطقة •

ونشرت وكالة الانباء السوفييتية « تاس » تقريرا في الثامن والعشرين من أيلول عام ١٩٨٣ قالتفيه : ان اقامة سلام دائم في لبنان وحل المشاكل اللبنانية الداخلية ، لن يتم الا اذا انتهتالاسباب التيأدت الى قيامالمشكلة أصلا • والاسباب هذه معروفة للجميع ، وهي الاحتلال الاسرائيلي لثلث الاراضي اللبنانية ، والتدخل الامريكي الفظ في شؤون لبنان الداخلية ومعها قوات حلف الناتو الحليفة ، ومحاولات واشنطن وتل أبيب الى جر الشعب اللبناني لتوقيع معاهدة استسلامية مع اسرائيل •



وتم في ظروف الاحتلا لالاسرائيلي تشكيل لجنة المقاومة الوطنيـة في الجنوب اللبنانية ودعت تلك اللجنة جميع السكان الى مقاومة الاحتـلال الاسرائيلي •

وناشدت جبهة المقاومة اللبنانية جميع السكان في الجنوب اللبناني الى شن حملات فدائية ضد اسرائيل بهدف اجبارها على الخروج من وطنهم • وحذرت الجبهة جميع من تراودهم أنفسهم بالتعاون مع اسرائيل • ووقفت جبهة المقاومة اللبنانية الى جانب منظمة التحرير الفلسطينية بهدف حـل

---

* صحيفة « برافدا » السوفييتية ، ٢٩ أيلول ، عام ١٩٨٣ .

القضية الفلسطينية التي هي أساس المشكلة في الشرق الاوسط •

لقد تحول الجميع في جنوب لبنان الى فدائيين أشداء ، وبلغت المقاومة الوطنية أوجها •

ونشرت صحيفة « يديعوت أحرنوت » الاسرائيلية مقالا حول الحرب بعنوان : « على تخوم بيروت » قالت فيــه : « لقد تحولت بــيروت الــى ستالينغراد جديدة » •

وكتبت المجلة الاسرائيلية (آموس كينان) بأنــــه تم في ستالينغراد تقرير مصير الحرب العالمية الثانية •• لقد تم تدمير المدن الســوفييتية ؛ وافناء جيوش بأكملها ، وذبح الآلاف من المدنيين ، ولكن الاتحاد السوفييتي تحول في ستالينغراد من دولة خاسرة الى دولة عظيمة ومنتصرة •

لقد خسر الاسرائيليون الحرب عندما تقدمهم جنرالهم شــارون الى بيروت • وبدأت منظمة التحرير الفلسطينية تجني ثمار نصرها السياسي • وأصبح شارون واحدا من الجنرالات الذين أعماهم النصر العسكري ، مما أدى الى أنهم خسروا المعركة السياسية * •

وبالطبع فان لهذه النتيجة مبرراتها •ويجب على كل من يفكر بشن حرب جديدة في الشرق الاوسط أن يتعظ من المصــير الذي آل اليــه المعتدون في لبنـــان •



* حرب المفاجأة في لبنان ، صفحة ١٩٢ .

فهرس

من منشورات دار علاء الدين التاريخية

* مغامرة العقل الأولى
فراس السواح..
* الحدث التوراتي
فراس السواح..
* آرام دمشق وإسرائيل
فراس السواح..
* الأسطورة والمعنى
فراس السواح..
* بدايات الحضارة
عبد الحكيم الذنون..
* سويداء سورية
مجموعة من المؤلفين..
* أضواء على الثورة السورية الكبرى
عطا الله الزاقوت..
* السكان القدماء لبلاد ما بين النهرين
ت سالم العيسى..
* صرح ومهد الحضارة السورية
مفيد عرنوق..
* المصادر التاريخية في الأندلس
ت نايف أبو كرم..
* أميرات سوريات حكمن روما
ت خالد عيسى..
* الحضور اليماني في تاريخ الشرق الأدنى
فضل عبد الله الجثام..
* بيو غرافيا حية لمشاهير الحكام في العالم
ت خالد أبة الليل..
* أهم الغزوات في صفحات الإسلام الخالدة
عبد أحمد عبد الكريم السعدي..

* لغز عشتار
فراس السواح..
* دين الإنسان
فراس السواح..
* جلجامش
فراس السواح..
* التاو
فراس السواح..
* الرحمن والشيطان
فراس السواح..
* من هم الموحدون الدروز
جميل أبو ترابة..
* العادات والتقاليد في محافظة السويداء
عطا الله الزاقوت..
* سلسلة الأساطير السورية
ت مفيد عرنوق..
* كليوباترا وعصرها
ت يوسف شلب الشام..
* الفكر الإغريقي
ت محمد الخطيب..
* تاريخ اليابان
ت يوسف شلب الشام..
* الحضارة بين النعمة والنقمة
إحسان البني..
* التراث من منظور مختلف
عبد الغفار نصر..
* الاقتباس والجنس في التوراة
خالص مسرور..

هذا الكتاب

يفضح هذا الكتاب النشاط الإجرامي للحركة الصهيونية منذ تأسيسها و حتى فترة الثمانينات والذي يهدف إلى ضرب حركة التحرر الوطني العربية ونسف البنى التحتية، وخلخلة التضامن الوطني، وضرب القوى بعضها ببعض من خلال مخطط صهيوني أمريكي يهدف إلى السيطرة على العالم العربي بشكل خاص.

كما يعكس الكتاب الغزو الإسرائيلي للقطر اللبناني والجرائم التي ارتكبت ضد الشعب اللبناني والفلسطيني ، إذ يعتمد المؤلف في ذلك على الكثير من الوثائق العلنية والسرية في تبيان البعد التآمري الأمريكي الإسرائيلي ضد لبنان .

يعتبر هذا الكتاب خطوة هامة في إغناء الفكر التحرري؛ ودعم نضال الشعب العربي اللبناني والحـ العربي بصورة عامة .

الناشر

